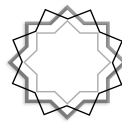


**الدين والقيم الإنسانية**  
وقفات في مناسبات الأيام العالمية



ح حسن موسى الصفار، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصفار، حسن بن موسى بن رضي

الدين والقيم الإنسانية.. وقفات في مناسبات الأيام العالمية. /

حسن بن موسى بن رضي الصفار. - القطيف، ١٤٤١هـ

٢٧٢ ص، ..سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٣٧٢٠-٠

١. المقالات العربية - السعودية أ. العنوان

١٤٤١/٧٠٦٥

ديوي ٠٨١

رقم الإيداع: ١٤٤١/٧٠٦٥

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٣٧٢٠-٠

محفوظة  
جميع الحقوق

الطبعة الأولى

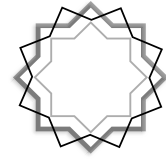
١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

القطيف. المملكة العربية السعودية

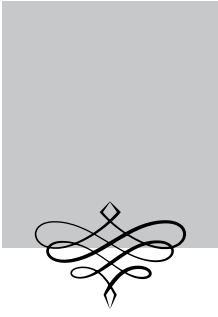
حسن موسى الصفار

# الدين والقيم الإنسانية

وقفات في مناسبات الأيام العالمية





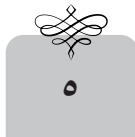


## مقدمة

من التوجهات المهمة التي تقوم بها الجمعية العامة للأمم المتحدة، تخصيص أيام سنوية للاهتمام ببعض الجوانب والقضايا الإنسانية المشتركة، فهناك يوم للمرأة، ويوم للعدالة الاجتماعية، ويوم للتسامح، ويوم للصحة، ويوم للبيئة، ويوم لمكافحة المخدرات، ويوم لمنع الانتحار، ويوم للقضاء على الفقر، ويوم لحقوق الإنسان، إلى عشرات الأيام بعناوين مشابهة تزيد على المائة يوم.

ويستهدف تحديد اليوم العالمي لأي قضية توجيه الأنظار نحوها، وتأكيد الاهتمام بها، حيث يفترض أن تشارك كل الجهات الرسمية والأهلية لمختلف الدول والمجتمعات في إبداء الاهتمام بتلك القضية، واستكمال التشريعات القانونية حولها، واستحضارها في برامج التعليم ووسائل الإعلام، وإقامة مختلف الفعاليات والأنشطة للتوعية والتثقيف بها، وحشد أكبر قدر من التعبئة الجماهيرية باتجاهها.

ولأن معظم القضايا التي خصصت لها الأمم المتحدة أيامًا عالمية هي قضايا إنسانية مهمة وعامة، تهتم كل المجتمعات والشعوب على اختلاف أعراقها وأديانها، وهي مما يوليها الدين أولوية في قيمه ومفاهيمه وتشريعاته، كان من اللازم أن تبدي المؤسسات الدينية والخطاب الديني في مجتمعاتنا الإسلامية اهتمامًا مناسبًا بهذه الأيام العالمية.





أولاً: لأن القضايا التي تحملها تلك الأيام تعبر بالفعل عن حاجات وهموم حقيقية، يعيشها إنسان العصر في جميع البلدان والمجتمعات. سواء ما يرتبط منها بحقوق الأفراد، واستقرار المجتمعات، أو سلامة البيئة على كوكب الأرض، أو تمجيد الثقافة والمعرفة ومكارم الأخلاق.

ثانياً: لأن تلك القضايا الإنسانية مورد اهتمام من قبل الدين، فالاحتفاء بها يمثل استجابة لأمر ديني.

ثالثاً: إن اهتمام الوسط الديني بالأيام العالمية، يمثل فرصة لإبراز إنسانية الدين، واهتمامه بشؤون الحياة، وما يخدم تطلعات البشرية ومصالحها.

رابعاً: تشجيع التقارب والتواصل بين المجتمعات الإنسانية على المستوى العالمي، بالتفاعل والتعاون في خدمة المصالح والاهتمامات المشتركة.

وإذا كانت مجتمعاتنا الدينية تحتفي بأيام سنوية ترتبط بأحداث وشخصيات إسلامية تاريخية، فإنه لا ينبغي تجاهل الأيام العالمية المرتبطة بواقع الحياة المعاصرة، واهتماماتها الحاضرة. ولا يصح أن يبدو خطابنا الديني منشغلاً بقضايا التاريخ الماضي فقط، غائباً عن هموم العصر الحاضر.

من هذا المنطلق فقد حرصت منذ سنوات في أحاديثي وخطبي الدينية على الاحتفاء بالأيام الإنسانية العالمية، من خلال خطبة الجمعة، وكذلك في سائر المناسبات الدينية.

وبين يدي القارئ الكريم تحرير لبعض تلك الأحاديث والخطب، أقدمها وبالخصوص لإخواني العلماء والخطباء، كأنموذج للاحتفاء بهذه الأيام الإنسانية العالمية، واستثمارها في التذكير بقيم الدين، واستحضار تعاليمه وتوجيهاته.





وأرجو أن تعتمد مؤسساتنا الدينية تقويم جدول الأيام العالمية، من أجل الاحتفاء بها، والحديث حولها، من خلال تراثنا الديني، ومعطيات المعرفة والثقافة المعاصرة لترسيخ القيم والمفاهيم التي تحملها تلك الأيام العالمية في مجتمعاتنا وشعوبنا. والله ولي التوفيق.

حسن الصفار

١١/٥/١٤٤١هـ

٧/١/٢٠٢٠م









## اليوم العالمي للسرطان

### إمكانية الانتصار على السرطان

﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٣٥]

كفاءات الإنسان وطاقاته الكامنة، لا تظهر إلا عبر مواجهته للتحديات، التي تستثير قدراته وتحفزها من أجل التغلب على الصعوبات، وبذلك تتقوى إرادة الإنسان، وينشط عقله، وتصلق مواهبه ومهاراته، وكما قيل فإن الحاجة أم الاختراع، والتحدّي يدفع إلى التقدم.

وهذا هو معنى الابتلاء في الحياة التي تحدثت عنه النصوص الدينية، كقوله تعالى: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٣٥].

فالشرّ الذي يسوء الإنسان ويزعجه، يشكل في الوقت ذاته باعثاً على المقاومة واكتشاف وسائل الدفاع والحصانة، كما أنّ الخير يبعث نحو الاستثمار والتنمية والبناء، فكلاهما (الشرّ والخير) ينتج حركة تظهر مدى تفعيل الإنسان لقدراته وطاقاته الفكرية والنفسية والعلمية.

لذا ورد عن الامام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «مَا مِنْ بَلِيَّةٍ إِلَّا وَلِلَّهِ فِيهَا نِعْمَةٌ تُحِيطُ بِهَا»<sup>(١)</sup>.

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)،

ج ٧٥، ص ٣٧٤، حديث ٣٤.





## معركة الإنسان ضد المرض

ومن أشدّ الابتلاءات والتحديات التي تواجه الإنسان في هذه الحياة هي الأمراض، حيث تهدد حياته ووجوده، وتعوق حركته ونشاطه، وتسلب عنه الراحة والهناء.

لكنّ لهذه الأمراض وجهًا آخر، فقد حفزت الإنسان ودفعته للتعرف على نظام جسمه، وطريقة عمل أجهزته وأعضائه، وتعمقت الأبحاث في تشريح جسم الإنسان حتى وصلت إلى مستوى قراءة شيفرات جيناته الوراثية، والدخول على خط هندستها وتشكلها.

من جانب آخر، فإنّ السعي إلى استكشاف سبل الوقاية من الأمراض، والتمكن من علاجاتها، قاد الإنسان إلى تكثيف دراسته للطبيعة التي يعيش في أحضانها، من جماد ونبات وحيوان ومكونات وظروف مختلفة لبيئة الحياة؛ نظرًا لصلتها الوثيقة بحياته، وتأثيرها على صحة جسمه، ولتوفرها على عناصر مكافحة الأمراض ومعالجتها.

وحين نقرأ تاريخ مواجهة الإنسان لمختلف الأمراض، نجد أنه يقف في البداية حائرًا مضطربًا أمام أيّ مرض جديد يغزو جسمه، ويتحمّل الخسائر ويقدم الضحايا تلو الضحايا من أفراد، بسبب بطش ذلك المرض وسطوته، ومن ثم يتحرك للتعرف على طبيعة المرض وأسبابه، واستكشاف وسائل الوقاية منه، وطرق محاصرته، وصولًا إلى خطوات العلاج والسيطرة عليه، وإعلان الانتصار على خطره.

حصل هذا مع مرض الحصبة مثلًا، ومع مرض الجدري، ومع مرض الكوليرا، وأمثالها من الأمراض التي كانت تقضي على حياة كثيرين من البشر، لكنها الآن أصبحت تحت السيطرة الكاملة، حيث صنّعت لها لقاحات تؤمن الوقاية منها.





## إمبراطور الأمراض

وفي هذا العصر يواجه الإنسان التحدي الأكبر مع إمبراطور الأمراض - كما يطلق عليه - وهو مرض السرطان، هذا المرض الذي يفتك كل عام بأكثر من ١٢ مليون من البشر، في معدل تصاعدي يتوقع أن يصل إلى ٢٤ مليوناً بحلول عام ٢٠٣٥م.

السرطان «تسمية عامة لمجموعة تضم أكثر من مئة نوع من الأمراض، وبالرغم من عددها الكبير، فإن جميع أنواع السرطان تحدث نتيجة حصول نمو غير طبيعي في خلية ما، وتحولها إلى خلية سرطانية، مما يؤدي إلى نمو غير متحكم فيه، وتمدد غير محدود إلى الأنسجة المجاورة. وذلك ما يعرف باسم الورم الخبيث، الذي يختلف عن نوع آخر من الأورام تسمى بالحميدة. وهو نمو غير طبيعي للخلايا، لكنه لا يمتلك القدرة على الانتشار لمناطق مجاورة أو أخرى، ولذلك فهو يبقى جالساً في مكانه محموداً على أدبه»<sup>(١)</sup>.

وجاءت تسمية السرطان من اللغة اليونانية، نسبة إلى شكل المقطع العرضي للورم الخبيث، الذي تظهر فيه الأوردة الدموية مشدودة بصورة تشبه أقدام حيوان سرطان البحر «القبب».

## عوامل تؤدي إلى الإصابة

إن معركة الإنسان مع السرطان لا تزال محتدمة، وسلاحه الأساس فيها هو العلم، الذي كشف لنا عن طبيعة هذا المرض، ورغم أن العلم لا يستطيع الجزم بالسبب المؤدي إلى حدوث المرض على نحو الدقة، لكنه يشير إلى العوامل التي قد تؤدي إلى الإصابة به، مما يساعد على توقيه باجتنابها. ومن أبرزها:

- التدخين وهو يتسبب في حدوث ٨, ١ مليون من وفيات السرطان كل عام.
- زيادة الوزن، أو السمنة، أو الخمول البدني، وهي عوامل تسبب مجتمعة

(١) الجزيرة نت، ٦/٢/٢٠١٤م.





- في وقوع ٢٧٤,٠٠٠ من وفيات السرطان كل عام.
- تعاطي الكحول على نحو ضارّ، وهو يتسبب في وقوع ٣٥١,٠٠٠ من وفيات السرطان كل عام.
- التعرض للمواد المسرطنة في أماكن العمل، وهو يتسبب في وقوع ما لا يقل عن ١٥٢,٠٠٠ من وفيات السرطان كل عام<sup>(١)</sup>.

### الفحص المبكر

كما حقق العلم إنجازًا آخر في المعركة ضد السرطان، بتطوير القدرة على اكتشاف تسلسل المرض إلى الجسم، حيث يتسلل خفية دون أن تكون له أعراض تدلّ على حدوثة، ليتمكن من التمدد والانتشار بصمت وهدوء، لكن العلم اليوم استطاع إنتاج وسائل للفحص المبكر، لفضح تسلسل السرطان، والعمل على مواجهته في أسرع وقت، لمحاصرته ومنعه من التمدد والانتشار.

ولا استثمار هذا الإنجاز العلمي، لا بُدّ من نشر التوعية للمبادرة إلى إجراء الفحص المبكر، وتوفير فرص القيام بها.

يقول أحد الباحثين الإحصائيين: «إنّ الإنجازات لكثيرة، وتبدأ بالمعرفة التي أدت إلى فهم عميق لماهية الخلية السرطانية، وكيف تختلف عن الخلية السليمة. فأصبحنا نعرف أنّ «السرطان» ليس مرضًا واحدًا، بل هو أمراض عديدة، بل مئات منها. وتختلف هذه الأمراض عن بعضها بيولوجيًا كما تختلف سريريًا. وتختلف بنسبة تجاوبها للعلاج كما تختلف بنسبة إمكانية الشفاء التام. وأصبحنا على قناعة اليوم أنّ تشخيص المرض بواسطة المجهر فقط غير كافٍ. لقد أصبح تحديد المرض بهويته البيولوجية أمرًا ضروريًا لاختيار العلاج الشافي له. وهنا تبرز معضلة جديدة، وهي أنّ التقنيات المخبرية المتطورة والقادرة على تحديد الهوية البيولوجية غير

(١) صحيفة الاقتصادية الصادرة بتاريخ ٢٥/١/٢٠١١م.





متوافرة بشكل كافٍ في العالم، مما يجعل من عدم القدرة على تحديد المرض بدقة أحد أهم الأسباب لفشل المعالجة.

ويضيف: تعلمنا أيضاً أن تحول الخلية السليمة إلى خلية سرطانية قد يستغرق سنين عديدة. في هذه المدة الزمنية تمر الخلية السليمة بمراحل بريئة، قبل أن تصبح خلية سرطانية قادرة على النمو والتكاثر بشكل عشوائي. وقد أصبح بمقدورنا اليوم تشخيص هذه المراحل البريئة، كما أنه بمقدورنا تطوير استراتيجيات علاجية جديدة تستهدفها، وتشل قدرتها على التحول إلى المراحل الخبيثة، وبهذا نمنع الإصابة بالسرطان. وأكبر مثل على ذلك هو سرطان الثدي عند المرأة. لقد أثبتت الدراسات أن نسبة الإصابة عند النساء المعرضات لسرطان الثدي، إما بسبب عمر يناهز الستين سنة أو لوجود حالات مماثلة في العائلة، تنخفض إلى النصف إذا ما عولجن وقائياً بواسطة أدوية تقليدية تؤخذ بالفم.

ويتابع: إن المعرفة العلمية التي نملكها اليوم، إذا وضعت في خدمة الإنسان، توفر له الوقاية من ٧٥ في المئة من الإصابات. هذا يعني أنه بدل أن يكون هناك ١٣ مليون إصابة جديدة بالسرطان كل سنة، فنحن قادرون اليوم على خفض هذا الرقم إلى رבעه. نحقق ذلك بسياسات صحية، تقضي على الأسباب التي نعرفها للأمراض السرطانية، وتفرض الفحص الدوري للاكتشاف المبكر. أما بالنسبة إلى الأمراض السرطانية الأخرى التي نجهل كيفية الوقاية منها، فالطب الحديث قادر على شفاء ٦٠ في المئة من المرضى المصابين بها<sup>(١)</sup>.

### المواجهة المباشرة

وإذا أخذ المرض موقعه لا سمح الله في أيّ موضع من جسم الإنسان، تصبح المعركة معه مباشرة عبر برامج العلاج، التي تطورت وما زالت تتطور كل يوم، حيث

(١) <http://www.albawaba.com/ar>





يحرز الأطباء انتصارات كبيرة في كل ساعة وفي مختلف مستشفيات العالم التي تجري عمليات العلاج.

فهناك العلاج بالجراحة لاستئصال الجزء المصاب بالسرطان، والعلاج الاشعاعي لتدمير الخلايا السرطانية، والعلاج الكيماوي في حال الاشتباه بوجود بقايا خلايا سرطانية، وأخيراً العلاج البيولوجي.

وبفضل هذه البرامج العلاجية يتم إنقاذ عدد كبير من المصابين بالسرطان، ليواصلوا حياتهم بشكل طبيعي.

### سلاح الأمل والمعنويات الرفيعة

إذا كان الإنسان بحاجة إلى سلاح الأمل والمعنويات الرفيعة، تجاه كل مشكلة أو تحدٍّ يواجهه، فإن هذه الحاجة تكون في أعلى درجاتها عند الإصابة بمرض السرطان، حيث تحوّل هذا المرض إلى «بعبع» في نفوس الناس، بسبب الاعتقاد الشائع بأنه يعني نهاية الحياة، وأن لا إمكانية للنجاة وتحقيق الشفاء منه.

ولشيء هذه الفكرة الخطأ، ورسوخها في النفوس، فإن اكتشاف الإنسان لإصابته بالسرطان تشكل صدمة كبيرة، قد تسبب له الانهيار النفسي، والاضطراب الفكري، وذلك ما يزيد ضعف مناعته أمام المرض، ويجعله فريسة سهلة لانتشاره وسيطرته، بينما تكون رباطة الجأش، والثقة والاطمئنان النفسي هو ما يعزز قوة المناعة، والقدرة على المقاومة، ويحفز كل العناصر الإيجابية في وجود الإنسان لمواجهة المرض.

ولا تقتصر الحاجة للمعنويات الرفيعة على المريض نفسه فقط، بل تشمل عائلته والمحيطين به، فكلما كانوا أكثر أملاً وتفاؤلاً، فإنهم يلهمون مريضهم الأمل والثقة، ويكون اهتمامهم به أكثر دقة وموضوعية.

في الماضي كان كسب الرهان والانتصار على السرطان إمكانية ضعيفة، لكن تقدم العلم، وتراكم الخبرة والتجربة الطبية، جعل الإمكانية في درجة أعلى، وهو ما





تثبته حقائق الواقع الخارجي، حيث تحتفل بلدان عدة كل عام بالناجين من السرطان. وذلك في اليوم الأول من شهر يونيو/ حزيران من كل عام. ويتم الاحتفال بهذا اليوم في أمريكا وإيطاليا، وهولندا، والهند، وماليزيا، وأستراليا، وأفريقيا الجنوبية، ودول أخرى، وانطلقت هذه الفكرة في ٢٠ نوفمبر ١٩٨٧م على يد (ميريل هاستنج) خلال المؤتمر العام الثاني للتحالف الوطني للناجين من مرض السرطان، الذي عقد في مدينة (نيومكسيكو) في الولايات المتحدة الأمريكية.

وتقوم بعض المدن والمستشفيات ومجموعات الدعم لمرضى السرطان بالاحتفال بهذا اليوم بتنظيم عدة فعاليات، على شاكله استعراضات، مهرجانات، معارض، مبادرات، وتقديم شهادات حيّة حول مقاومة المرض من أجل رفع معنويات المرضى الجدد.

يقول الدكتور نبيل تمام من البحرين: إن الناجين من السرطان هم تجارب حية للمرضى الجدد، ليثبتوا لهم أنهم قادرون على التغلب على المرض، وذلك لإثبات أن الحياة بعد تشخيص مرض السرطان واقع يجب التعامل معه، وخصوصاً أن المرض غير قاتل. وذكر أن هذه الفكرة تأتي في ظل الفكرة السائدة بأن أي شخص يصاب بالمرض فإن هذه هي نهاية الحياة، وهي فكرة خاطئة<sup>(١)</sup>.

وفي الأردن نظمت (مؤسسة ومركز الحسين للسرطان، جلسة للاستماع لقصص الناجين من مرض السرطان، بعنوان «قصص الأمل والحياة». ورغم اختلاف أعمار المتحدثين وبيئاتهم وحتى اهتماماتهم فقد جمعهم إصابتهم بالمرض وفوزهم جميعاً بالمعركة ضد هذا المرض<sup>(٢)</sup>.

وفي جدة وقفت الدكتورة نوره الزهراني أمام أكثر من ١٠٠ شخصية مجتمعية

(١) صحيفة الوسط ١/٦/٢٠١٤م. <http://www.alwasatnews.com/news/890930.html>

(٢) الرأي الأردنية ٢٦/٩/٢٠١٤م. <http://alrai.com/article/671935.html>





في احتفالية أقيمت بمناسبة اليوم العالمي للسرطان، لتعلن بكل قوة وعزيمة وإصرار انتصارها على إمبراطور كل الأمراض.

وقالت: «جئت اليوم لأقول لكم إن الإمبراطور خسر الكثير من جبروته، وبدأ يسقط تدريجياً عن عرشه، إن الشفاء بيد الله ثم العزيمة والإصرار والتحدّي لا مستحيل مع الإيمان بالله وقدرته والتوكل عليه».

وبمناسبة اليوم العالمي للسرطان ٤ فبراير لعام ٢٠١٧م كتب الدكتور (فيليب سالم) رئيس مركز سالم للسرطان في هيوستن مقالاً رائعاً، ومما جاء فيه: «في مثل هذا اليوم من كل سنة، تقف البشرية بخوف أمام هيبة «إمبراطور الأمراض». هذا «الطاغية» الذي يهدّد كل واحد منا، ولا يميّز بين غني وفقير، أميركي وعربي. لكن الظلمة تتبدد، ودائرة الضوء في آخر هذا النفق تكبر وتتسع. هل كنت جالساً إلى التلفزيون في ٢٠ كانون الثاني (يناير) تشاهد حفل تنصيب الرئيس الجديد للولايات المتحدة؟ وهل تعرفت إلى الرئيس السابق جيمي كارتر الذي كان يجلس إلى المنصة؟ هذا الرجل أصيب منذ أربع سنوات بسرطان الجلد Melanoma، وكان المرض قد انتشر إلى الدماغ. يومها لم يتوقع أحد أن يبقى كارتر على قيد الحياة. وها هو اليوم يتمتع بصحة جيدة وليس هناك ما يشير إلى بقايا المرض عنده. لم يكن ذلك أعجوبة. كان ذلك ثمرة البحث العلمي، ونتيجة لإخضاع كارتر لعلاج جديد اسمه keytruda، وهو أحد العلاجات الحديثة التي تقوي وتدعم جهاز المناعة في الجسم بحيث يصبح قادراً على التعرف إلى الخلية السرطانية وبالتالي قادراً على تدميرها»<sup>(١)</sup>.

## منابع الأمل والرجاء

في عقيدتنا وثقافتنا الدينية مفاهيم وتوجيهات تلهمننا الثقة والاطمئنان، وتبعث

(١) صحيفة الحياة ٣/٢/٢٠١٧م. <http://www.alhayat.com/m/story/19969995>







في نفوسنا الأمل والرجاء، لمواجهة مختلف الظروف الصعبة والأخطار البالغة،  
وحين يتهددنا المرض وإن كان بقوة السرطان، فإنّ إيماننا بالله تعالى وبقدرته  
ورحمته يجب أن يكون أقوى.

إننا نعتقد أنّ كلّ شيء بيد الله، وأنه تعالى من يقرّر حياتنا وموتنا، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ  
كِتَابٌ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٣٨]، إنّ أيّ مرض لا يستطيع إنهاء حياة إنسان قبل حلول  
أجله، وإذا حان الأجل فلن تدفعه عن الإنسان أقوى عوامل الصحة والنشاط.

وكم رأينا أشخاصاً يهدّد كيانهم المرض الشديد لكنهم يقفون على قيد الحياة  
لسنوات، وفي المقابل نرى أشخاصاً يختطفهم الموت فجأة وهم في أوج القوة  
وتمام الصحة.

وكما يقول الشاعر:

وكم من صحيح مات من غير علةٍ

وكم من سقيم عاش دهرًا إلى دهر

فالسرطان ليس نهاية الحياة، لأنّ نهاية الحياة يكتبها الله وحده بعله أو بغير علة.

وتوجهنا التعاليم الدينية للالتجاء إلى الله تعالى في كلّ محنة تحيط بنا، أو شدة  
نمرّ بها، ولن يُعجز إرادة الله أيّ مرض، فهو على كلّ شيء قدير، وهو الذي يجيب  
المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، يقول تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ  
وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ [سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٣-  
٨٤].

وعلى المؤمن أن يكون واثقًا باختيار الله تعالى له، ويفوض أمره إليه، ويرجو  
رحمته وفضله.

إنّ كلّ الحقائق والتجارب تؤكد أهمية روح الأمل والمعنويات الرفيعة، لمساعدة





المريض في إنجاح برامج علاجه، وللتغلب على آثار المرض وتداعياته، إضافة إلى ما يناله المريض من ثواب الله تعالى إذا ما تحلى بالصبر والثقة بالله والتوكل عليه.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **فِيمَا أَوْحَى اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ: يَا مُوسَى، مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، وَإِنِّي إِنَّمَا ابْتَلَيْتُهُ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَعَافِيهِ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا يَصْلُحُ عَبْدِي عَلَيْهِ، فَلْيَصْبِرْ عَلَيَّ بَلَائِي، وَلْيَشْكُرْ نِعْمَائِي، وَلْيَرْضَ بِقَضَائِي، أَكْتُبُهُ فِي الصِّدِّيقِينَ** <sup>(١)</sup>.

### تضافر الجهود

أمام زحف هذا المرض الخطير لا بُدَّ من تضافر الجهود الرسمية والأهلية، من أجل بث الوعي الوقائي، والتشجيع على الفحص المبكر، وتهيئة وسائل التوعية وإجراء الفحوصات، وإرشاد المصابين للجهات التي تفيدهم، ومساعدتهم في الوصول إلى أفضل فرص العلاج، ونشر ثقافة التعامل الإيجابي لمواجهة المرض، في أوساط المصابين وذويهم.

إن التقارير التي يصدرها السجل السعودي للأورام بمستشفى الملك فيصل التخصصي، ومركز الأبحاث تحت إشراف وزارة الصحة، تستوجب بذل المزيد من الجهود لوضع حدٍّ لتصاعد أرقام الإصابات، وللمساعدة المصابين.

فقد بلغ المعدل المعياري للإصابة بالسرطان ٨٥,٥ لكل ١٠٠,٠٠٠ من السكان (٩, ٨٠ بين الرجال و ١, ٩٠ لدى النساء)، وسجلت المنطقة الشرقية أعلى معدل لحدوث حالات السرطان بمعدل ١١٧,٧ في كل ١٠٠ ألف من السكان بين الذكور، والأعلى بين السيدات، بمعدل ١١٨,٩ في كل ١٠٠ ألف سيدة.

ويمكن للجمعية السعودية الخيرية لمكافحة السرطان أن تشكل إطارًا لتضافر الجهود الأهلية على هذا الصعيد، وقد تأسست الجمعية بعد موافقة وزارة الشؤون

(١) بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٣٤٨.





الاجتماعية في ٢٩/٤/١٤٢٤هـ، وتهدف إلى تقديم الدعم والمساندة لأولئك المرضى الذين ابتلوا بهذا المرض والحدّ من انتشار الإصابة به. ولها عدة فروع في عدد من مدن المملكة كالرياض وجدة والمدينة المنورة والمنطقة الشرقية.

وأنشئ فرع لهذه الجمعية في القطيف بتاريخ ١٩/٧/١٤٣٠هـ، حيث يقوم بدور فعّال في نطاق الإمكانيات المتاحة، ونأمل أن يرفده المجتمع بالمزيد من الدعم والتفاعل، ليستطيع خدمة أهداف إنشائه، وهي:

■ تثقيف وتوعية المجتمع بأمراض السرطان (أسبابها ومعالجتها والوقاية منها).

■ العمل على رعاية وخدمة مرضى السرطان وذويهم معنوياً واجتماعياً.  
■ تأهيل وتطوير الكوادر الطبية والصحية من خلال عقد الندوات والمؤتمرات وورش العمل.

■ تدريب الكوادر التطوعية التي تسند نشاطات الجمعية.  
إنّ مستوى تحقيق هذه الأهداف يتحدد بمدى مشاركة ودعم أبناء المجتمع، بالتحاق الأعضاء المتطوعين، وتوفير الإمكانيات المالية.





20  
فبراير



## اليوم العالمي للعدالة الاجتماعية

### العدل غرض الرسائل ووظيفة الدولة

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾

[سورة الحديد، الآية: ٢٥].

ينال مفهوم العدالة الاجتماعية قسطاً وافراً من الاهتمام، ضمن أروقة الدارسين والمنظرين، ودوائر صنع القرار عبر العالم. وبمناسبة اليوم العالمي للعدالة الاجتماعية، المصادف للعشرين من فبراير من كل عام، الذي أعلنته الأمم المتحدة سنة ٢٠٠٧، تحث الأمم المتحدة في هذه المناسبة، مختلف الحكومات، ومنظمات المجتمع المدني، ووسائل الإعلام، على طرح وتعزيز مسألة العدالة الاجتماعية، والاجتهاد في الدعوة إليها، وتحقيقها في مجتمعاتهم.

### الحقوق وتساوي الفرص

ويتلخص مفهوم العدالة الاجتماعية، في أن تتمتع كل طبقات وأفراد المجتمع بحقوق وفرص متساوية. حيث يمكن أن يطال غياب العدالة الاجتماعية الأفراد تارة، فيعيشون مظلومين مهمشين، وتارة أخرى ربما أرخى بظلاله القاتمة على فئات اجتماعية واسعة، ليعيش جميع أفراد هذه الفئة حالة من التهميش والحرمان، من حقوقهم الطبيعية.





وبذلك تعني العدالة الاجتماعية أن يعيش الجميع متساوين في الحقوق وفرص الحياة الحرّة الكريمة، فلا يكون هناك تهميش لأحد، ولا محاصرة أو تقليص لفرصه في التمتع بالحقوق الأساسية في الحياة. كما تعني التوزيع العادل للثروة والموارد، إضافة إلى وجود الضمان الاجتماعي للحالات الخاصة، من شرائح كبار السن، والمرضى، وذوي الاحتياجات الخاصة. فلا يكون هناك في المجتمع فئة أو شريحة أو طبقة، تعاني التهميش والعيش كمواطنين من الدرجة الثانية؛ نتيجة لانتمائها العرقي أو الديني أو الجنسي، وتقتضي العدالة الاجتماعية أيضًا، ألا تعيش فئة في المجتمع حالة من الدونية الحقوقية والاقتصادية، كالنساء، والعمالة الوافدة.

### العدالة هدف الأنبياء

إنّ العدالة الاجتماعية بالمعنى الشامل لها، تمثل هدف الرسالات السماوية. ذلك أن أنبياء الله لم يبعثوا لإشاعة الأجواء العبادية والروحية في مجتمعاتهم وحسب، وإن كان من صميم مهمتهم الرسالية توجيه الناس نحو عبادة الله، غير أن الاستهداف الأساس لهم أن تهيب هذه العبادة الناس لإقامة العدل فيما بينهم، في شتى مجالات الحياة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، فقد جاء أنبياء الله بالبينات لا بالادّعاءات المجردة، وعضدوا رسالاتهم بالأدلة والبراهين، بعيدًا كلّ البعد عن الخرافات والأوهام والشعارات. وشفعوا دعواتهم بالميزان، في إشارة إلى إقامة العدالة بين الناس، الذين هم شركاء جميعًا في هذه الحياة، قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾، لذلك لا يصحّ أن تستأثر فئة بإمكانات وامتيازات الحياة، على حساب الفئات الأخرى.

### لا استقرار ولا أمن في غياب العدل

ويمثل تحقيق العدالة ضمانا لاستقرار الحياة الاجتماعية، وأمن الأوطان. حيث إنّه من البديهي جدًّا، إذا ما شعرت فئة بالتهميش على خلفية انتمائها العرقي أو





الديني، فإنّ هذه الفئة لا محالة ستتحرك من أجل نيل حقوقها المشروعة، أسوة بباقي الفئات، وربما اندفعت للخوض في ممارسات تخلّ بالأمن والاستقرار. إنّ توفر العدالة هو عامل رئيس هام لحماية المجتمعات من الاضطرابات، وحالات التمرد، وارتفاع نسب الجريمة، والإخلال بالأمن. وهذا ما التفتت إليه الدول والمؤسسات المتقدمة، التي تعتقد أنّ تفاقم الاضطرابات وتزايد حالات الإخلال بالأمن، المتمثل في ارتفاع نسب العنف والجريمة، ينبغي أن يوازيه البحث الجدي عن الأسباب أولاً، والمرجح أن يكون في طليعتها التهميش، وغياب العدالة الاجتماعية لدى الفئات الضالعة في حالات الإخلال بالأمن، لذلك يمثل محيط التجمعات والأحياء الفقيرة المهمشة، التي تنفّس فيها البطالة والفقر والأزمات، يمثل البؤرة المناسبة والبيئة الحاضنة لمختلف الأزمات.

إنّ معالجة الظواهر السلبية الناتجة أساساً عن غياب العدالة الاجتماعية، لا يكون من خلال الإجراءات الأمنية فقط، وإنما عبر التنمية المتوازنة، ومعالجة مشاكل الناس. إذ إنه ما لم تتم معالجة الأرضية لنشوء الظواهر السلبية فإنّ ذلك نذير باستدامة هذه الحالات، حيث لن يقدم القمع الأمني حلاً جذرياً للمشكلة، كما يمكن أن يتخيّل البعض. ذلك أنّ البيئة الحاضنة ستبقى ولادة لحالات العنف والإجرام، وهذه سنة الحياة في كلّ المجتمعات.

من هنا ينبغي الوقوف على أسباب الاضطرابات المشتعلة في العالم العربي في الآونة الأخيرة. ولعلّ جانباً من الأسباب الرئيسة يكمن في الإخفاق في تحقيق التنمية، واستمرار حالات التهميش والحرمان. وطبقاً للتقارير الدولية، هناك ما يربو على ١٠٠ مليون إنسان في العالم العربي تحت خطّ الفقر، أي إنّ ثلث المواطنين العرب هم من الفقراء، فما المتوقع من هذا العدد الهائل من البشر الذين يرزحون تحت خطّ الفقر، وهم يعيشون في بلدان حباها الله بالثروات والموارد الطبيعية الهائلة، أو ليس الحالة المتوقعة هي نشوء ظواهر التمرد وحالات الإجرام والإخلال





الأمّن؟ وفي سبيل الحدّ من هذه الظواهر ينبغي أن يجري تحقيق التنمية العادلة في البلاد العربية، مقدمة لتحقيق الاستقرار، والنأي بشعوبها عن الاضطرابات.

إنّ المسلمين الذين يولون اهتمامًا كبيرًا ببناء المساجد وإقامة العبادات، وإحياء شعيرة الحج، ينبغي أن يعلموا بأنّ الهدف الرئيس من الدين هو إقامة العدل بين الناس. فما الجدوى من إقامة ملايين المساجد في البلاد الإسلامية، في حين يريزح مئات الملايين من المسلمين تحت خطّ الفقر والتمييز والحرمان؟!

والمأمول أن يثير الاحتفاء باليوم العالمي للعدالة الاجتماعية، التفكير في تحقيق العدالة، بالالتفات إلى المناطق المهمّشة الفقيرة في بلادنا. لأنّ الأرضية الخصبة لكلّ أشكال التمرد والعنف هي الفقر وغياب التنمية العادلة المتوازنة، وبدون ذلك لن نستطيع السيطرة على الظواهر السلبية التي تهدّد مجتمعاتنا، والهبوط بحالات العنف والتمرد إلى أدنى مستوياتها.

### العدل غرض الرسائل ووظيفة الدولة

يندفع كل إنسان في هذه الحياة من أجل تحقيق رغباته وخدمة مصالحه، ولأنّ المصالح في الحياة مشتركة بين الناس، يحصل تضارب وتصادم، فيعتدي هذا على حق هذا، ويتجاوز هذا على حدود ذلك، كأفراد أو كجماعات.

من هنا شعر الإنسان منذ الأيام الأولى لوجوده الاجتماعي بالحاجة إلى قيادة وإدارة، ومع مرور الزمن تبلورت فكرة الدولة في المجتمع البشري، هذه الدولة مهمتها أن تنظم حياة الناس، بوضع القوانين والأنظمة، والعمل على تطبيقها. لتضمن الدولة لكل فرد فيها حياة كريمة، وأمنًا بحيث لا يعتدي أحد على حقه، وأهم وظيفة تناط بالدولة هي إقامة العدل بين الناس، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالأدلة والبراهين الواضحة، ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ وهو الشريعة والدين، ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ أي المعايير والمقاييس في حياة البشر نابعة من فطرتهم وعقولهم،







هذه المعايير هي التي تجعل الناس يبحثون عن العدل والحق، وتجعلهم ينفرون من الظلم والباطل. ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ والقسط هو العدل.

### فلسفة وجود الدولة

لا بُدَّ من وجود إدارة في المجتمع البشري، تحفظ النظام العام، وتنفذ القوانين والأنظمة التي تحمي حقوق الناس فيما بينهم. ولتقريب الصورة نأخذ مثلاً نظام المرور، كل إنسان يقود سيارته ليصل إلى وجهته، ولكن لا بُدَّ من نظام مرور حتى تسير الحركة بيسر، وإذا ما انعدم هذا النظام يكون هناك تعارض وتصادم، كما نلاحظ عند انطفاء إشارة المرور حيث قد تشل الحركة وتقع الحوادث.

لا بُدَّ من وجود النظام في كل مجال، ومهمة الدولة في المجتمع البشري هي تحقيق العدل، ولكننا نجد في ماضي التاريخ وحاضره أن الدولة قد تتنكر لوظيفتها وتصبح أداة للظلم، وتستأثر بالثروات والخيرات على الناس. الدولة لا تملك الثروات، بل هي من ينظم استفادة الناس من هذه الثروات، وتحمي تكافؤ الفرص بين الناس، وإذا انحرفت أي دولة عن هذا المنهج فذلك يعني أنها خالفت الهدف الأساس من قيامها ووجودها، وحينئذٍ قد تكون سبباً لفقدان الاستقرار، ولذلك ينبه أمير المؤمنين علي عليه السلام أحد ولاته: « اسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ وَ احْذَرِ الْعَسْفَ (أي الاعتداء) وَالْحَيْفَ (أي الظلم) فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلَاءِ وَالْحَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ »<sup>(١)</sup>.

### الحاكم العادل أو النظام العادل

في الماضي كان الفلاسفة والعلماء يتحدثون عن شخص الحاكم العادل، كما كان أفلاطون يركز على هذا الجانب، حيث يرى أن الحاكم ينبغي أن يكون فيلسوفاً عالمًا حتى يستطيع تحقيق العدل بين الناس، وبعض علماء المسلمين أيضاً ركزوا

(١) الموسوي: محمد الرضي بن الحسن، نهج البلاغة، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، (بيروت: دار الكتاب اللبناني)، حكمة ٤٧٦.





على عدالة شخص الحاكم. لكن المجتمعات المتقدمة تجاوزت هذه المرحلة، فالمسألة لا ترتبط بشخص الحاكم فقط، وإنما بسياسات ومؤسسات النظام، فكل النظام ينبغي أن يكون عادلاً، وليس شخص الحاكم فقط. فقد يكون شخص الحاكم عادلاً، لكن ذلك لا يفيد إذا كانت الأنظمة غير عادلة. ولا تتيح للناس تكافؤ الفرص، فإن العدل بين أبناء المجتمع لا يتحقق.

في المجتمعات الغربية أصبحت الأنظمة أقرب إلى العدالة، لم تصل بعد إلى المستوى المطلوب، وفق القيم الإسلامية، ولكنها نسبة إلى واقع الدول الأخرى في مستوى متقدم. الشعوب في الدول المتقدمة يشعرون برضا عن تكافؤ الفرص عندهم، وبإمكانهم المشاركة في اتخاذ القرار، فالدولة لا تستأثر بذلك، بل بإمكان أي فرد أن يطمح للحصول على مقعد متقدم في الدولة، وصولاً إلى رئاستها. لو سألت شاباً أمريكياً مثلاً: هل يمكن أن تصبح يوماً من الأيام رئيساً لأمريكا؟ فلن يكون السؤال غريباً بالنسبة له، وقد يجيبك بنعم. ولكنك لو سألت شاباً عربياً نفس السؤال فسيظن أنك تهزأ به!

هناك أنظمة ارتضتها تلك المجتمعات أنها تناسب وضعها، والمجال مفتوح أمامهم للتغيير والتطوير، ولذلك حياتهم أقرب إلى الاستقرار، وإنجاز التقدم، بينما مجتمعات العالم الثالث لا تزال تتخبط في الصراعات والقلاقل، ونحن نرى الآن ما يجري في الشرق الأوسط، حيث لا تكاد تجد بلداً إلا وفيه ثورة أو تمرد وانتفاضة، أو تمللم واحتقان، لأن كثيراً من هذه الدول لم تصل إلى النظام العادل الذي يحقق تكافؤ الفرص بين أبناء المجتمع.

الدين الإسلامي يؤكد على هذا الجانب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ أي العدل. والإمام علي بن أبي طالب يقول: «العدل جنة الدول»<sup>(١)</sup> أي

(١) التميمي: عبدالواحد الأمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، طبعة ١٤١٠هـ، (بيروت: دار الكتاب الإسلامي).





الدول التي تريد الاستقرار فلا بُدَّ أن ترسخ وتشر العدل بين الناس فهو الحصانة والدرع لكيان الدولة. ويقول أيضًا: «العدل يصلح الرعية»<sup>(١)</sup> و: «بالعدل تتضاعف البركات»<sup>(٢)</sup> حيث تكون فرص التنمية متاحة للناس. ويقول أيضًا: «ما عمرت البلاد بمثل العدل»<sup>(٣)</sup>.

هكذا يؤكد الإسلام على أهمية العدل. وورد في تراث المسلمين: «أن الملك يدوم بالعدل مع الكفر، ولا يدوم بالظلم مع الإسلام» لأن الظلم دمار ويخلق أرضية للاضطرابات.

(١) المصدر السابق.

(٢) النوري: حسين بن محمد تقي بن علي، مستدرك الوسائل، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ، (بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث)، ج ١١، ص ٣٢٠.

(٣) مستدرك الوسائل، ج ١١، ص ٣٢٠.







## اليوم العالمي للمرأة

### تكافؤ الفرص بين المرأة والرجل

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩٥].

ظَلَّتْ النظرة الدونية للمرأة سائدة على مدى عهود طويلة، إلى أن جاء الإسلام ليحارب هذا السلوك العنصري تجاهها. فقد ظهر الإسلام في ذروة التمييز وتفشي النظرة الدونية للمرأة، وهيمنة الثقافة القائمة على تفضيل الرجل عليها، واعتبارها في مرتبة أدنى من الرجل من حيث القيمة والاعتبار. وقد تكرّست هذه النظرة انطلاقاً من هيمنة الرجل واستمرار خضوع المرأة له؛ نظراً لحاجتها لحمايته ورعايته. فجاء الإسلام لينسف هذه الثقافة البالية، ويزرع مكانها ثقافة المساواة والتكافؤ بين الجنسين لجهة القيمة والاعتبار.

إن تمايز دور المرأة عن دور الرجل في الحياة العائلية ينبغي ألا يترتب عليه تمايز في القيمة والاعتبار. إذ من الصحيح أن هناك اختلافاً تكوينياً وبيولوجياً بين جسم الذكر وجسم الأنثى، ما يعني وجود تمايز في الوظيفة والدور لكل منهما، حيث يُحدّد التكوين الجسدي للمرأة دورها الحيوي في التناسل البشري، من خلال الحمل والرضاعة، ورعاية الطفل، خاصة في المراحل الأولى من حياته، غير أن جميع ذلك





ينبغي ألا يترتب عليه تمايز في القيمة والاعتبار، على نحو يجعل من قيمة الرجل، بما هو رجل، أعلى مرتبة من قيمة المرأة، بما هي امرأة، ليكون حينئذ كل رجل هو أفضل من كل امرأة.

جاء الإسلام ليقرر على نحو حاسم، بأن ليس هناك تفاضل بين الرجل والمرأة لجهة القيمة الإنسانية. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾.

وسعيًا نحو تركيز حقيقة المساواة والتكافؤ بين الجنسين أورد القرآن الكريم العديد من الآيات التي خاطبت الذكر والأنثى على قدم المساواة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾.

وجاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وورد في آية ثالثة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

وعلى هذا النحو تكررت مخاطبة الذكر والأنثى على السواء في العديد من الآيات القرآنية، كل ذلك في سبيل تعزيز المساواة بين الذكر والأنثى في مجتمع ظل طويلاً معتقداً بتميز الرجل على المرأة، بل إن الواحد منهم كان يستنكف من أن يذكر إلى جانب المرأة. وقد استمرت هذه الحالة إلى أوقات قريبة حين كان البعض يردد عبارة: «أجلكم الله أو أكرمكم الله» كلما جاء على ذكر المرأة في حديثه، الأمر الذي يشير إلى الشعور الداخلي والتصور المسبق على اعتبار الرجل أفضل من المرأة، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ





وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ  
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾.

### معايير التفاضل

إنّ القرآن يشير إلى أنّ الرجل والمرأة كفرسي رهان في السباق نحو مكارم الأخلاق. فالأنوثة لا تعني الدونية بأيّ حالٍ من الأحوال، كما لا تعني الرجولة التمييز والتفوق، وإنما تتحدّد معايير التمييز والتفوق في أمور ثلاثة؛ يأتي في طليعتها التحلي بالتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وبذلك لا يكون الرجل غير التقيّ أفضل من المرأة التقيّة، لمجرد كونه رجلاً، ويأتي العلم باعتباره المعيار الآخر للتمييز بين الناس رجالاً ونساءً، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، وجاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً، وأقل الناس قيمة أقلهم علماً»<sup>(١)</sup>، فإذا توفرت امرأة على العلم في أيّ مجالٍ من المجالات، وإلى جانبها رجل لا يمتلك علماً، فهل يستقيم القول بأن ذلك الرجل الجاهل، أفضل من تلك المرأة العالمة؟ كلا.

أمّا المعيار الثالث للتمييز فهو العمل الصالح، فمتى كان للمرأة رصيد وافر من العمل الصالح، قياساً على رجل لا يملك مثل ذلك الرصيد، فليس من المعقول أن يكون أفضل منها لمجرد كونه رجلاً، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾، وجاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾. وبذلك يكون المعوّل في التفاضل بين الرجل والمرأة قائماً على هذه المعايير الثلاثة؛ التقوى، العلم، العمل الصالح، فمن كان أكثر التزاماً بها فهو الأفضل، سواء كان رجلاً أم امرأة.

(١) الشيخ الصدوق: محمّد بن علي بن بابويه القميّ، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ج ٤، الطبعة الثانية، (قم المقدسة: جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية)، ص ٣٩٥، حديث ٥٨٤٠.





## أهلية المرأة للتفوق

لقد أثبت التطور البشري في هذه العصور، أن حجر الزاوية في مسألة تفوق المرأة أو الرجل، يعود إلى مدى الفرص المتاحة أمام كل منهما. وذلك بخلاف النظرة السائدة على مدى حقب طويلة، التي اعتمدت على القوة الجسدية باعتبارها المعيار الأساس للمفاضلة بين الرجل والمرأة. وبما أن كفة القوة الجسدية تميل لصالح الرجل، وهو المتصدّي للمشاركة في الحروب والمعارك، فقد اعتبر ذلك سبباً كافياً لبسط هيمنته على المرأة، وكانت له السيادة المطلقة عليها. ويعود السبب الأساس إلى فتح المجال واسعاً أمام الرجل حصراً على حساب المرأة، ونيله نصيب الأسد من الفرص المتاحة، في مقابل انعدام الفرص أمام المرأة، ما جعل الرجل يبدو في وضع أكثر كفاءةً وتفوقاً عبر التاريخ.

ولعلّ حالة المرأة تشبه إلى حدّ كبير حالة المجتمعات والشعوب التي لا يحظى أبناؤها بفرص متساوية. فالمجتمعات التي تحظى بفرص أكبر، تزداد في أوساطها الكفاءات في مختلف المجالات، فيما تتضاءل الكفاءات طردياً في المجتمعات المضطهدة، حيث لا يحظى أبناؤها بفرص متكافئة مع غيرهم. وبذلك لا يعود سبب تضائل الكفاءات في المجتمعات المضطهدة إلى ضعف القابلية عند أبنائها، بقدر ما يعود إلى انعدام مبدأ تكافؤ الفرص أمام الطرفين.

وكذلك الحال بين الرجل والمرأة، فقد سادت عبر التاريخ البشري المعادلة التي تتيح للرجل الهيمنة، وتفتح أمامه كلّ الفرص، في مقابل انسداد الأفق أمام المرأة، لذلك لم يتسنّ للمرأة إبراز قدراتها وكفاءاتها، فبدأ أن الرجل أكثر قدرة وأكثر تأهيلاً، حتى اعتقد البعض أن عقل الرجل أكبر من عقل المرأة تكويناً، وأن كفاءته الذهنية تفوق المرأة، وقدراته العامة في القيادة والإدارة تتجاوز قدرات المرأة.

غير أن جميع ذلك قد تعيّر مع التطورات البشرية والتقدم الهائل على كلّ الصُّعد،







الذي أتاح للمرأة فرصًا متساوية مع الرجل، ليتبين أن كل تلك المقولات عن قصور المرأة العقلي والذهني والنفسي لا أساس لها، حيث باتت المرأة تنافس الرجل في المضمار العلمي على مستوى الأبحاث والاكتشافات وسائر المجالات، ما يعني أن المرأة لا ينقصها شيء لجهة النبوغ العلمي والقابلية المعرفية. وقد أثبتت الأبحاث العلمية في قياس الذكاء البشري عدم وجود قابلية متميزة لدى الرجل تفوق ما عند المرأة في مجال العلم والمعرفة. وغاية ما توصلت إليه الأبحاث أن الرجل قد يتفوق على المرأة في بعض الجوانب، لكنها في الوقت عينه قد تتفوق عليه في جوانب أخرى. وإجمالاً، ليس هناك ما يدعو للاعتقاد بأن قابلية المرأة أدنى من قابلية الرجل في تلقي العلم والمعرفة، كما في سائر المجالات.

### المرأة ومؤهلات القيادة

وعلى هذا النحو، كان مجال القيادة والإدارة حكراً على الرجل في أغلب فترات التاريخ، غير أن التطور البشري وتبلور الحسّ الإنساني في المجتمعات، دفع إلى فتح المجال أمام المرأة، ما جعلها تنافس الرجل في المواقع القيادية، فهناك اليوم تسع عشرة سيّدة يشغلن مناصب رئاسة الحكومة في العالم، ومن بينها دولة مهمّة، هي ألمانيا التي ترأس حكومتها المستشارة انغيلا ميركل، وكذلك الحال في الأرجنتين والبرازيل، وتقلّدت بعض النساء أعلى المناصب العسكرية في بلدانهنّ، سيّما وأنّ العمل في هذا المجال لم يعد مرتبطاً بالقوة العضلية، بقدر ما بات مرتبطاً بالقدرات العلمية والتكنولوجية، والكفاءة في التعامل مع الأجهزة والمعدات، ووسائل الاتصال والمعلومات، فبات هناك خمس نساء يتقلدن مناصب وزارة الدفاع في ألمانيا وإيطاليا والسويد والنرويج وهولندا.

علاوة على ذلك، هنالك امرأتان ترشّحتا لتولّي أعلى المناصب القيادية في العالم، فهناك هيلاري كلينتون المرشّحة لمنصب رئيس الدولة الأعظم في العالم؛ الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك امرأة أخرى بلغارية مرشّحة لتولي منصب





الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة، بعد انتهاء فترة رئاسة الأمين العام الحالي بان كي مون. وبذلك أثبتت المرأة أنّ قدراتها لا تقلّ عن الرجل متى ما أُتيحت لها الفرصة كاملة، على خلاف ما كان سائداً في الماضي.

وقد احتفل العالم قبل أيام باليوم العالمي للمرأة، المصادف ليوم الثامن من شهر مارس من كلّ عام. الذي أقرته الأمم المتحدة سنة ١٩٧٧، ودرجت العادة أن يجري خلال الاحتفالات بهذا اليوم، التأكيد على أفكار المساواة، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص بين الجنسين، وإعادة الاعتبار لدور المرأة في المجتمعات التي ما تزال تنتقص من ذلك الدور.

### حرمان المرأة باسم الدين

إنّ من العناصر التي يفتخر بها المسلمون أنّهم أتباع دين استطاع تغيير النظرة السلبية عن المرأة، التي كانت سائدة على مدى حقب تاريخية طويلة. غير أنّ ما يدعو للأسف أنّ واقع المسلمين الراهن، حيال موضوع المرأة، لا يتناسب مع رؤية الإسلام في الكثير من البلدان والمجتمعات، إذ يقول الإسلام شيئاً، فيما الواقع على الأرض يحكي شيئاً آخر، حيث ما تزال تُنتقص حقوق المرأة في الكثير من البلدان الإسلامية، ويُنظر إليها نظرة دونية، ولا تتوفر لها الأجواء المناسبة، ولا الفرص المتكافئة، للمشاركة في تنمية المجتمع.

وتمثل المرأة نصف المجتمع، وحين يجري عليها الظلم يكون نصف المجتمع مظلوماً. وذلك ينعكس سلباً على تنمية المجتمع وتطوره، وهذا أحد جوانب التخلف في مجتمعاتنا. ولو تناولنا مسألة البطالة التي تؤرّق بلادنا باعتبارها مؤشراً، فسنجد الارتفاع الهائل في نسبة البطالة في صفوف النساء، سيّما في أوساط حاملات الشهادات الجامعية، فهناك عشرات الآلاف منهنّ يقبعن في البيوت؛ لعدم حصولهنّ على فرص العمل، بعد أن أفنين زهرة شبابهنّ في التحصيل الدراسي، والتغرّب





خارج البلاد لسنوات كما في حال بعضهنّ. ولنا أن نتصور حجم الخسارة التنموية عندما يكون هناك الآلاف من الكفاءات المعطلة المهملة. ما يقود إلى السؤال عن السبب في حرمان المرأة من المشاركة والعطاء في خدمة وطنها وتنمية مجتمعتها!

والأسوأ في الأمر أن يجري التمييز والإساءة للمرأة تحت عنوان الدين، إذ كيف سينظر الناس إلى الإسلام إذا نسبت إليه شتى أنماط الإساءة الواقعة على المرأة، من الظلم والتمييز، والنظرة الدونية، وغياب تكافؤ الفرص أمامها؟! أوليس في ذلك أعظم إساءة إلى الدين؟! وضمن هذا السياق أثار إعجابي كتاب وضعه أحد علماء الدين في المنطقة واختار له عنواناً جميلاً هو «دفاعاً عن الإسلام لا عن المرأة»<sup>(١)</sup>، أي إنّنا عندما نثير مسألة حقوق المرأة، فإننا بذلك لا ندافع عن المرأة فقط، وإنّما نقوم بتبرئة ساحة الإسلام من الممارسات التي تنسب إليه، وهي أبعد ما تكون عنه، وما هو إلاّ الفهم السيء، والتطبيق الخطأ، ما ينتهي إلى تشريعات منحازة ضدّ المرأة.

### تيّار التشدّد ضدّ المرأة

إنّ بلادنا تعاني من وجود تيّار ديني متشدّد، يمعن في ظلم المرأة ويرفض إنصافها، ويمانع إتاحة الفرص أمامها. وقد برزت مبكراً ممانعة هذا التيار المتشدّد لحقوق المرأة، فحين أقرّ التعليم الرسمي في البلاد، اقتصر على الذكور، ولم يجر إقرار تعليم البنات إلاّ بعد سنوات طويلة؛ لأنّ هذا التيار المتشدّد ظلّ يقف حجر عثرة أمام تعليم المرأة، استناداً إلى مرويات غير ثابتة، وفهم ديني خطأ يقول بمنع المرأة من تعلم القراءة والكتابة. وقد احتاجت البلاد إلى جهود كبيرة، حتّى جرى إقرار قيام مؤسسة حكومية خاصّة بتعليم البنات، على غرار تعليم الأولاد.

وقد برزت ذات الممانعة عند فتح باب العمل أمام المرأة، وكذلك الحال مع مشروعية مشاركة المرأة في إدارة الشؤون العامة، فقد تعنّت المتشدّدون طويلاً حيال

(١) العليوات: محمد، دفاعاً عن الإسلام لا عن المرأة، (بيروت: دار الإيمان) الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.





السماح بدخول المرأة في شؤون الولاية العامة حسب مصطلحاتهم المتداولة، برفضهم لتبوء المرأة أيّ منصب وزاري أو نيابي، بل إنّ بعضهم بالغ في القول إنّ الأفضل للمرأة ألاّ تخرج من بيتها. إنّ هذا الفهم المتشدّد ساهم بقوة في تعطيل التنمية، وشوّه سمعة الإسلام، ليس أمام الآخرين وحسب، وإنّما أمام الأجيال الصاعدة من أبناء الأمة أيضًا.

وبالرغم مما سبق، فقد تحقّق بعض التقدّم على صعيد حقوق المرأة. حيث أُقرّ منذ زمن التعليم العام للجنسين، وأُتيحت بعض الفرص لعمل المرأة، ودخلت المرأة عضوًا في مجلس الشورى، وشاركت في الانتخابات البلدية مرشّحة وناخبة، وعلى هذا النحو بدأت المرأة تنال بعضًا من حقوقها، وتشارك في تنمية مجتمعتها، ونأمل استمرار هذه المسيرة، إلى أن تتبوأ المرأة مناصب وزارية ودبلوماسية، سيّما وأننا نرى على المستوى الإقليمي والإسلامي كثيرًا من النساء تبوأن مناصب عليا في بلادهنّ.

إنّ النمو الطبيعي لأيّ مجتمع ينبغي أن يصاحبه مشاركة أوسع للمرأة في تنمية مجتمعتها ووطنها. إنّ من المؤسف أنّنا ما نزال نتحدّث عن حقّ المرأة في قيادة السيارة، في الوقت الذي باتت المرأة عبر العالم تقود الطائرات بل وتقود الأوطان.

والأنكى من ذلك ما يجري على المرأة من معاناة كبيرة جرّاء القوانين المعوقة لحركتها، والبعيدة عن إنصافها، على صعيد الزواج والطلاق، وحقّ حضانة الأولاد، وغير ذلك. ومع تفاوت الآراء الفقهية حيال قضايا الأسرة، بين آراء موعلة في التشدّد، وآراء يطبعها التسامح ومواكبة العصر، لا نجد مبررًا لفرض الآراء المتشدّدة، إنّما ينبغي الاستفادة من تعدّد الآراء في الفقه الإسلامي، وترك الآراء المتشدّدة التي باتت تؤثر سلبيًا على أوضاع التنمية في مجتمعاتنا، ناهيك عن تشويهها لسمعة الإسلام أمام العالم، وأمام الجيل الصاعد من أبناء الأمة.





وبمناسبة اليوم العالمي للمرأة، ندعو للجرأة في إقرار المزيد من حقوق المرأة. ونؤكد في هذا السياق، على الجميع أن يتأملوا سلوكهم، ويفحصوا أفكارهم، لينظروا ما إذا كانوا يؤمنون بحقوق المرأة فعلياً، وأن لها حقوقاً مساوية للرجل، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «إن النساء شقائق الرجال»<sup>(١)</sup>، أم أنّهم ما يزالون يضمرون في نفوسهم بعضاً من الآثار الجاهلية التي تعتبر المرأة في مرتبة أدنى من الرجل؛ لأن من السهل أن يترنم البعض - على المستوى النظري - بحقوق المرأة، ويتغنى بالدفاع عن حريتها، لكنه فور عودته للمنزل يتعامل مع زوجته وبناته وفق الرؤية والهيمنة الذكورية، وهذا عين الازدواجية والتناقض الفكري. وحرّي بنا أن نتذكّر على الدوام الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ: «ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم»<sup>(٢)</sup>.

(١) المتقي: علاء الدين علي، كنز العمال، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ج ١٦، ص ٤٠٧، حديث ٤٥١٣١.

(٢) كنز العمال، ج ١٦، ص ٣٧١، حديث ٤٤٩٤٣.





20  
مارس



## يوم السعادة العالمي

### إسعاد الناس سعادة للذات

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [سورة هود، الآية: ١٠٥].

تحقيق السعادة في الحياة، وتجاوز التعاسة والشقاء، حلم وطموح لكل بني البشر، منذ أن وعى الإنسان وجوده على هذه الأرض، فكل إنسان يتطلع أن يكون سعيداً، ويسعى لتجنب الشقاء والتعاسة.

ولكن ما هي حقيقة السعادة؟ وكيف يمكن الوصول إليها؟

هذا ما اختلفت حوله آراء الناس، وفي طليعتهم العلماء والفلاسفة والمفكرون، فالجدل والنقاش حول هذه المسألة موجود من قديم الزمن.

### علماء اليونان

العلماء والفلاسفة اليونانيون الذي سبقوا أرسطو، رأوا أن أساس السعادة الإنسانية تكمن في أربع صفات نفسية، هي: الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة. من كان واجداً في نفسه لهذه الصفات الأربع فهو سعيد، ولا يضره ما قد يصيب جسمه أو حياته المادية.

وقد نقل عنهم ابن مسكويه في كتابه (طهارة الأعراق): إن الإنسان إذا حصل تلك





الفضائل، لم يضره في سعادته أن يكون ناقص الأعضاء مبتلى بجميع أمراض البدن. فلا ربط للسعادة - حسب رأيهم - بالجوانب المادية، وإنما هي صفات نفسية، من توفرت فيه يكون سعيداً، ومن نقصت عنده فهو شقي، مهما كان وضعه، ومهما كانت مقوماته الأخرى!

### المرتاؤون

بينما يرى بعض المرتاضين أن السعادة تتحقق بالكمال النفسي، والسمو في الجوانب الروحية، وأن ذلك يتناسب طردياً مع حرمان الجسم من الراحة واللذات والشهوات، فإذا أراد الإنسان أن يحقق السعادة، عليه أن يسعى لكمال روحه، ويرون أن التكامل الروحي نقيض الراحة الجسمية، فإذا أردت أن تتكامل روحياً ينبغي أن تعرّض جسمك للآلام، حتى إن بعضهم كان ينام على المسامير، أو كان يتعلق بأغصان الأشجار!

كانوا يقللون من الطعام والشراب، ويعيشون الخشونة في الحياة!!

### الحضارة المادية

أغلب الناس في الحضارة المادية الحديثة، يرون أن السعادة تتحقق بالوفرة المالية، والرخاء الاقتصادي، والانغماس في الملذات والرغبات والشهوات.

### الدين والسعادة

اهتمت الأديان الإلهية بالسعادة، واعتبرتها الغاية والمقصد من نزولها وتشريعها، فهي إنما جاءت من أجل سعادة الإنسان، وخاصة خاتمة الأديان الإلهية السماوية، والصيغة الأخيرة منها وهي الإسلام، فقد جاء هذا الدين من أجل أن يوصل الإنسان إلى السعادة الحقيقية وبأفضل السبل والطرق.

بالطبع إن الدين يرى أن حياة الإنسان لا تقتصر على دار الدنيا فقط، وإنما تمتدّ







إلى دار الآخرة، وهي دار الخلود والبقاء، وبالتالي فالدين معنيٌّ بإرشاد الإنسان إلى توفير السعادة في الدارين، وليس في الدنيا فقط.

ففي الآخرة ينقسم الناس إلى صنفين: أشقياء وسعداء، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ \* فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنَادُونَ فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ \* خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ \* وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَيَنَادُونَ فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [سورة هود، الآيات: ١٠٥-١٠٨]، من هنا فإن الدين معنيٌّ بإرشاد الإنسان إلى السعادة في الدارين، وحين تتحدث النصوص الدينية عن السعادة في هذه الحياة فإنها لا تحصرها في بُعدٍ واحدٍ من شخصية الإنسان وجوانب حياته.

السعادة ليست مجرد صفات نفسية كما قال فلاسفة اليونان، ولا مجرد رهبة وارتياض روحي كما تقول بعض توجهات المراتضين، وليست هي الانغماس في الملذات والشهوات والرغبات، بل هي حالة تكاملية، تشمل مختلف أبعاد حياة الإنسان.

إنَّ التأمل في النصوص الدينية التي تناولت موضوع السعادة يكشف عن ثلاثة أبعاد للسعادة:

### الأول: البعد الروحي والنفسي

ويتمثل في الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والثقة به، والتوكل عليه، والرضا بقضائه وقدره، وهو ما يعطي لحياة الإنسان معنى وقيمة.

فمن المشاكل الكبيرة التي يعاني منها إنسان الحضارة المادية، أن الحياة عنده ليست ذات معنى، ولا قيمة لها ولا هدف، فمع كل الرفاه الذي يعيشه، والرخاء الاقتصادي الذي ينعم به، وتوفر كل الملذات والشهوات، إلا أنه يعيش الفراغ





## الروحي المعنوي!!

والإيمان هو الذي يمنح الحياة قيمة ومعنى وهدفاً، لذلك نجد في بعض أوساط المجتمعات الغربية إقبالاً على الديانات، وبعضها خرافية أسطورية، لكنهم يقبلون عليها؛ لما يعانونه من فراغ روحي، وتشوش فكري حول معنى الحياة وهدفها وقيمتها.

بالإيمان يتوفر الإنسان على هذه المعاني، كما أن الصفات النفسية التي تتولد من خلال الإيمان، تمنح الإنسان التفاؤل والأمل والرجاء، فتكون إمكانيته للصمود أمام المشاكل والصعوبات والأزمات إمكانية عالية، وتشير النصوص الدينية إلى هذا البعد، كما ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: (ثَلَاثٌ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا سَعِدَ: إِذَا ظَهَرَتْ عَلَيْكَ نِعْمَةٌ فَاحْمَدِ اللَّهَ، وَإِذَا أَبْطَأَ عَنْكَ الرَّزْقُ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَإِذَا أَصَابَتْكَ شِدَّةٌ فَأَكْثِرِ مِنْ قَوْلِ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»)<sup>(١)</sup>.

ويوثق الإيمان ارتباط الإنسان بالقدرة المهيمنة على الغيب من أجل أن يستلهم الثبات والصمود، وأن يكون لحياته معنى وقيمة، وفي كلمة أخرى للإمام علي عليه السلام: «بِالإِيمَانِ يُرْتَقَى إِلَى ذِرْوَةِ السَّعَادَةِ»<sup>(٢)</sup>، وعنه عليه السلام: «سَعَادَةُ الْمَرْءِ الْقَنَاعَةُ وَالرِّضَا»<sup>(٣)</sup>.

## الثاني: الانسجام الاجتماعي

كلما كان الإنسان أكثر توافقاً وانسجاماً مع بيئته ومحيطه الاجتماعي كان أقدر على تحقيق السعادة في حياته، بينما إذا كان يعيش الأزمات والتنافر في بيئته و مجتمعه، فإن ذلك يسبب له التعاسة والعناء والشقاء، من هنا فإن على الإنسان أن يسعى لتحقيق الانسجام مع من حوله، بالمودة وحسن المعاشرة، ورد عن الإمام

(١) ابن شعبة الحراني: الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول، الطبعة الخامسة ١٩٧٤م، (بيروت:

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ص ٢٠٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ١٦٤، حكمة: ٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٧، حكمة: ٣٢.





علي عليه السلام أنه قال: «خُلُوْ الصَّدْرِ مِنَ الْغُلِّ وَالْحَسَدِ مِنْ سَعَادَةِ الْعَبْدِ»<sup>(١)</sup>، إذا كان قلب الإنسان صافياً من الغل والحسد، خالياً من المشاعر السلبية تجاه من يعيش معهم، فإن ذلك يحقق له السعادة والرضا، وورد عن النبي الأكرم محمد عليه السلام أنه قال: «أَرْبَعَةٌ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ: الْخُلْطَاءُ الصَّالِحُونَ، وَالْوَالِدُ الْبَارُّ، وَالْمَرْأَةُ الْمُؤَاتِيَةُ، وَأَنْ تَكُونَ مَعِيشَتُهُ فِي بَلَدِهِ»<sup>(٢)</sup>. وفي حديث آخر عنه عليه السلام: «أَسْعَدُ النَّاسِ مَنْ خَالَطَ كِرَامَ النَّاسِ»<sup>(٣)</sup>، الإنسان الذي يعيش ضمن مجموعة طيبة من الأصدقاء والزملاء، ممن تكون نفوسهم كريمة، وسلوكهم صالحاً، يكون من أسعد الناس.

### الثالث: الرفاه المادي

توفر الرفاه المادي، والرخاء الاقتصادي أحد عوامل تحقيق السعادة، وفي الحديث عنه عليه السلام: «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ»<sup>(٤)</sup>، والمركب هو وسيلة المواصلات المناسبة حسب كل زمن. وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مَتَجِرُهُ فِي بَلَدِهِ»<sup>(٥)</sup>، أي يتوفر له رزقه في بلده، فلا يكون مضطراً للاغتراب والابتعاد عن وطنه ومجتمعه. بالطبع لا بُدَّ من الإشارة إلى أن السعادة لا تتحقق بالرفاه المادي فقط، بل لا بُدَّ من توفر البعدين الآخرين، الروحي والاجتماعي، فبالأبعاد الثلاثة يتكامل تحقيق السعادة في حياة الإنسان، ويضمنها في مستقبله الأخروي.

(١) الواسطي: علي بن محمد الليثي، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، الطبعة الأولى، (قم: دار الحديث)، ص ٢٤٤، حكمة: ٤٦٣٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٠٣، ص ٢٣٦.

(٣) الشيخ الصدوق، الأمالي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، (قم: مؤسسة البعثة - قسم الدراسات الإسلامية)، ص ٧٣.

(٤) البروجردي: آقا حسين، جامع أحاديث الشيعة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، (قم المقدسة)، ج ١٦، ص ٨٦٠.

(٥) الكليني: محمد بن يعقوب، الكافي، طبعة ١٤٠٥هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ج ٥، ص ٢٥٧، حديث ١.





## يوم السعادة العالمي

قبل بضع سنوات التفتت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى الاهتمام بموضوع السعادة في المجتمعات البشرية، وأصدرت عام ٢٠١٢م تقرير السعادة العالمي، وحددت يوم ٢٠ مارس من كل عام يوماً للسعادة العالمي، وقد وضع الخبراء في الأمم المتحدة مقاييس ومعايير لتحديد مستوى السعادة في البلدان والمجتمعات، تدور معظمها حول جانبين: المادي والاجتماعي، منها:

- متوسط العمر الذي يعيشه الفرد.
- مدى توفر الرعاية الاجتماعية
- مستوى الفساد في البلد.
- الخدمات الصحية.
- التكافل والسلم الاجتماعيّان.
- قياس نسبة العنف والجريمة.

هذه بعض المقاييس التي حدّدها تقرير الأمم المتحدة للسعادة في حياة الإنسان. وبحسب معهد غالوب الأمريكي لاستطلاعات الرأي، فإنّ من بين العناصر التي يتسبب فيها الشعور بالسعادة على الإطلاق (أن تكون حياة الإنسان ذات مغزى، وأن تكون فيها حوافز، وكذلك نوعية العلاقات الاجتماعية ونوعية الحياة في المجتمع والأمان المالي والسلامة الجسدية).

إنّ الفقرة الأولى من استطلاع المعهد (أن تكون حياة الإنسان ذات مغزى) إشارة إلى البعد القيمي والروحي المعنوي.

## تقرير السعادة العالمي

في تقرير السعادة العالمي لسنة ٢٠١٨م، تقدّمت فنلندا لتتزع لقب أسعد بلد في العالم، متفوقة بذلك على النرويج التي تصدرت قائمة العام (٢٠١٧م)، بينما





جاءت سوريا واليمن بين الدول الأقل سعادة، واحتلت الدنمارك المركز الثالث، تليها أيسلندا رابعة، ثم سويسرا في المركز الخامس.

وجاءت بريطانيا في المركز التاسع عشر، وتراجعت سعادة الأميركيين من المركز الرابع عشر في تقرير العام ٢٠١٧م إلى المركز الثامن عشر في التقرير الجديد.

وجاءت دولة الإمارات العربية المتحدة في المركز (٢٠) وقطر في المركز (٣٢) والمملكة العربية السعودية في المركز (٣٣) في القائمة التي تحتوي ١٥٦ بلداً<sup>(١)</sup>.

وقد لاحظ مايك واكنغ، الرئيس التنفيذي لمعهد أبحاث السعادة، أن فنلندا أفقر بكثير من البلدان المتطورة الأخرى على القائمة، التي يُفترض أن تكون في موقع أفضل لتحويل ثروتها الكبيرة إلى مصدر للسعادة.

ومن المقارنات اللافتة الأخرى أن لدى فنلندا وبريطانيا مستوى متقارباً لنصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي، لكن فنلندا تحول ثروتها إلى سعادة أفضل بكثير من بريطانيا.

وقد أشار التقرير إلى ثلاث مشكلات صحية راهنة تهدد السعادة، هي:

أ/ البدانة.

ب/ تعاطي المسكنات الأفيونية.

ج/ الكآبة.

وقال التقرير إن هذه المشكلات الثلاث تتفاقم في الولايات المتحدة أكثر وأسرع منها في البلدان الأخرى.

علمًا أن الرفاه والوفرة المالية في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من معظم

(١) علامات السعادة الإجمالية باستطلاع سنوي في أنحاء العالم يطلب من المشاركين تحديد درجة سعادتهم على مقياس من ١ إلى ١٠.





الدول العربية والإسلامية، لكن تحقيق السعادة لا يقتصر على الرفاه والوفرة المالية، فالحالة النفسية لها دور رئيس في سعادة الإنسان، وحين تسيطر الكآبة على الإنسان، أو يصاب بالأمراض النفسية فإنه يفقد الأمل، ويجد أن حياته لا قيمة لها ولا معنى. قبل أيام حدثني أحد الأطباء النفسيين عن شابّ تتوفر له كلّ المقومات المادية للسعادة، لكنه حاول الانتحار ٤٢ مرة!!

مثل هذه الحالات تؤكد ضرورة التوازن في توفير مقومات السعادة، وعدم الاقتصار على جانب واحد.

### توصيات ثلاث

**الأولى:** علينا في مثل هذه المناسبة - ونحن نتحدث عن يوم السعادة العالمي - أن ننظر في أوضاع شعوبنا ومجتمعاتنا العربية والإسلامية، وما تعاني من فقر واحتراب ومشاكل وأزمات!!

المؤسسات العالمية تتحدث عن يوم السعادة العالمي، ومعظم شعوبنا العربية والإسلامية تعيش هذه الأزمات الفادحة، ففي كلّ عام يقضي عشرات الآلاف من أبناء هذه البلدان حياتهم غرقاً في البحار والمحيطات؛ لأنهم يبحثون عن مكان يتمتعون فيه بالرفاه، أو تتوفر لهم مقومات الحياة الكريمة.

**الثانية:** علينا أن نتوجه إلى البعد الروحي والنفسي في سعينا لتحقيق السعادة، فمع ضرورة توفر متطلبات الحياة المادية، إلا أن الجانب الروحي هو العنصر الأساس في تحقيق السعادة.

وحين يتمتع الإنسان بمعنويات رفيعة، وقدرات نفسية عالية، فإنه يستطيع أن يواجه النواقص المادية في حياته، وأن يعيش السعادة في داخله؛ لأنّ السعادة قرار داخلي قبل أن تكون واقعاً خارجياً.





الثالثة: على كل إنسان أن يفكر كيف يكون سبباً لإسعاد الآخرين، كما يفكر في إسعاد نفسه.

أنت تريد أن تكون سعيداً، ومن طرق السعادة أن تكون سبباً في إسعاد غيرك، كلما سعيت إلى إسعاد من حولك أفاض الله السعادة في نفسك، فكر كيف تسعد زوجتك وأبناءك، وكيف تسعد جيرانك وكل من حولك.

إن تفكيرك في سعادة الآخرين يمنحك رسالة، ويعطي حياتك قيمة، ويجعلك أكثر قدرة على أن تعيش السعادة في داخل نفسك، وتشعر بالاطمئنان والرضا.

من هنا وردت نصوص دينية كثيرة تحت عنوان: (إدخال السرور على المؤمنين)<sup>(١)</sup> وهذا لا يخصّ البعيدين، يقول الإمام علي في وصيته لولده الحسن عليه السلام: «وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشَقَى الْخَلْقِ بِكَ»<sup>(٢)</sup> عليك أن تسعد أهلك أولاً، أن يفكر الزوج في سعادة زوجته، وتفكر الزوجة في سعادة زوجها.

إنّ حالة الأنانية إذا استحكمت في الإنسان، وفكر في إسعاد نفسه فقط، تفقد السعادة جزءاً كبيراً من حقيقتها ومعناها، لو كنت سعيداً كفرد ولكن من حولك يعيشون التعاسة، هل ستهنأ بسعادتك؟!

أخبرني أحد الأصدقاء وهو في حالة مادية ممتازة، أنه وزوجته يعيشان مشكلة ومعاناة كبيرة، وذلك أنّ ابنتهما تعرضت لمشكلة نفسية، ورغم توفر النواحي المادية للعائلة، إلا أنّ ما تعانيه هذه الفتاة ألقى بظلاله على العائلة كلها!

يقول: حياتنا تحولت إلى جحيم، بسبب ما نحمله ونعيشه من همّ ابنتنا!

(١) راجع الكافي، ج ٢، ص ١٨٨. وكتاب وسائل الشيعة، باب استحباب إدخال السرور على المؤمن، ج ١١، ص ٥٦٩. وكتاب الترغيب والترهيب، باب (الترغيب في قضاء حوائج المسلمين، وإدخال السرور عليهم) ج ٣، ص ٣٨٩. وكنز العمال، ج ٦، ص ٤٣١.

(٢) نهج البلاغة، ومن وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام - كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين، الكتاب ٣١.





حين تبتلى العائلة بولد يتورط في قضايا الإجرام، هل يمكنها أن تعيش بالسعادة؟

كلاً!!

من هنا فإن السعادة ليست حالة أنانية، بل تتأثر بالبيئة والجو الذي يعيشه الإنسان، كما هو حال الصحة، مهما كانت حالتك الصحية جيدة، فإنها تتأثر بالجو الذي تعيش فيه، الهواء الذي تتنفسه إذا لم يكن صحياً، يؤثر على صحتك.







## اليوم العالمي للأم

### المجتمع وتقدير الأمومة

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٤].

تعتبر علاقة الإنسان بوالديه علاقة وجدانية يشعر بها ويعيشها في يوميات حياته. حيث يدرك مدى تعب والديه من أجله، ويبلغ هذا الإدراك مداه إذا ما أصبح أبًا أو أمًّا، حيث يدرك على نحو أجلى وأوضح مدى عناء والديه لأجله، لا لجهة ما يتحمّله الوالدان من أتعاب جسدية وحسب، وإنما لما تفيض به هذه العلاقة من الحبّ والحنان من طرف الوالدين على الأبناء، فيدرك حينها وجدانًا أن لا أحد في هذه الدنيا، يمكن أن يشفق ويحنّ على الإنسان كما هما الوالدان، وبذلك كان من المفترض ألا يحتاج الإنسان إلى من يوصيه بوالديه خيرًا.

ولكن لأنّ الإنسان قد يقع فريسة أنانيته، وينشغل بهمومه الذاتية، فيتجاهل الفضل عليه، وما أُعِدّ عليه من العاطفة والرعاية والعناية، بل ويكفر بذلك كله، لذلك جاءت الوصية الإلهية بالوالدين. إنّ تجاهل الإنسان أفضال والديه عليه هو مصداق من مصاديق الكفر، ذلك أنّ كفر الإنسان تارة يكون بالله، وتارة بجحد أفضال الآخرين عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ وجاءت صفة الكفر هنا في





موضع المبالغة، وجاء في آية أخرى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾، أي إن كفر الإنسان ربما كان واضحاً بيّناً في العديد المواضع، ومن ذلك الكفر بالله تعالى والكفر بفضل الوالدين.

### هل يمكن مكافأة الأم؟

ونتيجة لما يمكن أن يعتبر الإنسان من حالة مرضية أخلاقية، كان أحوج ما يكون للتوصية بالديه. قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَيَّ وَهْنًا وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾. وأخذاً بالاعتبار كون الأم هي الأكثر عناءً وتحملاً وبذلاً للحنان على الأولاد، جاءت التوصية الإلهية أكثر تركيزاً عليها، حيث يصف تعالى فترة حمل الأم لجنينها بأنها كانت ﴿وَهْنًا عَلَيَّ وَهْنًا﴾ أي من ضعف إلى ضعف أكبر، لما يمتص الجنين من أغلب مصادر القوة في جسم أمه، ولما تعانیه من العبء والإجهاد الكثير خلال فترة الحمل، حيث تزيد آلامها يوماً بعد آخر، كلما تقدّمت فترة الحمل، واقتربت ساعة الولادة، فإذا حانت لحظة الوضع أصبحت روح الأم معلقة بين الحياة والموت، حتى مع تقدّم العلم، وتطور سبل الرعاية الطبية في عصرنا الراهن. فلا يكاد يمرّ يوم واحد إلا ويشهد وفاة ١٥٠٠ امرأة عبر العالم نتيجة المضاعفات المرتبطة بالحمل والولادة، وفق الإحصاءات الطبية الحديثة، وأغلب هذه الوفيات في العالم الثالث، لما لقصور توفر العناية الصحية من أثر في نسب الوفيات<sup>(١)</sup>.

ويشير تحقيق علمي إلى إجراء أحد المستشفيات، على سبيل التجربة، محاكاة اصطناعية للآلام المصاحبة لمخاض الولادة، فتقدم عددٌ من المتطوعين الذكور لخوض التجربة، فلم يستطع أيٌّ من الذكور المشاركين الاستمرار في التجربة لأكثر من دقائق معدودة؛ نظراً للآلام المبرحة التي انتابتهم. فلنا أن نتصور مدى الآلام التي

(١) صحيفة الاقتصادية. السبت ٢٠ ربيع الأول ١٤٣١ هـ. الموافق ٠٦ مارس ٢٠١٠م، العدد ٥٩٩٠.





تتحملها الأمّهات مع كلّ ولادة، فجزى الله الأمّهات كلّ خير.

ويستمر مسلسل المعاناة عند الأم في مرحلة ما بعد الولادة، حيث تسهر الليالي، وتتحمل ألوان التعب من أجل طفلها، على النحو الذي يشقّ على الرجل تحمّله، فضلاً عن القيام به، خاصة خلال السنّ المبكرة جدّاً من حياة الطفل، حيث البكاء المزعج، وحاجته لأشكال متعددة من العناية، بل إنّ الكثير من الآباء يتّجه إلى غرفة نوم أخرى بعيداً عن صياح الطفل، في حين تتحمّل الأم كلّ ذلك على مدار الأربع وعشرين ساعة. وهكذا الحال عندما يبدأ الأولاد مرحلة الدراسة، حيث أصبحت مسألة المتابعة، واستذكار الدروس، ملقاةً على عاتق الأم في الأغلب، علماً أنه من الناحية الشرعية والقانونية، تقع مسؤولية تربية الأولاد ورعايتهم على عاتق الأب لا الأم، فإذا ما قامت الأمّ بهذا الدور، مدفوعة بفطرة الأمومة التي أودعها الله في نفسها، فذلك تفضّل منها.

لذلك لا يمكن بأيّ حالٍ أن يجازي المرء والدته مهما فعل. ولو قدّم لها ما قدّم من الخيرات، فإنه لن يبلغ ولو جزءاً يسيراً من حقّها عليه. جاء في الرواية أنّ رجلاً كان في الطواف حاملاً أمّه يطوفُ بها، فسأل النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل أدّيتُ حقّها؟ قال: لا، ولا بزفرةٍ واحدةٍ<sup>(١)</sup>.

### اليوم العالمي للأُم

وقد وردت في فضل الأمّ وحقّها الكثير من النصوص الدينية. وبمناسبة اليوم العالمي للأُمّ المصادف ٢١ مارس، حيث تحتفل بهذا اليوم كثير من المجتمعات، وتزامناً مع هذه المناسبة تحتفل منطقتنا بحملة البر بالوالدين، نورد بعض النصوص. ويكفي منها ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الجنة تحت أقدام الأمّهات»<sup>(٢)</sup>. وقد

(١) ابن كثير: إسماعيل القرشي، تفسير القرآن العظيم، طبعة ١٤٣٦ هـ، (بيروت: دار الكتاب العربي)، ج٣، ص٣٨.

(٢) كنز العمال، ج١١، ص٤٦١، حديث ٤٥٤٣٩.





نقلوا عن أحد النساك أنه كانت له أمٌ طاعنة في السن، وكان كلما زارها قبل أقدامها، فاستبطأه إخوانه ذات مرة، فأجابهم قائلاً؛ كنت أتمرغ في روضة من رياض الجنة، حيث كنت أقبل أقدام والدتي، والجنة تحت أقدام الأمهات.

وجاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، قال يا رسول الله: من أبر؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبك<sup>(١)</sup>، وبذلك وضع النبي الأكرم ﷺ برّ الأم في منزلة مضاعفة عن البر بالأب، لعظم دورها في الحمل والولادة والرعاية والتنشئة. وجاء عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) في رسالة الحقوق أنه قال: «أما حقّ أمك فأنت تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحدٌ أحدًا، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يُعطي أحدٌ أحدًا، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعري وتكسوك، وتضحى وتظلك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحر والبرد، لتكون لها، فإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه»<sup>(٢)</sup>.

### شيء من حقّ الأم

وبمناسبة الاحتفاء بعيد الأم، لا بُدّ أن نشير إلى جوانب لعلها تؤدّي شيئاً من حقوق الأمهات. ويأتي على رأسها، ضرورة إبداء أقصى درجات الاحترام للأم، عن طريق خدمتها وكسب رضاها، ما استطاع المرء إلى ذلك سبيلاً، بمعنى أن يسعى إلى تحقيق الحدّ الأعلى من رضا والدته، لا مجرد كسب ودّها في الحدود الدنيا.

وفي هذا السياق ينبغي ألا يتنازل المرء عن أيّ فرصة متاحة لخدمة والديه، حتى لو ظنّ بأن غيره من الإخوة والأخوات قد يقوم بالواجب تجاه والديه، وليعلم أنه بذلك يضيع على نفسه فرصة عظيمة ويفوت حظاً كبيراً؛ لأنه لم يوفق لخدمتهما بنفسه،

(١) البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري. ج ٤، ص ٨٠، طبعة ١٤٢٠هـ (بيروت: دار الكتب العلمية)، حديث ٥٩٧١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٦، حديث ١.





وهل يا ترى لو نال قطعة أرض كبيرة مثلاً، هل كان سيتركها لغيره، أم سيحرص على الاستفادة منها لنفسه؟ كذلك حال الأجر والثواب الآتي من خدمة الوالدين، فلا ينبغي أن يفوت المرء أدنى فرصة متاحة لخدمتهما.

أما الأمر الثاني، ففي حال فقد الوالدين، ينبغي ألا ينقطع المرء عن زيارة قبري والديه، وألا ينسى الوقوف عند قبر والدته والدعاء لها، وإهدائها ثواب العبادة والصدقات، فإن في ذلك لوتاً من ألوان البر بالوالدين.

والأمر الثالث، أن يلتزم البرّ بأقرباء الأمّ، من الخالات والأخوال وأبنائهم، وسائر الأقرباء من جهة الأمّ، ويجري الحال نفسه في ضرورة التواصل مع أصدقاء الأبوين، إن البر بهؤلاء جميعاً، والصلة بهم، هو لون من ألوان الإحسان والبرّ بالوالدين.

### تقدير دور الأمومة

ويجب إيلاء دور الأمومة اهتماماً أكبر على الصعيد الاجتماعي. فالأجواء الاجتماعية العامة لا بُدّ وأن تكون أجواء رعاية واهتمام بالمرأة الأمّ، بدءاً من الزوج الذي رزقه الله الذرية عن طريق هذه الزوجة، ينبغي أن تزيد مكانتها في نفسه، وأن يضاعف اهتمامه بها واحترامه لها، لما تقوم به من دور كبير تجاه أبنائه، وتحمل عنه أعباء ومشاق لا عدّ ولا حصر لها، ولا شيء أسوأ وأشدّ قبحاً من أن يهين أحدُ أمّ أولاده ويسيء لها معنوياً أو جسدياً أمام أبنائها، فذلك جرح لا يمكن أن يندمل في نفس الأمّ ونفوس الأبناء على حدّ سواء.

كما ينبغي مراعاة وضع الأمومة على صعيد الإجراءات الوظيفية على المستوى الرسمي. فما يزال مجتمعنا يعيش مشاكل متعلقة بالنساء الموظفات، خاصةً منهنّ أولئك اللاتي يعملن في مناطق نائية، أو بعيدة عن مناطق سكن عوائلهنّ، ذلك أنّ العناية المتأتّي نتيجة البعد عن العائلة يكون على حساب دورها كأمّ ومربية، تنتظرها مسؤولية أخرى داخل المنزل تجاه زوجها وأطفالها، ذلك الدور الذي لا يستطيع





أحد القيام به على النحو الذي تقوم به هي، والسؤال: لماذا لا نزال نواجه هذه المشكلة؟! وما تزال بعض الموظفات كالمعلّمات، يكابدن عناء التنقل إلى مسافات بعيدة، للالتحاق بعملهنّ، بعيداً عن عائلاتهنّ؟!!

والحال نفسه ينطبق على ساعات الدوام الطويل، خاصّة في بعض المؤسّسات الصحية، التي يتطلب العمل فيها نوبتي عمل صباحية ومساءً، فكيف نريد لهذه المرأة أن تؤدي دورها على أحسن وجه كأمّ ومربية، ونحن نجبرها على قضاء عشر ساعات أو أكثر خارج المنزل؟! أفلا يستنزف ذلك جُلّ جهدها وطاقتها؟! من هنا كان لزاماً إعادة النظر في عدد ساعات العمل، وتخفيضها بالنسبة للنساء العاملات، أو في الأحد الأدنى إعطاؤهن حقّ الاختيار في العمل بنصف الدوام مثلاً، حتى لا يكون الإلزام بساعات الدوام الطويل على حساب عائلتها، ودور الأمومة المنوط بها، وهكذا في سائر المجالات، حيث ينبغي للمجتمع أن يعرف قدر الأمومة، وأن يحترم هذا الدور الإنساني الكبير.

### رعاية الوالدين

لا شيء أدمى لسعادة الإنسان من رؤيته أبناءه يغمرونه بالاهتمام والبر والاحترام. ومردّد ذلك إلى المحبة الفطرية التي تملأ نفس الوالدين تجاه الأبناء، فيكونان أكثر سعادة حين يلمسان التناغم في مستوى الحبّ من طرف الأبناء، سيّما وقد صرفا جُلّ عمرهما في سبيل تربيتهم وتنشئتهم، فهما يتطلعان إلى رؤية ثمرة تعبهما، ونتيجة ما بذلا في تربيتهم ورعايتهم. وتتضاعف حاجة الوالدين للبر بهما حين يتقدم بهما العمر، ويكونان في موقع الحاجة للرعاية والعناية، فهما وإن كانا يرحبان بأيّ قدر من العناية المقدمة لهما من أيّ طرف، إلا أنّهما سيكونان في موضع الامتنان للآخرين لتفضّلهم، بخلاف ما إذا جاءت الرعاية من الأبناء، حيث لا يثقل عليهما ذلك على أيّ نحوٍ من الأنحاء، وذلك من منطلق اعتبار رعاية الأبناء للوالدين أمر طبيعي، ومبعث سعادة، ولا يشبه الرعاية الآتية من أيّ جهة أخرى فيها إحسان وتفضل. وهذا هو مردّد





تأكيد القرآن الكريم على رعاية الوالدين حين يبلغان مرحلة متقدمة من العمر، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا \* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

### كيف نضمن برّ أبنائنا؟

غير أن السؤال الأهم هنا، هو عن الكيفية التي يضمن من خلالها الإنسان تحقيق السعادة، برّ أبنائه به، وأن يتجنب كارثة عقوقهم له؟

وللإجابة عن السؤال، نشير إلى عوامل تساعد الإنسان على تجنب كارثة عقوق الأبناء:

**العامل الأول:** التوجه بالدعاء لله سبحانه وتعالى، في طلب الصلاح للأبناء، كما ورد في الآية الكريمة على لسان أحد الأنبياء: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾.

**العامل الثاني:** الاجتهاد في تربية الأبناء، فإذا أحسن الوالدان تربية أبنائهما، فإن ذلك سيكون من العوامل الرئيسة التي تجعل منهم أبناءً بررة، ذلك أن الولد الذي يحظى بتربية صالحة، سيكون في الأغلب صالحاً باراً بوالديه.

**العامل الثالث:** أن يتوفر للأبناء النموذج والتربية العملية على برّ الوالدين. وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «برُّوا آباءكم تبرُّكم أبناءكم»، وذلك بأن يجسّد الأبوان مفهوم برّ الوالدين مع أboيهم، فإذا ظهر هذا السلوك أمام الأبناء، فسيمثل ذلك أعظم درس وتجسيد عملي لمفهوم البر بالوالدين، ما سيحفّز الأبناء لتمثل ذات السلوك مع والديهم. فالأبناء الذين يعيشون في ظلّ أبوين بارّين بأboيهم، يخدمانهم ويحترمانهم، فإن ذلك سيكون أكبر دافع للأبناء للاقتداء بهما، والسير على نهجهما. في مقابل ذلك، إذا رأى الأبناء والديهما يتعاملان على نحو جافٍ خشن مع أboيهم - أي أجداد الأبناء - فإن الأبناء سيمثلون مستقبلاً ذات السلوك مع أboيهم المباشرين





على الأغلب، إذ سيكون هذا السلوك الجافّ مع الوالدين أمرًا عاديًّا، والخشونة معهما شأنًا غير مستقبّح ولا مستبشع في نظرهم.

إضافة إلى أنّ في البرّ بالوالدين مكافأة إلهية. فمتى ما كان الإنسان بارًّا بوالديه، فإنّ الله سبحانه يكافئه بأن يجعل أبناءه بارّين به، وقد يكون ذلك استجابة لدعاء الوالدين بأن يرزق أبنائهم البارّين أولادًا بارّين بهم، فدعاء الوالدين في حقّ الولد مستجاب، كما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لِهِنَّ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَالِدِهِ»<sup>(١)</sup>. إنّ في دعوة الوالدين نعمة كبيرة لا يدركها إلاّ من يفهمون قيمتها، لذلك تجدهم يبدأون نهارهم باستمطار دعاء الوالدين، من خلال زيارتهما، والسلام عليهما، وتقبيل رأسيهما، وخدمتهما، والإحسان لهما، استمطارًا لدعوة صالحة تكون سببًا للتوفيق والخير والرحمة.

### تعزير قيمة برّ الوالدين

إنّ مجتمعاتنا أحوج ما تكون لتعزير قيمة البرّ بالوالدين. خاصة في العصر الراهن الذي تشعبت فيه انشغالات الأبناء، وطغت عليهم فيه الاهتمامات الذاتية، حتى أنّ بعضهم ربما لم يعد يرى أبويه مرة في الأسبوع، خاصة إذا كان يعيش في بيت منفصل عنهما، وربما ركن بعض الأبناء إلى التواكل بعضهم على بعض في قضاء أمور الوالدين، حتى تتعطلّ أمورهما نتيجة ذلك التواكل، في حين ينبغي للأبناء التنافس في خدمة الأبوين وتلبية احتياجاتهما.

ولأننا في زمن ينبغي فيه التأكيد مجددًا على هذه القيمة، فإننا نقدّر عاليًا المبادرة الإنسانية الجميلة «حملة البرّ بالوالدين» التي انطلقت في منطقتنا منذ عامين، إذ من

(١) القزويني: الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب دعوة الوالد ودعوة المظلوم، ج٣، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، (بيروت: دار المعرفة)، ص٥٧٦، حديث ٣٨٦٢.







الرائع جداً أن تنبثق في أوساطنا مثل هذه المبادرات المعززة للقيم الإنسانية، وقيم مكارم الأخلاق. وقد أخذت هذه الحملة السنوية المصادفة ليوم ٢١ مارس مكانها، بالتزامن مع مناسبة اليوم العالمي للأم، ولكونها فكرة رائدة، فقد شقت طريقها للاحتفاء بها على مستوى المنطقة الشرقية، على أمل أن تأخذ مداها على مستوى الوطن برمته، وصولاً للعالمية إن شاء الله.

إنّ على مجتمعنا إظهار أكبر قدرٍ من التفاعل مع البرامج والفعاليات المصاحبة لهذه الحملة الإنسانية الرائدة، التي تستمرّ أسبوعاً، لما فيها من الإحياء للمشاعر الإيجابية، التي ينبغي أن نعززها في ذاكرة أبنائنا ومشاعرهم.

### الأم وإنجاح دورها في التربية

حين يتحدث القرآن الكريم عن فضل الوالدين ومدى الجهود التي يبذلانها في تنشئة الإنسان وتربيته، فإنه يستعرض بالتحديد معاناة الأم. يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾، ثم يركّز تعالى الحديث عن الأم: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾، يُبين هنا معاناة الأم في فترة الحمل التي تقاسي فيها الألم على الألم، والضعف على الضعف، ويستمر العناء معها بعد الولادة، حيث تتحمل عناء الإرضاع والحضانه والتنشئة. وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾، الحديث هنا أيضاً عن فضل الوالدين، لكن التأكيد والتركيز على معاناة الأم، رغم أن سياق الآية يتحدث عن الوالدين وما يتوجب على الولد تجاههما.

إنّ الجهد الذي تبذله الأم لأجل أبنائها أكثر بكثير مما يبذله الأب، وهذا واضح وجداناً للعيان. فالأم تعاني كثيراً في فترة الحمل، وأثناء الولادة، وفترة الإرضاع والحضانه والتنشئة. فدورها مهم وأساس لتنمية الطفل، وهو دور موكل لها من الله تعالى، حيث أودع في نفسها برمجة غريزية وقدرة فائقة على بذل العطف والحنان





للوليد وتحمله في مختلف مراحلها، وهذا ما لا يتوفر عند الآباء غالبًا. هذه العلاقة المميزة بين الأم وبين الوليد تجعل قدرة الأم في التأثير على الوليد في السنوات الأولى من حياته أعظم من قدرة الأب. لأن الوليد جزء منها، نشأ في أحشائها، وتغذى من دمها، ويرتضع من لبنها، ويعيش في أحضانها، هذه العلاقة العضوية والغريزية تجعل الولد أكثر التصاقًا بأمه، وتجعل الأم أكثر تأثيرًا على الولد.

هذا الدور الذي يكشف عن معاناة الأم وفضلها، يكشف في الوقت نفسه عن عظيم مسؤوليتها في إعداد شخصية الطفل. حيث يؤكد خبراء التربية أن المراحل الأولى من حياة الإنسان هي السنوات التأسيسية لشخصيته؛ لأن مشاعره وتوجهاته وسماته النفسية، كلها تتشكل في تلك الفترة التي يكون فيها ملتصقًا بأمه، والذي يكون تأثير الأم عليه أكبر من أي شيء آخر. لذلك فإن الأم تتحمل مسؤولية كبيرة، وإن كانت الحضانة حقًا للأم وليس واجبًا عليها، حيث إن الشرع والقانون يلقيان الواجب على عاتق الأب، بعد ولادة الطفل، ولو أرادت الأم أجره على الرضاع أو الحضانة يحق لها ذلك. وعلى الأم حينما تقوم بهذا الدور أن تعرف أنها مسؤولة أمام الله عن اتقانها لهذا الدور، من الإعداد الصالح والتربية الحسنة للولد باعتبارها ألصق الناس به، وأكثرهم تأثيرًا عليه.

### وعي الأم بدورها الخطير

في السابق كانت الأم تتمحض لتربية أبنائها، فليس هناك ما يشغلها عنهم. أما في هذا العصر، فإن بعض الصوارف والانشغالات أصبحت تزاحم الأم في تربية أبنائها، كالعامل، ووسائل الترفيه كالتلفاز، والإنترنت، والرغبات المتنوعة، لهذا يجب أن تتذكر أهمية الدور الذي أنيط بها من الناحية الوجدانية والعرفية. الأم هي المصنع الذي ينتج الأبناء، وهي المدرسة التي تربيهم وتعدّهم. إن أي مكسب من المكاسب لا يمكن أن يوازي نجاح الأم في تربية أبنائها. والأم التي تعمل من أجل كسب المال أو تصرف وقتًا لاهتمامات أخرى، إذا قصّرت في تربية أبنائها وأصبحوا فاشلين في





حياتهم فإنها هي أول من سيدفع ضريبة فشلهم؛ لأنها ستعيش الألم والتمزق النفسي، والعناء في حياتها معهم. ربما تغريها بعض الصوارف والاهتمامات المختلفة، لكنها في الغد حينما تفتح عينيها على أولاد فاشلين، منحرفين، لا سمح الله، حينها ستدرك كم أساءت لنفسها ولمستقبلها.

على المرأة التي تريد أن تشارك في مختلف جوانب الحياة، وهذا بلا شك من حقها، أن تعطي من وقتها أكبر ما يمكن لتربية أبنائها. فكل الأدوار يمكن للآخرين أن يقوموا بها، لكن دور الأم في تربية أولادها لا ينافسها فيه أحد، سيما تربية الصغار الذين هم بأمس الحاجة للعطف والحنان والمتابعة.

الأم لها قدرة على التحمل والصبر قد لا يمتلكها الرجل. فهي أولى بمتابعة الأبناء في مرحلة الطفولة، ولهذا تختار بعض الدول لتعليم المرحلة الابتدائية العنصر النسوي وليس الذكوري. وفي مجتمعاتنا قبل وجود المدارس الحكومية، كان من يدرس الأولاد في الكتاتيب نساء غالباً. وقد أثبتت التجربة أن المرأة أكثر نجاحاً وقدرة على التعليم في المراحل الأولى.

### الأب وتوفير الأجواء المناسبة للأم

إن ما تقوم به الأم من تنشئة الأبناء هو عمل عظيم لا يؤديه غيرها، فعلى الأب أن يوفر أفضل الأجواء المساعدة لها على القيام بدورها، ولو كان على حساب بعض حقوقه ورغباته، بل حتى لو كان هناك ما يضايق الرجل أو يكرهه في حياته الزوجية، فإن عليه أن يتحمل ذلك من زوجته من أجل بقاء الزوجة وقيامها بدورها في تنشئة البناء، يقول تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية: 19]، قد يكره الزوج المرأة، وينوي الطلاق، لكن القرآن يذكره بأنه ربما كان هناك ما يوجب التآني والصبر، ولعل من أبرز المصايق اهتمام الأم بتنشئة الأولاد، وهذا بلا شك فيه خير كثير.





## البيئة الاجتماعية لإنجاح الأمومة

مع تطور ظروف الحياة، وخروج المرأة إلى سوق العمل، يواجه دور الأمومة تحديات كبيرة، حيث يستهلك الكثير من جهد المرأة ووقتها خارج المنزل، على حساب اهتمامها بتربية الأبناء وتنشئتهم، وللحد من هذه المشكلة لا بُدَّ وأن تراعي قوانين العمل ظروف الأمومة، وعلى الدولة أن توفر فرص العمل للأمهات في مناطق إقامتهنّ، حيث تعاني شريحة من المعلمات مثلاً في بلادنا تعيينهم في مناطق بعيدة ونائية، فتضطر المعلمة الأم للابتعاد عن أبنائها، أو أن تقطع مسافات التنقل يومياً في الذهاب والرجوع، ومن الأفضل إتاحة فرص العمل للأمهات بنصف دوام لأربع ساعات بدلاً من الدوام الكامل، وكذلك فرص العمل من البيت الذي تتيحه تطور الأداء الإلكتروني.

إذا كان على الأم أن تضع تربية أولادها كأولوية نصب عينها، فعلى الزوج أن يكون لها عوناً وسنداً، كما أن على الدولة أن تضع الأنظمة والقوانين التي تساعد على توفير البيئة الصالح لأداء دور الأمومة.





## اليوم العالمي للمياه

### نعمة الماء وضرورة الترشيد

الماء من أعظم نعم الله على الإنسان، فلا يمكن أن تستمر الحياة من دون الماء، فالحياة قائمة على الماء، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾.

وجود الأحياء التي نراها أمامنا قائم على أساس الماء، ويقول العلماء: إن ثلثي جسم الإنسان مكون من الماء، وكذلك سائر الحيوانات بنسب مختلفة، وهكذا الحال بالنسبة للفواكه والخضروات، فعلى سبيل المثال: أربعة أخماس ثمرة الأناناس من الماء.

وحاجة الإنسان للماء لا تقتصر على الارتواء من العطش، وإنما هي حاجة أساسية لمختلف استخدامات حياته، فهو يحتاج الماء في النظافة والزراعة والصناعة وغيرها، ومع هذه الحاجات الأساسية في حياة الإنسان، إلا أنه كثيراً ما يغفل عن هذه النعمة!

ولذلك فإن آيات القرآن الكريم تذكره بهذه النعمة الكبيرة، من أجل أن يدرك عظمة الله تعالى، ويشكره على هذه النعمة، ويتأمل في أفضل طرق استخدامها.





## اليوم العالمي للمياه

المجتمعات البشرية اليوم تناقش موضوعاً في غاية الأهمية، وهو ترشيد استهلاك الماء، والمحافظة عليه.

وقد جاء تخصيص يوم عالمي للمياه، نتيجة توصية قدمت في مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية، الذي عقد عام ١٩٩٢م، وقد استجابت الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٩٣م بتعيين يوم ٢٢ آذار/ مارس، بوصفه اليوم العالمي الأول للمياه.

ومن خلال هذا اليوم، يتم التذكير بأهمية الماء، وضرورة ترشيد استهلاكه، والطرق المتعددة لذلك، كما تعقد المؤتمرات وتُنشر الأبحاث عن نسب توفره في العالم والعوامل المؤثرة في تحديدها.

ونحن كمسلمين أولى من غيرنا في الاهتمام بترشيد استخدام الماء، وعدم الإسراف في استهلاكه، وأن نتذكر أهمية الماء باعتباره من أكبر النعم التي يجب المحافظة عليها.

## كلفة استخراج الماء ومعالجته

البعض يتصور أن الماء موجود متوفر بلا حدود، ولذلك يستخدمه ويستهلكه بلا حساب!

والإنسان منذ بدء الخليقة كان يتعامل مع الماء بصورة تلقائية عفوية، فلا يعيره أهمية، باعتباره شيئاً متوفراً لا يتوقع نفاده، فيستخدمه بسرف دون حدود، بل إن الإنسان حين يصف شيئاً لا قيمة له، يقول: هذا رخيص كالماء!

ومع أن ثلاثة أرباع الكرة الأرضية هي مسطحات مائية، إلا أن الجزء الصالح للاستخدام منها (٣٪) فقط!





ولهذا تعاني كثير من الدول صعوبة في إنتاج الماء الصالح للاستخدام، إذ إنه يُكلّف مبالغ ضخمة جداً، خصوصاً في المناطق الصحراوية من العالم.

وعلى سبيل المثال، نحن نعيش في منطقة صحراوية شديدة الجفاف والحرارة، لا توجد فيها أنهار ولا بحيرات مياه عذبة، كما أن مياه العيون والآبار التي كنا نستفيد منها في الماضي قد نضبت وغار ماؤها، وبالتالي فإن توفير المياه الصالحة للاستخدام فيه صعوبة بالغة، لذلك يجب التفكير في ترشيد الاستهلاك.

وقد ورد التحذير في القرآن الكريم من فقدان نعمة الماء، حيث لا أحد غير الله قادر على إمداد البشر بالماء، يقول تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾.

يتحدث أحد التقارير عن الكلفة العالية لاستخراج الماء ومعالجته في المملكة العربية السعودية بحيث يصبح صالحاً للاستخدام، نذكر بعضاً من فقراته:

- كلفة استخراج المتر المكعب من المياه الجوفية غير المعالجة: ريالان.
- كلفة المتر المكعب من المياه الجوفية المعالجة: ٥ ريالات.
- كلفة المتر المكعب من مياه البحر المحلاة بالتبخير: ١٥ إلى ٢٥ ريالاً.
- كلفة المتر المكعب من مياه البحر المحلاة بالتناضح العكسي: ٦ إلى ٨ ريالات.

- نقل المتر المكعب إلى مسافات طويلة: ١٥ إلى ٢٥ ريالاً.

وتنتج السعودية (٦٠٠) مليون جالون من المياه المحلاة، عبر ٢٥ محطة لتحلية المياه، منها ٢١ محطة على البحر الأحمر و ٤ محطات على الخليج العربي.

### أرقام تكشف مقدار استخدام الفرد

أشارت الدراسات إلى طبيعة الاستخدام العام للماء في المجتمعات، وأن الفرد الخليجي هو الأعلى استهلاكاً للماء على مستوى العالم!!





وتقول الدراسات: إن كل فرد في بلدنا يستهلك يومياً (٢٦٠) لترًا من الماء، وفي أثناء السباحة فقط يستهلك بين (١١٥) إلى (١٥٠) لترًا، وفي كل دقيقة يقف الإنسان تحت (دش الماء) يستهلك (١٩) لترًا من الماء.

وفي كل مرة يُسحب فيها (السيفون) في دورة المياه يتم استهلاك (١١) لترًا من الماء.

والاستخدام الواحد لغسالة الملابس يستهلك (١١٥) لترًا من الماء. وبالتالي هناك استهلاك كبير للماء، وعلى الإنسان أن يراعي استخدامه للماء بالطريقة المناسبة.

### مظاهر الهدر للمياه

١/ تسرب الماء من الحنفيات، أو شبكات الأنابيب.

البعض يرى التسرب على هيئة نقاط فيستهين بها، لكنه لو حسب مجموع هذه النقاط في نهاية اليوم لرأى كيف أنها تشكل كمية كبيرة لا يستهان بها!

### ٢/ فتح الحنفية بالمستوى الأعلى

كثيرًا ما نلاحظ هذه الحالة، سواء أثناء الوضوء أو تنظيف الأواني أو غيرها، وهو ما ينبغي التنبيه له عبر وسائل التوعية المختلفة.

ومن المشاهد المؤسفة في هذا المجال، ترى الأطفال يستخدمون الماء بصورة عبثية، وكأنه للتسلية، والوالدان أو من يلاحظهم لا يعبأ بهذا التصرف!

ينبغي أن نربي ونربي أبناءنا على إدراك أهمية الماء وضرورة ترشيد استهلاكه.

إن عدم الاهتمام بالماء واستهلاكه دون حسان هو بكل تأكيد إسراف ينهى عنه الدين، يقول تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

وفي السيرة النبوية: مرّ رسول الله على أحد أصحابه، واسمه سعد وهو يتوضأ فقال:







ما هذا السرف؟

فقال: أفي الوضوء سرف؟!

قال ﷺ: نعم، وإن كنت على نهرٍ جارٍ<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام الصادق ﷺ: «أدنى الإسراف إهراقك فضل الإناء مما تشرب»<sup>(٢)</sup>.

وفي السيرة والمصادر الحديثية أن رسول الله ﷺ كان يتوضأ بمد، ويغتسل بصاع.

والصاع يعني أكثر بقليل من قنينة ماء بسعة لتر ونصف، والمد هو ربع هذه القنينة.

كَانَ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ هُوَ وَأَبُوهُ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَسَأَلُوهُ عَنِ الْغُسْلِ، فَقَالَ:

يَكْفِيكَ صَاعٌ،

فَقَالَ رَجُلٌ: مَا يَكْفِينِي،

فَقَالَ جَابِرٌ: كَانَ يَكْفِينِي مَنْ هُوَ أَوْفَى مِنْكَ شَعْرًا، وَخَيْرٌ مِنْكَ<sup>(٣)</sup>. يعني النبي ﷺ.

### ٣/ إلقاء قوارير الماء دون استهلاكها

عندما يهمل الإنسان ما يتبقى من كأس الماء بعد أن يرتوي، فيسكبه أو يهمله

فإن هذا التصرف يعتبر درجة من درجات الإسراف، وهو ما نلاحظه بعد الانتهاء من

الاحتفالات والمناسبات العامة، حيث ترى قوارير الماء التي استهلك جزء منها

متناثرة!!

يظن الإنسان أنه لم يخسر شيئاً من ماله، لكن ذلك خلاف الحكمة، فنعمة الماء

ثروة عامة، والمحافظة عليها مهمة يشترك فيها الجميع.

(١) حنبل: الإمام أحمد. مسند أحمد بن حنبل. ج ٢، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، (بيروت: عالم الكتب)،

ص ٧١٨، حديث ٧٠٦٥.

(٢) بحار الأنوار. ج ٧٢، ص ٣٠٣.

(٣) صحيح البخاري، ج ١، ص ٦٩، حديث ٢٥٢.





وليكن اليوم العالمي للماء مناسبة للتذكير بضرورة الاهتمام بهذه النعمة الكبيرة،  
وأن يكون للمسلمين السبق في الاهتمام بالماء لما يدعو إليه القرآن الكريم وتؤكد  
عليه سيرة النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين.





## اليوم العالمي للتوعية بمرض التوحّد

### مرض التوحّد وإنسانية المجتمع

ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «رحمة الضعفاء تستنزل الرحمة»<sup>(١)</sup>.

إنّ من المعتاد في أيّ مجتمع بشري وجود أفراد يعانون من حالات الضعف والمرض. هذه الحالة تمثل في حقيقة الأمر ابتلاءً وامتحاناً من الله تعالى، لكافة الأصحاء من أفراد المجتمع، ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى إنّما خلق الناس للابتلاء والامتحان، قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٣٥].

#### امتحان التعامل مع الضعفاء

ويتمثل جوهر الابتلاء والامتحان هنا في كيفية تعامل المجتمع مع المرضى والضعفاء من أفرادهم، وما إذا كانوا يهتمون بأفراد هذه الفئة ويرحمونهم، فإذا ما أحسن المجتمع التعامل مع مواضع الضعف في داخله، فإنه سيكون مستحقاً للمزيد من رحمة الله سبحانه وتعالى، سواء على مستوى الأفراد المهممين على نحو مباشر برعاية الضعفاء، أو على مستوى المجتمع على نحو عام، فالمهتمون المباشرون برعاية الضعفاء سينالون المزيد من رحمة الله في الدنيا والآخرة، كما ورد عن أمير

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢١٧، حكمة ١٦.





المؤمنين ﷺ أنه قال: «رحمة الضعفاء تستنزل الرحمة»، والمجتمع يكون برمته محلًا للمزيد من الفضل والخير والرحمة الإلهية، إذا كان مهتمًا بالضعفاء من أفراد. إن وجود حالات ضعف في المجتمع، تمثل بحد ذاتها محفزًا للتنمية الأحاسيس والمشاعر الخيرة في أعماق أفراد المجتمع، وتدفعها للتحويل إلى سلوك عام، وممارسة عملية لدى مختلف الأفراد.

وتتنوع حالات الضعف لدى الأفراد في أي مجتمع. فقد يعاني البعض من الفقر وشحة الموارد المالية، فيما قد ينتاب البعض الآخر ضعف في القدرات الجسمية نتيجة الإعاقة، على حين يعاني آخرون من تدهور في صحتهم النفسية، فهذه جميعًا تمثل حالات ضعف مختلفة قد تلمّ بفتة من أفراد أي مجتمع. ومع تطور العلوم الطبية والنفسية، أضحى هنالك فرز، وتسلط ضوء على مختلف حالات الضعف في المجتمع البشري، وتتناول هنا واحدة من هذه الحالات، وهي حالة مرض التوحّد، الذي يصيب الأطفال منذ سن مبكرة.

### التوحّد: أسبابه وأعراضه

ونظرًا لأهمية هذا الأمر، فقد حددت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ٢٠٠٧، يومًا عالميًا يصادف الثاني من أبريل من كل عام، يهدف إلى التوعية بمرض التوحّد، والتحذير من أخطاره.

ويتمثل المرض في ظهور أعراض الاضطراب والخلل الوظيفي في المخ، مما يؤثر على مهارات التواصل لدى الطفل ضمن محيطه الاجتماعي، على مستوى القدرة على الكلام، والتخيّل والإشارات التعبيرية، ومختلف الأعمال والممارسات الروتينية اليومية.

ولا يزال التوحّد يمثل لغزًا غامضًا لدى علماء الطب وأهل الاختصاص. حيث لم يتوصل العلم حتى الآن - مع ما بلغه من التطور - إلى الأسباب التي تقف خلف





الإصابة بمرض التوحد، ولعلّ آخر ما ذكر في هذا السياق: أن أعراض المرض تبدأ بالظهور على الجنين في بطن الأم. وليت البشرية توجّهت لبذل المزيد من الجهود والأموال على الأبحاث الخاصة بهذا المرض وغيره، لاستفادات كثيرًا، وحققت تقدّمًا أكبر، عوضًا عن صرف الأموال على تمويل الحروب والنزاعات.

واللافت أن مرض التوحد المكتشف حديثًا بات يتزايد بوتيرة متسارعة. حيث تشير الإحصاءات الطبية إلى اتّساع رقعة المرض، وتنامي انتشاره، على نحو أكبر مما كان معروفًا في الماضي، فقد أشارت التقارير الصادرة عن منظمة الصحة العالمية إلى إصابة طفل واحد بمرض التوحد من بين كلّ ١٦٠ طفل، وتمثل هذه التقديرات رقمًا متوسطًا ويتفاوت معدل الانتشار المبلّغ عنه تفاوتًا واسعًا بين الدراسات. ومع ذلك، أفادت بعض الدراسات المضبوطة جيدًا بمعدلات أعلى بكثير. وما زال معدل انتشار اضطرابات التوحد غير معروف في عدة بلدان ذات الدخل المنخفض والمتوسط<sup>(١)</sup>.

في الوقت الحالي يوجد في المملكة حوالي ٢٠٠,٠٠٠ إلى ٣٠٠,٠٠٠ شخص مصاب بالتوحد ومعظمهم من الذكور الذين لن يتمكنوا أن يصبحوا مسؤولين عن أسرة، لأن معدل إصابة الأطفال الذكور أربعة أضعاف الإناث<sup>(٢)</sup>.

ومعلوم أنّ الإصابة بمرض التوحد تنعكس سلبيًا على مستقبل الطفل نفسه، وعلى عائلته ومجتمعه، فالمرض بحدّ ذاته يمثل منطقة ضعف في جسد المجتمع ككل.

وينبغي الإشارة هنا إلى أنّ لدينا في المملكة أعدادًا لافتة من المصابين بمرض التوحد. فقد قدرت إحصائية رسمية أنّ هناك ما يزيد على ٢٥٠ ألف طفل توحد في المملكة<sup>(٣)</sup>، كما سجّلت الإحصاءات الرسمية نفسها إصابة ٢٠٠ إلى ٤٠٠ طفل

(١) منظمة الصحة العالمية. <https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/autism-spectrum-disorders>.

(٢) <http://www.jacenter.org/ar/article/about-autism?a=new-research#nav>

(٣) <https://www.alarabiya.net/articles/2012/04/04/205472.html>





بمرض التوحد في كل عام<sup>(١)</sup>. والمؤسف في الأمر أن كثيراً من الأسر تفتقد المهارة في التعامل مع الطفل المصاب بالتوحد، فقد تصاب الأسرة بالصدمة، وتتأهب الكآبة والتشاؤم نتيجة إصابة أحد أفرادها بالمرض، غير أن الأسرة المؤمنة الواعية ينبغي أن تكون راضية بقضاء الله وقدره، وأن تتحمل مسؤوليتها تجاه هذا الطفل المصاب، من خلال تشخيص المرض خلال الثلاث سنوات الأولى من عمره حيث بداية ظهور الأعراض، فالإكتشاف المبكر لهذه الحالة يساعد أكثر في التكيف مع الحالة، ومساعدة الطفل في تحسين مهاراته وأدائه في مختلف شؤونه اليومية والخاصة، والتقليل من أثر الإصابة بالمرض على مستقبله وحياته. وبحسب المختصين يمكن تشخيص أعراض المرض من خلال ملاحظة تأخر الطفل في النطق، وضعف استجابته للمؤثرات المحيطة، وقلة التفاعل مع من حوله، إضافة إلى ضعف القدرة على التخيل وإبداء رد الفعل المناسب، عند ذلك ينبغي مراجعة الأطباء والأخصائيين.

### الأسرة ومواجهة الابتلاء

إن أول الأطراف المسؤولة عن العناية بالمريض بالتوحد هي الأسرة في المقام الأول. إذ ينبغي أن تتعامل الأسرة على نحو خاص مع المصاب، على أن تضع في الاعتبار أولاً أن ذلك ابتلاء وامتحان من الله، ينبغي الاستعداد له من خلال وضع برنامج للتعاطي مع هذا الابتلاء. ومن المؤسف ما ينتاب بعض الأسر من الانفعال والغضب، نتيجة هذه الحالة، فيتعاملون مع الطفل المريض تعاملاً سيئاً قاسياً، كما لو أنه طفل سويّ وقد اختار لنفسه المرض!، في حين هو مولود مع المرض، ولا يملك من أمره شيئاً. فالأسرة مطالبة بتفهم أوضاع طفلها التوحيدي وأن تحسن التعامل معه، من خلال عرضه على الأطباء، والوقوف على كامل أوضاع المرض وأعراضه، وسبل التعامل معه.

(١) مركز التوحد الأول بجدة <http://tawahod.net/?p=799>





## التوحد والمسؤولية الاجتماعية

وينبغي أن يتحمل المجتمع مسؤوليته في رعاية مرضى التوحد. وذلك من خلال توفير المراكز والمؤسسات المهمة بالأطفال المصابين، ونحمد الله تعالى أن مجتمعنا في القطيف قد تنبه لهذا الأمر مبكرًا، وقد تشكلت مؤسسة أهلية، تدعى بلجنة أسر أطفال التوحد، وأخذت طريقها للعمل في جزيرة تاروت سنة ١٤١٨هـ، بمبادرة من أسر الأطفال ذوي الإعاقة بمرض التوحد.

وقد عملت اللجنة منذ ذلك الحين على جمع المعلومات، وإنشاء البرامج المساعدة للأسر والأطفال المصابين، وبادروا منذ ذلك الحين في إنشاء فصول لتدريب مرضى التوحد، اتخذت من أحد المنازل مقرًا لها، وكانت هذه أول بذرة للعمل الأهلي على هذا الصعيد، على مستوى المنطقة والمملكة ككل، حتى إن مؤسسي جمعية التوحد في مدينة الرياض، بعثوا يستطلعون تجربة لجنة أسر أطفال التوحد في تاروت. وتمت الاستفادة من خبرات هذه اللجنة على المستوى الإقليمي، فقد ساهم أعضاؤها في تقديم خبراتهم لإنشاء مراكز متخصصة بالتوحد في جمهورية العراق. والخبر الجيد على هذا الصعيد، هو انطلاق مركز جديد تأسس مؤخرًا في مدينة القطيف باسم مركز تواصل، التابع لجمعية القطيف الخيرية، وهو مركز مختص بالتعامل مع مرضى التوحد، وقد بدأ نشاطه بخدمة ٢٥ طفلًا توحدًا.

## الحاجة إلى مراكز متخصصة

إن على المجتمع أن يتحمل مسؤوليته تجاه مرضى التوحد، كذلك على الجهاز الحكومي إيلاء هذا الأمر اهتمامًا أكبر. فعدد المراكز المهمة بمرض التوحد على مستوى المملكة قليلة، تُعدّ على الأصابع، حيث يبلغ مستوى الحاجة الفعلية للمراكز الخاصة بمرضى التوحد في المملكة نحو أربعة إلى خمسة آلاف مركز، سيما وأن لدينا أكثر من ٢٥٠ ألف طفل توحد في المملكة، علاوة على ارتفاع





تكاليف رعاية مرضى التوحد في مراكز خارجية، ومن المعلوم أن تكاليف رعاية الطفل التوحد في الأردن حيث يتواجد كثير من الأطفال السعوديين، يبلغ نحو ١٥٠ ألف ريال للطفل الواحد سنويًا، في حين ستخفض هذه التكاليف بنحو النصف فيما لو تم إنشاء مراكز متخصصة داخل المملكة، ناهيك عن ما سيوفره ذلك من تواجد الأطفال قرب عوائلهم، عوضًا عن بقائهم بعيدًا عن أهلهم لفترات طويلة خارج البلاد. إن علينا جميعًا أن نتحمّل مسؤوليتنا في الاهتمام بهذه الشريحة الضعيفة في المجتمع. فبرحمتهم ينزل الله رحمته علينا، وهذه المسألة ينبغي أن تأخذ أهمية كبيرة لدى المجتمع، فالاهتمام بهذه الفئة من الضعفاء لا يقل أهمية عن العناية بالمساجد والحسينيات والمواكب واللجان الأهلية المختلفة، وذلك لما لهذا الأمر من انعكاس مباشر على حياة هؤلاء الأفراد وعوائلهم والمجتمع على نحو عام.

### مرض التوحد وإنسانية المجتمع

خلق الله تعالى الإنسان على هيئة هي الأكثر روعة وجمالاً من بين سائر المخلوقات. فقد جعله الله في أبهى صورة، كما عبّرت عن ذلك الآية الكريمة ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾.

كما حبي الخالق سبحانه وتعالى الإنسان بأفضل نظام متقن في خلقتة وإدارة مملكة جسمه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

وقد دعا القرآن الكريم الإنسان في جملة من الآيات إلى التأمل في نفسه ووجوده، بغرض معرفة قيمته وليدرك فضل الله تعالى عليه، ومن أجل أن يحسن إدارة ذاته، قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، كما ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: «من عرف نفسه عرف ربه»<sup>(١)</sup>، فالتأمل في النفس هو سبيل إلى

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٣٥٢، حكمة ١٠١١.







معرفة الخالق عزّ وجلّ.

## وظيفة الدماغ والاتقان الإلهي

ولو شئنا الحديث عن أهمّ جهاز عند الإنسان، الذي من خلاله يدير ويتحكم في كيانه وحياته، فسيتمثل ذلك في الدماغ. الذي هو مركز التحكم الرئيس في الجسم، حيث يستقبل عن طريق الأعصاب جميع المعطيات الحسية والمعلومات الواردة من داخل وخارج الجسم، ليقوم بتحليلها بسرعة فائقة، وليصدر على أثرها ردود الأفعال الملائمة، فبمجرد أن تقع يد الإنسان - مثلاً - على جسم حارّ أو بارد، فإنّ الجهاز العصبي يرسل معلومة فورية للدماغ، ليصدر عنه بلمح البصر ردّ الفعل المناسب، سواء بإبعاد اليد عن ذلك الجسم أم غير ذلك من تصرف يقتضيه المقام، وهكذا الحال بالنسبة للنظر أو السمع وسائر الحواس.

إنّ هذه الرسائل التي يرسلها الدماغ هي التي تنظم حركة ووظائف الجسم. كما يقوم الدماغ أيضًا بتخزين المعلومات الخاصة بالخبرات السابقة، الأمر الذي يساعد الفرد على التعلم والتذكر والتصرف بناءً على تلك الخبرات. وغنيٌّ عن القول إنّ الدماغ هو المصدر الأساس للأفكار والانفعالات عند الإنسان.

وكما هو معروف علمياً يبلغ وزن الدماغ عند حديثي الولادة نحو نصف كيلو غرام، ويرتفع الوزن إلى كيلو وأربعة من عشرة عند الأطفال في سنّ السادسة من العمر، والحدّ الأقصى لوزن الدماغ عند الإنسان لا يتعدّى اثنين بالمئة من وزن جسمه. ومع ذلك يستهلك الدماغ بمفرده نحو ٢٠ بالمئة من الأوكسجين الذي يستهلكه الجسم، وتقوم بإمداده به شبكة من الأوعية الدموية إلى جانب الغذاء الضروري. وأقصى مدة يستطيع فيها الدماغ الاستغناء عن الأوكسجين لا تتعدّى مدة الثلاث إلى خمس دقائق فقط، عدا عن ذلك قد يكون الدماغ عرضة للتلف.

ويحتوي الدماغ البشري على ما يتراوح بين عشرة ومئة بليون عصبون، تشكل





خلال الأشهر القليلة التي تعقب الولادة. وحينما يكون وضع الدماغ سليماً، فإن ذلك ينعكس على سلامة الإنسان واتساق حياته، وعلى النقيض من ذلك، إذا طرأ أي خلل وظيفي أو اضطراب في عمل الدماغ، فلربما انعكس ذلك على هيئة إعاقة دائمة تلمّ بالإنسان.

### التوحد خلل في وظائف الدماغ

وتتعدّد الإعاقات الناتجة عن الخلل في وظائف الدماغ أو النظام العصبي المرتبط به. إحدى هذه الإعاقات هي ما يعرف بمرض التوحد، وهو موضوع حديثنا بمناسبة اليوم العالمي للتوعية بمرض التوحد، المصادف للثاني من شهر إبريل من كل عام، الذي أعلنته الأمم المتحدة اعتباراً من عام ٢٠٠٨، ليبدأ العالم بعدها الاحتفاء بهذا اليوم، بغرض تسليط الأضواء على المرض.

ووفقاً للتقارير الطبية يأتي مرض التوحد نتيجة عروض خلل وظيفي في الدماغ، لكن لم يقف العلم حتى اليوم على إجابة شافية حول أسباب نشأة هذا المرض، فمن غير المعروف حتى الآن ما إذا كان منشأ المرض أسباب وراثية، أم هو مرتبط بعوارض متعلقة بفترة الحمل، أم لخلل طارئ يصاحب الولادة، أو المرحلة الأولى لطفولة الإنسان، كلّ هذه الاحتمالات ما تزال مطروحة من قبل العلماء المختصين، لكنهم وبالرغم من الأبحاث الطويلة لم يخلصوا حتى الآن إلى إجابة حاسمة في هذا الشأن.

وتفيد التقارير أنّ هناك ما يناهز ٦٧ مليون مصاب بمرض التوحد عبر العالم. ويوجد في المملكة وحدها ما يتراوح بين ٣٢٠ و ٣٥٠ ألف حالة من مرضى التوحد. واللافت أنّ هناك اتساعاً في رقعة انتشار المرض، وسط تزايد أكبر في نسبة انتشاره بين الأطفال الذكور، بما يصل إلى نسبة أربعة أضعاف العدد قياساً على الإناث، فهناك ثلاثة إلى أربعة أطفال ذكور مصابين بالتوحد مقابل كلّ طفلة مصابة.

وبحسب المختصين يساهم الكشف المبكر عن المرض في التخفيف من تداعياته





على الطفل. وللإشارة إلى بعض أعراض المرض، هناك منها ما ينعكس على القدرات اللغوية للطفل، فقد يشعر بثقل في اللسان ولا يكون قادرًا على التلفظ بالكلمات على نحو واضح، كما يتجلى ذلك أيضًا في سلوك الطفل المصاب ومدى تفاعله مع الوسط المحيط به، بحيث لا يبدي سلوكًا متوازنًا على غرار الأطفال الأصحاء، علاوة على ردّات الفعل غير الإيجابية التي قد تصدر منه، فقد لا يستجيب إلى النداء بسرعة، ولا يدرك جيدًا معنى قرع جرس الباب، أو رنين الهاتف. ويشير المختصون إلى أعراض متفاوتة على مرضى التوحد، سيما بالنظر إلى حداثة اكتشاف وتشخيص المرض التي لم يمض عليها سوى ٧٥ سنة تقريبًا، على يد الطبيب الأمريكي ليو كانر، لذلك ما يزال مرض التوحد هو الأكثر غموضًا من بين مختلف الاضطرابات العصبية والذهنية لدى الأطفال.

وقد أثارت أحدث التقارير الطبية حول مرض التوحد صدمة لدى الأوساط المعنية. فقد أورد أحد التقارير التي أشهرها مركز السيطرة والتحكم بالأمراض والوقاية منها في الولايات المتحدة سنة ٢٠١٢ بشأن انتشار مرض التوحد، بأن هناك طفلًا واحدًا مصابًا بالتوحد من بين كلّ ٨٨ طفل دون سنّ الثامنة، وسط تصاعد في الأرقام بين سنة وأخرى، فقد كان معدل الإصابة بالمرض في عام ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٢ يبلغ إصابة واحدة من بين كلّ ١٥٠ طفلًا، لتزيد النسبة في عام ٢٠٠٤ بمعدل إصابة واحدة من بين كلّ ١٢٥ طفلًا، ولتتصاعد الرقم في عام ٢٠٠٦ بمعدل إصابة من بين كلّ ١١٠ أطفال، ليبلغ المعدّل في عام ٢٠٠٨ سقف الإصابة الواحدة من بين كلّ ٨٨ طفلًا، وعلى هذا النحو بلغ المعدل في عام ٢٠١٠ إصابة واحدة من بين كلّ ٦٨ طفلًا.

إنّ المعدل المتسارع لانتشار مرض التوحد عبر العالم يفرض على البشرية أن تولي هذا المرض اهتمامًا أكبر على صعيد الأبحاث والدراسات. وليت البشرية توفر قسطًا من إنفاقها في مجال الصناعات العسكرية وإنتاج الأسلحة الفتاكة والمتاجرة





بها، لتصب جانباً من تلك الجهود في مجالات البحث العلمي التي تفيد الإنسان وتحفظ مستقبل البشرية.

### رسالة إلى عوائل التوحّدين

وبمناسبة اليوم العالمي للتوعية بمرض التوحّد، ينبغي في هذا المقام أن نوجّه ثلاث رسائل: الأولى موجهة إلى العائلة المبتلاة بوجود مصاب بمرض التوحّد من بين أفرادها، فقد كانت العائلات في الماضي تعيش شكلاً من أشكال الشعور بالإثم والتذمّر الداخلي، إلى جانب الخجل الاجتماعي جرّاء معرفة الناس أن لدى العائلة طفلاً مصاباً بالإعاقة، غير أنّ المجتمعات البشرية باتت اليوم أكثر وعياً، وصارت تعترف بحقيقة المرض باعتبارها أمراً واقعاً، الأمر الذي انعكس على نمط التعاطي مع المرض على نحو بات أكثر وعياً ونضجاً.

من هنا ينبغي للعائلة التي تكتشف المرض عند أحد أفرادها، أن تستشعر الرضا بقضاء الله وقدره، فلا خيار ولا يد لها في الأمر، ولا بُدّ أن تكون نفوس أفراد العائلة مفعمة بالثقة والاطمئنان بقضاء الله وقدره، وأن يعتبروا الأمر نوعاً من الامتحان الإلهي، وهذا ما يفرض التعامل مع الطفل المريض تعاملًا سليماً. سيما وأنّ بإمكان العائلة أن تساهم في تحسّن حالة الطفل المصاب، متى ما أولت ذلك اهتماماً خاصّاً، وتحلت بالوعي الكافي بالمرض، فالطفل التوحّدي بإمكانه اكتساب بعض المهارات والخبرات، ومن ذلك ما يتعلق بتناول الطعام والنظافة الشخصية وارتداء الملابس، وإن كان ذلك على نحو أكثر بطئاً من الطفل غير المصاب. وقد لفت نظري في هذا الصدد عدد من الإصدارات عن الجمعية السعودية للتوحّد تناولت سبل التعامل مع الأطفال المصابين بالتوحّد. وهي كتب علمية ميسّرة نافعة وبإمكان أيّ عائلة الحصول عليها.





## استثارة الحسّ الإنساني

أمّا الرسالة الثانية التي ينبغي أن نتناولها بمناسبة اليوم العالمي للتوحد فهي موجهة للمجتمع. إذ ينبغي استثارة الحسّ الإنساني تجاه هذه الشريحة، فهؤلاء المصابون هم بشر، على الجميع أن يتعامل معهم بعناية واهتمام خاص.

إنّ مما يؤسف عليه أنّ هناك فئة من الناس لا تجد طريقة التعامل مع المصابين ببعض الإعاقات الذهنية، لذلك تجد بعضهم يتعامل مع هؤلاء إمّا بالسخرية أو الابتعاد عنهم، كما لو كانوا مصابين بأمراض معدية، وليتهم علموا أنّ وجود هؤلاء هو امتحان إلهي للمجتمع. وليس من قبيل المبالغة القول إنّ حقيقة إنسانية الإنسان إنّما تتمظهر في نمط تعامله مع أفراد هذه الفئة الضعيفة. وقد راق لي رؤية أحد المؤمنين ممن يحضر للصلاة معنا في المسجد برفقة ابنه المصاب بالتوحد، حيث لا ينبغي بأيّ حالٍ عزل هؤلاء عن محيطهم الاجتماعي، وإنما ينبغي إدماجهم اجتماعياً، من خلال الحضور في المساجد والحسينيات والأندية الرياضية والمجالس العائلية، فذلك ما يساعدهم على الصعيد النفسي، علاوة على إكسابهم المزيد من المهارات والخبرات، وكلّ ذلك بخلاف ما تقوم به بعض العوائل التي تحجب طفلها عن أنظار الناس خشية الإحراج، وهذا خطأ فادح يرتكب بحقّ الطفل المصاب. ينبغي القول إنّ مرافقة الوالدين للطفل التوحدي ضمن الأماكن العامة، يتضمن إشارة قوية إلى حجم الدور الذي يقومون به تجاه ابنهما المصاب، وبذلك يستحقان الإعجاب والتقدير، علاوة على استحقاقهما الثواب العظيم من الله تعالى.

## الحاجة إلى المراكز المتخصصة

واستطراداً، ينبغي أن يكون هناك المزيد من المؤسسات المتخصصة في التعامل مع فئة المصابين بالتوحد. ومن أسف نقول، إنّنا لا نكاد نجد في محافظة كبيرة ذات كثافة سكانية عالية، كمحافظة القطيف أكثر من بضعة مراكز معنية بهذه الفئة، ومنها





مركز تواصل التابع لجمعية القطيف الخيرية، ومركز زهور المستقبل التابع لجمعية تاروت الخيرية، ومركز إيلاف في مدينة صفوى، ومركز الرعاية النهارية في مدينة القطيف.

وفي إشارة إلى مدى شح المراكز المتخصصة في هذا المجال، أتضح لي من خلال الحديث مع مركز تواصل بالقطيف أنّ لديهم ٤٧ طفلاً توحدتياً، في حين لا يزال أكثر من خمسين طفلاً مسجلاً عندهم على قائمة الانتظار، نتيجة عدم القدرة على استيعابهم؛ نظراً لمحدودية الإمكانيات. إنّ المطلوب هو أضعاف المراكز الموجودة.

وقد حملني بعض المسؤولين عن مراكز ذوي الاحتياجات الخاصة رسالة للمجتمع. وخصّوا بها المتصدّين لتشييد المساجد والحسينيات، والقائمين على الأنشطة الدينية، وفحواها أن يولوا هذه الشريحة، بعضاً من اهتمامهم، ليس تقليلاً من قيمة أماكن العبادة، وإنّما لغرض لفت نظر المجتمع إلى الحاجة الماسة لوجود المراكز الخدمية لذوي الاحتياجات الخاصة، وأهميتها القصوى. وليس لديّ أدنى شك أن الأجر والثواب المرجو من تشييد هذه المراكز الخدمية سيكون أعظم وأكبر بمقدار الحاجة الملحّة لوجودها، إذ إنّ تعاضم الأجر والثواب بمقدار تعاضم الحاجة لعمل الخير. حيث ولله الحمد هناك وفرة في المساجد والحسينيات، وخير ما يحضرنني في هذا المقام ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا رأيت الناس قد أقبلوا على كثرة العمل، فأقبل على صفو العمل»<sup>(١)</sup>، وذلك في إشارة منه عليه السلام إلى ضرورة الالتفات إلى سدّ مناطق الفراغ عوضاً عن تكرار ما يقوم به الآخرون، والمراكز الخدمية لذوي الاحتياجات الخاصة تمثل منطقة فراغ كبيرة في وقتنا الراهن، وتستحقّ من الجميع الالتفات لها، وليثق المتبرع في هذا السبيل أن ثوابه وأجره على هذا العمل لا يقلّ بأيّ حالٍ عن أجره مقابل التبرع إلى الأنشطة الدينية إن

(١) العاملي: محمد بن الحسن الحسيني، المواعظ العددية، الطبعة السادسة ١٤١٩هـ، قم، ص ١٧٨.





لم يفقها أجرًا وثوابًا.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الجهات الرسمية تتحمل دفع الرسوم المترتبة عن كلّ طفل توحدٍ للمراكز التي تستضيفهم، وبالبالغة نحو ثلاثين ألف ريال عن كلّ طفل، كما تدفع الوزارة إعانة مالية لكلّ عائلة لديها طفل توحدٍ، وينبغي الإشارة هنا إلى أنّ هذه الإعانة تعدّ من الناحية الشرعية حقًا للولد المعاق، ولا يجوز للعائلة أن تتصرف فيه، وقد لفت نظري في هذا الصدد قول أحدهم بأنّ طفله المعاق «قد تبارك عليه»، فهو وعائلته يستفيدون من الإعانة الرسمية المخصصة لابنهم في الصرف على العمرة والزيارة، ولا أدري بأيّ وجه شرعي يستحلّون هذا الحقّ المخصّص للطفل المعاق، حيث لا يجوز لهم شرعًا التصرف بأيّ شيء من هذا المال إلا ضمن أوجه الإنفاق عليه.

وقد أكبرت كثيرًا ما شاهدت ضمن مهرجان مدرسي نظّمته مدرسة النجاح الثانوية بالقطيف بتاريخ ٢٠/٦/١٤٣٧هـ، حيث احتوى على أركان مخصّصة لذوي الاحتياجات الخاصة، والرسالة الضمنية هي أنّ وجود الإعاقة لا يعني نهاية دور المعاق في المجتمع، سيما لجهة الإمكانيّة المتوفرة لاكتساب هذه الفئة القدرات والمهارات، وقد عرضت تلك الأركان المدرسية جانبًا من أعمال المعاقين ومعروضاتهم، مما يشير إلى إمكانيّة تطوّرهم على صعيد مختلف المهارات، والأهم هو شعور أفراد هذه الفئة بأنّ لهم قيمة في الحياة، وأنّهم أرقام معترف بها في المجتمع الذي يعيشون فيه.

### للعاملين في مراكز ذوي الاحتياجات

والرسالة الأخيرة موجّهة للعاملين في المراكز الخاصة بذوي الاحتياجات. إنّ المعروف عالميًا، أنّ العمل في هذا النوع من المراكز منوط بمن يحملون مؤهلات متقدمة، فلا يدخل ضمن هذه المراكز إلا من كان يحمل شهادات عليا، إلى جانب





امتلاكه الخبرات الكافية، والتدريب اللازم للتعامل مع هذه الفئة.

ولكن بالنظر إلى حداثة هذه المؤسسات في مجتمعنا، فإننا مدعوون لتوفير المزيد من الخبرات وتأهيل المتخصصين. وبالرغم من إدراكنا لمدى التعب والعناء الذي يتطلبه العمل مع هذه الشريحة، إلا أنه يبقى عملاً يكتنفه الكثير من الإنسانية. وقد تحدّثت إلى بعض الأخوات العاملات في هذه المراكز، وأسعدني كثيراً ما لمستته عندهنّ من شعور بالسعادة، كونهنّ يقمن بعمل إنساني كبير، وهو كذلك بالفعل.

من هنا، لا بُدّ من تشجيع العاملين في هذه المراكز، من حيث المكافآت المالية والتقدير والاحترام.

إنّ علينا أن ندرك ونحن نستقبل اليوم العالمي للتوعية بمرض التوحّد، بأنّ العمل في هذا المجال، تتجلّى فيها إنسانية المجتمع، تماماً كما يتجلّى الاهتمام الديني في وجود الأماكن العبادية. إنّ الحالة الدينية في أيّ مجتمع ستكون فارغة من أيّ مضمون وستبقى مجرد طقوس ظاهرية، إن لم تفرز الوجه الإنساني، وتكرّس الحالة الإنسانية في المجتمع، هذا ليس مجرد كلام انطباعي، إنّما هو تعبير عن جوهر الدين، حيث ورد في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الخلق عيال الله فأحبّ الخلق إلى الله من نفع عيال الله»<sup>(١)</sup>، فالدين يعتبر مقياس التدين الصادق يتمثل في الاهتمام بمناطق الضعف في المجتمع، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ \* فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ \* وَلَا يَحْضُرْ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، فالآية تشير بوضوح إلى أنّ المكذب بالدين ليس هو المتكاسل في صلاته وصيامه، وإنّما هو ذاك الذي يضطهد اليتيم ولا يطعم المسكين، وليس في ذلك تقليل لأهمية الصلاة، بقدر ما فيه من تركيز على المظهر الأهمّ للتدين الصادق المتمثل في رعاية الأيتام وإطعام المساكين.

(١) الكافي، ج ٢ ص ١٦٤، حديث ٦.







## يوم الصحة العالمي

### الوضع الصحي ومواجهة أمراض العصر

ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «الصحة أفضل النعم»<sup>(١)</sup>. يُعدّ التوفّر على الصحة والعافية، العامل الأساس لتمتع الإنسان بحياته. بخلاف ما إذا ابتلي المرء بالأمراض، حيث تنغصّ آلام المرض حينئذٍ عليه متعة الحياة، وتمنعه من ممارسة الحركة والنشاط الطبيعي، وقد أوجز الإمام عليّ عليه السلام مكانة الصحة في حياة الإنسان بالقول «الصحة أفضل النعم»، ذلك أنّ الاستمتاع بمختلف النعم مشروط بالتمتع بالوضع الصحي السليم، فإذا فقدت الصحة فما عسى يفيد المال؟ وما نفع الألقاب والمناصب؟ وكذلك الحال مع سائر المكاسب الأخرى.

وفي كلمة أخرى وردت عنه عليه السلام أنّه قال: «بالعافية توجد لذة الحياة»<sup>(٢)</sup>، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «العافية نعمة يعجز الشكر عنها»<sup>(٣)</sup>، إنّ هذه الحقائق الجليلة تستلزم الاهتمام بالرعاية الصحية، وألا يعثب الإنسان بصحته بأيّ نحوٍ من الأنحاء. غير أنّ أغلب الناس ما داموا ينعمون بالعافية، فإنّهم يغفلون عن رعاية

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٤٠، حكمة ١٠٩٤.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ١٦٥، حكمة ٨٦.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق، ص ٣٠٠، حديث ٣٤٠.





أنفسهم بالشكل المناسب صحياً، لأنهم ببساطة لا يدركون فداحة افتقاد الصحة على حياتهم، وقد قيل في ذلك: «نعمتان مجهولتان: الصحة والأمان»، وقيل أيضاً: «الصحة تاج على رؤوس الأصحاء، لا يراه إلا المرضى». وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «العافية نعمة خفية، إذا وجدت نسيت، وإذا فقدت ذكرت»<sup>(١)</sup>.

### التوعية بداء السكري

وتقديرًا لأهمية العناية بالصحة قرّرت منظمة الصحة العالمية، الإعلان عن يوم الصحة العالمي. وجعلت من ذلك اليوم المصادف ليوم السابع من نيسان أبريل من كلّ عام، مناسبة للتذكير بأهمية التمتع بالصحة والعافية، وهو مناسبة لتوجّه الأصحاء لله تعالى بالشكر على نعمة الصحة، وللمرضى بطلب السلامة والعافية منه تعالى، راجين أن يمنّ تعالى على جميع المرضى بالصحة والعافية.

وقد دأبت المنظمة في كلّ عام على التركيز على مرض معين، تبعاً لخطورة ذلك المرض وسعة انتشاره في المجتمع البشري، وقد خصّصت المناسبة لعام ٢٠١٦ للتوعية بداء السكري، هذا الداء الوييل الفتاك الآخذ في الانتشار عبر العالم، حيث تشير الإحصاءات إلى أنّ عدد المصابين بالسكري عبر العالم بات يزيد على ٤٢٢ مليون شخص، وهو ما يعادل أربعة أضعاف العدد لعام ١٩٨٠، حين كان يلامس المئة مليون مصاب.

وعلى المستوى المحلي، تشير التقارير إلى أنّ السعودية احتلت المرتبة الأولى عالمياً، في عدد المصابين بالمرض. وأنّ ربع السعوديين مصابون بهذا الداء الخطير، أي إنّ واحداً من كلّ أربعة سعوديين مصاب بالسكري، وبلغت الأرقام هناك ما يزيد على ثلاثة ملايين وستمئة ألف مصاب بالسكري في المملكة، وهو ما يعادل نسبة ٩, ٢٣ بالمئة، ما يجعلها النسبة الأعلى في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وهناك

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٤٠٦، حديث ٥٨٧٨.





نحو ١٣ بالمئة من السكان معرّضون للإصابة بالمرض خلال السنوات الثلاث المقبلة. وهذه نسبة عالية خطيرة، لجهة ما يترتب عليها من مشاكل كثيرة، من الإصابة في شبكية العين المفضية للعمى، والتأثيرات السلبية على القلب والكلى والأطراف، فهناك إحصاءات سنوية مذهلة حول عمليات بتر الأطراف، نتيجة الإصابة بالسكري في المملكة، ناهيك عن الخسائر الاقتصادية المترتبة على انتشار الإصابة بالمرض، التي قدّرت بنحو ٨٠ مليار ريال في العام الواحد.

### الوقاية من السكري

وقد ركّزت منظمة الصحة العالمية في سبيل الوقاية من داء السكري على أمرين اثنين؛ أولهما الاهتمام بسلامة النظام الغذائي، والثاني ممارسة الرياضة. فهناك على مستوى النظام الغذائي إفراط في التهام الطعام، على نحو تشير التقارير إلى ارتفاع لافت في معدّل السرعات الحرارية المستهلكة يوميّاً عند الأفراد. فقد كان معدّل السرعات الحرارية التي يحصل عليها الفرد يوميّاً من الغذاء، خلال فترة الستينيات، نحو ٢,٠٠٠ سعرة حرارية، ليرتفع في الوقت الراهن إلى ٣,٥٠٠ سعرة حرارية. والأنكى، أنّ تلك السرعات الحرارية في الأزمنة السابقة تجد طريقها للتصريف نتيجة الحركة والنشاط، تبعاً لطبيعة الحياة وظروف العمل، على النقيض مما يجري اليوم، حيث ازداد معدّل استهلاك الطعام، وتضاءلت كثيراً نسبة الحركة والنشاط، فإذا اجتمع انعدام سلامة النظام الغذائي مع قلة الحركة، تسنّى لنا معرفة سبب تزايد المصابين بداء السكري في المملكة، ليصل إلى شخص واحد من بين كلّ أربعة سعوديين.

وقد بلغ من استهانة بعض الناس بخطورة الإفراط في الطعام، أن يشجّع أحدهم الآخر على المبالغة في التهام الطعام، خلال الدعوات الاجتماعية، أو الرحلات مدفوعة الثمن، متناسين قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾، ومما يفاقم المشكلة ارتباط مختلف مناسباتنا الدينية والاجتماعية بتقديم الولائم، إنّ تدهور





الصحة هو الثمن الباهظ الذي يتعيّن دفعه نتيجة الإفراط في الطعام. والحال أنّ معدّل استهلاك الطعام ينبغي أن يرتبط بمعدّلات الحركة والنشاط. ذلك أنّ ارتفاع معدل استهلاك السعرات الحرارية يستلزم وجود حالة تصريف متناسبة، وإلا انعكس ذلك على معدّلات الوزن، وزيادة السمنة، وأمراض السكر والقلب، وارتفاع الضغط.

### ترشيد العادات الغذائية

إنّ مجتمعاتنا بحاجة إلى حملات توعوية مكثفة، على صعيد تحسين العادات الغذائية. وأول خطوات التوعية تبدأ من المنزل، حيث ينبغي لربّ الأسرة، باعتباره مسؤولاً عن صحة عائلته، أن يتحلّى بالوعي الغذائي في المقام الأول، على نحو يجعله يعرف جيّداً طبيعة الأغذية التي يجلبها لعائلته، وضمان توفير الغذاء الصحي لها، فكما أنّ ربّ الأسرة لا يستسيغ أن يأتي لعائلته بطعام ملوث أو فاسد أو منتهي الصلاحية، ينبغي له أيضاً التدقيق في نوعية الطعام، وإيلاء هذا الأمر أهمية قصوى، أخذاً في الاعتبار تسبّب بعض الأطعمة في تفاقم أمراض العصر.

وكذلك بالنسبة لربة المنزل أيضاً، ينبغي أن تراعي الإرشادات الصحية، عوضاً عن الإفراط في إعداد الأطعمة المشبعة بالدهون والسكريات، أو استرضاء الأطفال بإعطائهم النقود، والسّماح لهم بالذهاب للبقالات لشراء السكريات والمعلبات، أو ارتياد مطاعم الوجبات السريعة، بكلّ ما تحمل هذه النوعية من الأطعمة من أضرار على صحتهم.

وهذا ما يتطلّب أيضاً توعية الأطفال أنفسهم التوعية الصحية المناسبة، حتى يتجنّبوا الإقبال على استهلاك كلّ ما يجدونه أمامهم، ومن ذلك على سبيل المثال الأطعمة والمثلجات التي تروّجها السيارات المتنقلة بين الأحياء السكنية، والأماكن الترفيهية، والتي لا أحد يعلم عن ظروف إعدادها وتحضيرها. وينبغي أن ينسحب ذلك على المقاصف المدرسية، التي لا يُراعى فيها توفير الأطعمة الصحية للطلاب.





وهذا ما يلقي بالمسؤولية على إدارات المدارس نفسها.

كما تتحمّل المنابر الدينية أيضًا جانبًا مهمًّا من توعية الجمهور على هذا الصّعيد، بالنظر لاهتمام الدين بالجانب الصحي في حياة الإنسان، حيث ورد عن النبي محمد ﷺ ضمن سياق حديثه عن الآية الكريمة: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾، أنّه قال: «الْحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا الصَّحَّةُ وَالْعَافِيَةُ، وَفِي الْآخِرَةِ الْمَغْفِرَةُ وَالرَّحْمَةُ»<sup>(١)</sup>.

### الإرشادات الدينية الصّحية

وقد وردت نصوص دينية عديدة في ضرورة الحفاظ على الصّحة في حياة المسلم. فقد ورد عن أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال: «المعدة بيت الأدواء، والحمية رأس الدواء»<sup>(٢)</sup>، ذلك أنّ الكثير من المشاكل الصحية منشؤها من الأطعمة وأنواع الشراب. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّه في الوقت الذي ينبغي أخذ التعاليم الدينية حول الصّحة العامة بعين الاعتبار، ينبغي التزام الحذر حيال الروايات الصحية التفصيلية الواردة في عدد من الكتب المتداولة، من قبيل كتاب «طبّ النبي» المنسوب لأبي عباس المستغفري أو كتاب «طبّ الأئمة» لابني بسطام الحسين وعبدالله، فلا يصحّ أبدًا الاعتماد على تلك الروايات في القضايا الطبية التفصيلية، فهناك في عصرنا الراهن تقدّم علمي كبير، وطبّ حديث، يمكن الاعتماد عليه، خاصة وأنّ الكتابين الآنفين غير معتبرين لجهالة مؤلّفيهما بحسب المتخصّصين في علم الرجال، فلا أحد يعلم بجامع هذين الكتابين على وجه التحديد، وقد ذهب العلماء إلى القول بعدم اعتبار أغلب ما فيهما من الروايات، وأمّا ما ورد في غيرهما من الكتب فأكثره ضعيف سندًا، والمعتبر منه قليل.

(١) بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ١٧٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ٧٥.





وقد أورد الشيخ الصدوق في كتابه «الاعتقادات» كلام لطيف حول الروايات الطبية الواردة، حيث قال: «اعتقادنا في الأخبار الواردة في الطب أنها على وجوه، منها ما قيل على هواء مكة والمدينة، فلا يجوز استعماله في سائر الأهوية، ومنها ما أخبر به العالم (الإمام) على ما عرف من طبع السائل، ولم يتعدّ موضعه، إذا كان أعرف بطبعه منه، ومنها ما دلّسه المخالفون في الكتب لتقبيح صورة المذهب عند الناس، ومنها ما وقع فيه سهو من ناقله، ومنها ما حفظ بعضه ونسي بعضه»<sup>(١)</sup>.

ومضمون قول الصدوق أنّ الوصايا الطبية الواردة عن النبي والأئمة، قد تكون جاءت على وجوه مختلفة. فلربما أتى الإمام مريض في المدينة المنورة يشتكي من علة، فيوصيه الإمام بوصايا طبية تتناسب وأجواء المدينة، وليست تتناسب بالضرورة مع من يعيش في أجواء أخرى، وقد تأتي وصية الإمام بناءً على وضع السائل أمامه دون غيره من الناس، تمامًا كما هو جارٍ في عصرنا الراهن حيث يعطي الطبيب الوصفة بناءً على تشخيص كلّ مريض على حدة، وفي الوجه الثالث يشير الصدوق إلى أنّ بعض الروايات الطبية ليست إلا روايات مرسوسة من أعداء أهل البيت، بغرض الإساءة لمذهبهم، إضافة إلى إمكانية وقوع الرواة عن الأئمة في السهو، فقد ينقلون عنهم خلاف ما سمعوا منهم، تمامًا كما لو سئل القادم من المستشفى عن كلام الطبيب، فقد يسهو عن كثير مما قاله له، وكذلك الحال مع المستمع لخطيب على المنبر، فقد لا ينقل جميع ما سمعه على نحو دقيق، ربما لعدم استيعابه بعض ما قيل، لذلك لا يمكن الأخذ بكلام الرواة عن الأئمة على عواهنه، وهنا بالتحديد يكمن دور العلماء المحققين في تمحيص الروايات والوقوف على مدى صحتها. لكنّه يمكن الأخذ بالوصايا الطبية العامة الواردة في التراث الروائي، ومنها تلك المتعلقة بالحمية، أو الاقتصار على تناول الطعام وقت الجوع والقيام عنه «وأنت تشتيه»، وتجنّب النوم

(١) الشيخ الصدوق. الاعتقادات في دين الإمامية، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، (بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر)، ص ١١٥.





بمعدة متخمة بالطعام، هذه الوصايا تنسجم مع ما توصلّ له العلم والطب الحديث.

### النظام الغذائي والحركة والنشاط

من هنا، وبمناسبة يوم الصحة العالمي نودّ التأكيد على أمرين؛ أولهما التقيّد بسلامة النظام الغذائي، فلا يفرط المرء في تناول الطعام والشراب، وأن يلتزم الغذاء الصحي، بعيداً عن الإكثار من السكريات والمعلّبات، والأطعمة المشبعة بالدهون، والمشروبات الغازية المضرة.

والأمر الثاني ضرورة التزام الحركة والنشاط، والنأي عن حالة الركود والخمول، لما في الحركة من فوائد صحية كبيرة. وقد لفتني إقدام البعض على بذل الجهد بأنفسهم في غسيل السيارة مثلاً، وعندما يقال لهم أن يكلفوا عاملاً بالمهمة مقابل مبلغ زهيد، ويوفروا على أنفسهم العناء، فإنهم يقولون إنّ الفائدة الصحية العائدة عليهم من بذل الجهد والحركة، هي أضعاف مضاعفة من ذلك المبلغ الزهيد الذي يُعطي للعامل، وينسحب ذلك على سائر أشكال الحركة في المنزل، من تنظيف أرجاء المنزل وخارجه، والعناية بتنظيف وتنسيق الحديقة، وهذا ما نراه شائعاً عند الناس في البلاد الأخرى.

ولعلّ جانباً من أسرار وغايات بعض الممارسات العبادية، يكمن في ممارسة الحركة، من صلاة النوافل والسير إلى المساجد لحضور صلاة الجماعة، وتشجيع الجنائز. وتتزايد ممارسة الحركة والنشاط البدني أهمية في عصرنا الراهن، ففيه تكمن الراحة الحقيقية للبدن، بالنظر لتفاقم الأمراض المرتبطة بالكسل والخمول.









## اليوم العالمي للكتاب

### حركة الكتاب مؤشر المعرفة والتقدم

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [سورة القلم، الآية: ١].

إن رواج أيّ سلعة وأيّ بضاعة، يكشف عن مدى حاجة الناس إليها، واهتمامهم بها، حينما نرى أن الطلب قد اشتدّ في السوق على سلعة ما، فهذا يكشف عن حاجة الناس لها، أما إذا رأينا تلك البضاعة كاسدة، لا أحد يقبل عليها، فذلك يعني استغناء الناس عنها وقلة رغبتهم فيها.

إن العالم يقيس تقدّم مجتمعاته نحو العلم والمعرفة بمدى رواج الكتاب وأدوات المعرفة. فالمجتمع الذي يشعر بقيمة العلم، ويتحسّس الحاجة إلى المعرفة، يقبل على أدواتها، وتكون مطلوبة لأبنائه. أما المجتمع الذي لا يهتمّ بالمعرفة، بل يهتم باللذات والشهوات، فإن سوق وسائل المعرفة كاسدة فيه. من هنا تتم المقارنة بين مدى إقبال الناس على الكماليات والاهتمامات المادية، وإقبالهم على مصادر المعرفة والثقافة.

### المعرفة مقام أعلى

نحن ننتمي إلى دين يقُدّس المعرفة، ويعطيها المقام الأعلى.





إن أول منازل من الوحي ﴿أَفْرَأُ﴾ أمر بالقراءة. وهذه السورة الكريمة سميت بأداة رئيسة من أدوات المعرفة هي القلم، فالله تعالى يقسم بـ ﴿الْقَلَمِ﴾، فالقلم الآن شيء متداول، لكن عند نزول القرآن الكريم كان عدد من يحسنون الكتابة في مجتمع مكة آحادًا، عشرة أو أكثر، في ذلك الوقت تنزل سورة من القرآن عنوانها القلم، وفي مطلع هذه السورة يقسم الله تعالى بالحرف ﴿ن﴾، والحرف أداة من أدوات المعرفة، ونقلها وإيصالها، والقلم أداة الكتابة، ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ يعني الكتاب. إنه تعالى يقسم بالحرف، وبالقلم، وبالكتاب، من أجل أن يبين هذه الأمة على أساس الاهتمام بالعلم والمعرفة.

### الكتاب قيمة حضارية

لذلك نجد النصوص الكثيرة التي تؤكد على الاهتمام بالكتاب كمصدر للمعرفة، روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قيدوا العلم. قيل: وما تقييده؟ قال: كتابته»<sup>(١)</sup>.  
وورد عن المفضل بن عمر قوله: قال أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام: «اكتب وبث علمك في إخوانك، فإن مت فورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج ما يأنسون فيه إلا بكتبهم»<sup>(٢)</sup>.

وعن داوود بن القاسم الجعفري قال: «عرضت على أبي محمد العسكري عليه السلام كتاب يوم وليلة ليونس، فقال لي: تصنيف من هذا؟ قلت: تصنيف يونس مولى آل يقطين، فقال: أعطاه الله بكل حرف نورًا يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

هكذا نجد في تراثنا الديني، ما يشجع حركة الكتاب وإنتاجه ونشره، لكن المؤسف

(١) الشاهرودي: علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، ج ٩، طبعة ١٤١٩هـ، (قم المقدسة: مؤسسة النشر الإسلامي)، ص ٢٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٥٠.

(٣) الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، (بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث)، ج ٢٧، ص ١٠٢.





جدًّا أن الكتاب أصبح سلعة باثرة في الكثير من مجتمعاتنا. ففي عالمنا العربي أرقام انتشار الكتاب مخجلة، إذ تشير إحصائية إلى أن العدد الإجمالي لمنشورات الوطن العربي من الكتب خلال العام ٢٠٠٧ هو ٢٧ ألف و ٨٠٩ كتابًا فقط!!  
في البلدان المتقدمة، تطبع الكتب بعشرات ومئات الألوف.

أما معدّل النسخ المطبوعة من الكتاب العربي لا يزال يتراوح بين ٣ آلاف إلى ٥ آلاف نسخة في المتوسط العام، وهذه الكمية على قلتها هل تنفذ؟! هل تقتنى؟! أحد الأدباء في القطيف، وهو الشاعر الأديب عبد الوهاب المجمر رحمته الله، توفي في حادث حريق، احترق بيته وعياله، ولم يسلم إلا ديوانه المخطوط، ثم طبع هذا الديوان، وكانت المأساة في انتشار هذا الديوان، يذكر من أشرف على طباعته، ونشره وهو الأديب السيد عدنان العوامي، يقول: صرنا نبيع النسخة بريال واحد، (والدرزن) - أي اثنا عشر نسخة - بعشرة ريالات، مع أن الكمية المطبوعة منه ألفا نسخة فقط!!

كتب كثيرة مخطوطة في العالم العربي لم تطبع، وكيف تطبع إذا لم يكن للكتاب سوق؟! من يطبع الكتاب يتورّط بانتشاره!

يقدر الباحثون عدد المخطوطات العربية، بين ثلاثة وأربعة ملايين مخطوط، موزعة في أنحاء العالم، عدا ما تلف ونُهب وضاع.

### صناعة الكتاب في المجتمعات المتقدمة

في المجتمعات الأخرى صناعة الكتاب تجارة، المؤلف في تلك المجتمعات يربح من التأليف، هناك عدد كبير من المؤلفين يتفرغون للتأليف، ويعيشون على فوائد نشر كتبهم، ولكن لو أن إنسانًا في مجتمعاتنا العربية أراد أن يعيش على الكتب، فإنه قد يموت من الجوع. قرأت خبرًا نشرته وسائل الإعلام، إذ أعلن مدير مكتبة الإسكندرية في مصر بتاريخ ١٢ ذي الحجة ١٤٣٠ هـ الموافق ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٩م أن فرنسا أهّدت مكتبة الإسكندرية نصف مليون كتاب باللغة الفرنسية في صفقة واحدة،





ومكتبة الإسكندرية كانت عدد الكتب فيها ٦٥٠ ألف كتاب، يعني ما يقارب ٤٥٪ من الكتب التي أصبحت تشكّل المكتبة، والأهم من ذلك، أن هذه الكتب كلها صادرة بين عامي ١٩٩٦ و٢٠٠٦م خلال ١٠ سنوات، يعني في كلّ سنة صدر في فرنسا ٥٠ ألف كتاب، بينما في العالم العربي صدر سنة ٢٠٠٧م (٢٧٨٠٩) كتاباً وفي فرنسا وحدها كلّ سنة ٥٠ ألف كتاب!!.

وهناك تقرير نشرته إحدى الصحف يقول: إن الطفل الدانماركي، يستعير ما معدّله ٣٥ كتاباً سنوياً، ونشر أحد الكتّاب مقالة يقول فيها: «عندما دخلت لأول مرة إحدى المكتبات في سنغافورة، لم أستطع أن أوصل تقديمي بين الصفوف لشدة الازدحام. ظننت في البداية أن هناك حدثاً ما داخل المكتبة، ثم اكتشفت بعد أن تعودت ارتياد تلك المكتبة أن الوضع هكذا على الدوام، حيث يفد الناس من جميع الأعمار ومن مختلف الأعراق والطوائف على المكتبات العامة والخاصة في سنغافورة، إما بحثاً عن كتاب أو مشاركة في نشاط ثقافي (بسيط)»<sup>(١)</sup>.

لنقترب أكثر من واقعنا، ففي منطقتنا نشطت الحركة الفكرية والأدبية والثقافية، وهذا مما يجب أن نفخر به، لكننا بحاجة إلى أن ندعم هذه الحركة، وذلك بالإقبال على الكتاب، ودعمه ونشره.

لو أننا دعمنا الكتاب وشجّعنا نشره، لاستطعنا أن ننشط الحركة الثقافية أكثر في بلدنا. ونحن هنا لن نتحدّث عن دور الدولة، وأنه ينبغي أن تكون هناك ميزانية لدعم النشر والتأليف، ويبدو أن هناك ميزانية في وزارة الإعلام، وفي بعض المؤسّسات، لكن هذه الميزانية التي تخصّص لطبع الكتب والاقتناء منها لا تصل لمختلف المؤلفين، ومختلف المناطق، هناك تعقيدات ومحسوبيات، ومعادلات معينة.

(١) مقال لياسر حارب بعنوان (من يقرأ الكتب ومن يقرأ الفنجان).

<http://yhareb.com/wp/?p=297>





## نحو دور أهلي لنشر الكتاب

ينبغي أن يكون لرجال الأعمال دور في دعم الكتب، وأن تكون لدينا أوقاف لطباعة الكتاب، ونشر العلم والمعرفة. هذه الأوقاف الموجودة، ينبغي أن نفعل دورها في نشر الكتب، وخاصة في المناسبات الدينية، كموسم المحرم، حيث نحتفي بذكرى سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، فكم من الأموال تصرف في هذا الموسم؟! فنجد في كلِّ حسينية فيها خطيب أو أكثر، وفيها نفقات لمختلف الأمور، وبدلاً من ذلك لو أن كلِّ حسينية ومآتم حَصَّص جزءاً من مصاريفه لطبع كتاب عن الإمام الحسين وأهل البيت عليهم السلام، هل هذا أقلُّ فائدة وثواباً من الإطعام؟!!

لماذا لا نوزع الكتاب وهو غذاء الروح والعقل، والخطاب هنا ليس ضد الإطعام، ولكن المبالغة فيه، وإهمال الجوانب الأخرى، يحتاج إلى دراسة واهتمام، وإذا لم يكن المآتم يتبنى طبع كتاب، ليشتري كمية من كتاب، لو أن كلِّ مآتم اشترى ألفاً أو خمسة آلاف نسخة من كتاب من الكتب، فإن ذلك يقوي حركة الكتاب في المجتمع. كذلك في مناسبات الزواج، لماذا لا نوزع كتاباً؟! نحن الذين نصرّف على ضيافة الزواج المبالغة الكبيرة، لماذا لا نرصد مبلغاً لطباعة مطوية أو كتيب حول الزواج، وحول العلاقات الاجتماعية، علينا أن نعمل من أجل ترويج الكتاب ونشره، وأساساً هو أمر مهم لربِّ كلِّ عائلة، أن يجعل له ميزانية للكتاب.

ينبغي أن نحمل هذا الهمّ وأن نشجع حركة الكتاب والثقافة والمعرفة.







## اليوم العالمي للعمال

### العمالة المنزلية.. إنسانية مهدورة

روى إبراهيم بن محمّد الثقفى في كتاب الغارات بإسناده إلى مختار التمار قال: «أتى أمير المؤمنين سوق الكرابيس، فاشتري ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم، والآخر بدرهمين. فقال: يا قنبر، خذ الذي بثلاثة، قال: أنت أولى به يا أمير المؤمنين، تصعد المنبر وتخطب الناس. فقال: يا قنبر، أنت شابّ ولك شره الشباب، وأنا أستحيي من ربّي أن أتفضّل عليك، لأنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألبسوهم ممّا تلبسون، وأطعموهم ممّا تأكلون»<sup>(١)</sup>.

لقد آثر الإمام خادمه على نفسه، فأخذ هو الثوب الأرخص، وأعطى الأعلى لخادمه، فاعترض قنبر قائلاً: يا أمير المؤمنين، أنت أولى بهذا الثوب؛ لأنك تصعد المنبر وتخطب في الناس، فينبغي أن يكون ثوبك لائقاً مناسباً، فأجابه الإمام بجوابين، الجواب الأول: قال أنت شابّ ولك شره الشباب، ومؤدى ذلك بنظر الإمام أن كون قنبر شاباً فينبغي أن يلبس ما يناسبه بين أقرانه، وأن من حقه أن يتمتع بشبابه.

واتجه الإمام في جوابه الثاني ناحية التعليل الديني لموقفه حيث خاطب خادمه: إني أستحيي من ربي أن أفضّل عليك، فالإمام يستحي من الله تعالى أن يكون

(١) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٤٣.





وضعه المعيشي أفضل من خادمه، حتى وهو في موقع السلطة السياسية، والسيد لهذا الخادم الشاب.

إن هذا الموقف من الإمام يظهر إلى أي مدى كان خلقه والتزامه المبدئي إزاء هذه القضية الاجتماعية. ثم ينقل عن رسول في سياق التعليل: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألبسوهم مما تلبسون، وأطعموهم مما تأكلون.

ولعل الدرس الأهم الذي أراد أن يقدمه لنا علي ﷺ، هو ألا نشعر الخدم الذين تحت أيدينا، ويعملون في منازلنا، بأنهم في مرتبة دونية، إذ ينبغي أن يكون مستوى معيشتهم وملبسهم ومأكلهم مناسباً لحاجتهم الأساسية والاعتبارية، كمرعاة فئتهم العمرية، ووضعهم الاجتماعي، هذا هو الهدي الإلهي القيمي الذي أراد الإمام إيصاله لنا من خلال تعامله مع خادمه قنبر.

### احترام إنسانية عمال المنازل

لقد حاز موضوع العاملين في الخدمة المنزلية على اهتمام دولي واسع، إذ يجري اليوم نقاش عالمي لمعالجة الأوضاع البائسة التي تواجهها العمالة المنزلية، والبالغ عددها أكثر من ٥٢ مليون خادماً وخادمة على مستوى العالم. فالخدم غالباً ما تتقلص فرص إنصافهم عند مطالبتهم بحقوقهم، ما داموا واقعين تحت سلطة غيرهم من أرباب العمل، لذلك فإن نسبة كبيرة من الخدم تتعرض إلى سوء المعاملة.

وقد أقرت منظمة العمل الدولية يوم ١٦ يونيو ٢٠١١ في جنيف أول معاهدة دولية لحماية عمال المنازل في جميع أنحاء العالم. هذه الخطوة التي وصفتها المنظمة باللحظة التاريخية جاءت بموافقة ١٨٣ دولة عضواً فيها، وقالت إن المعاهدة ستضع ما بين ٥٠ مليون و ١٠٠ مليون خادماً وخادمة تحت مظلة معايير العمل الدولية.

إن بلدنا غير مستثنى من هذه الحالة، فقد أصدرت منظمة (هيومن رايتس واتش) في يوليو ٢٠٠٨ تقريراً جاء في أكثر من ١٧٣ صفحة بعنوان (كأنني لست إنسانة)







تحدث عن وضع العاملات في المنازل السعودية، الذين يزيد عددهم على مليون ونصف المليون عاملة. ولخصت (نيشا فاريا) الباحثة في قسم حقوق المرأة في (هيومن رايتس واتش) حالة العمالة المنزلية في المملكة بالقول «في أحسن الأحوال، تتمتع النساء المهاجرات في السعودية بظروف عمل طيبة، وأصحاب عمل طيبين، وفي أسوأ الأحوال يعاملن كما العبيد.. ومعظم العاملات تتراوح معاملتهن بين هذين المستويين».

لقد جاء عنوان التقرير معبرًا (كأنني لست إنسانة)، فهذه الخادمة لا تشعر بأنها إنسانة لها حقوق، وذلك بسبب سوء معاملة أرباب العمل وأصحاب المنزل معها، ففي كثير من الأحيان لا يكون وقت العمل محددًا، فالمعروف دوليًا أن ساعات العمل هي ثمان ساعات في اليوم، فيما نجد خادمت يشتغلن في كثير من الأحيان ١٨ ساعة في اليوم، إن هذا العمل تكليف بما لا يطاق، فإذا كان لا بُد من أن تعمل الخادمة لأكثر من ثمان ساعات، فيجب أن تعطى أجرًا إضافيًا، وخلاف ذلك يصبح نوعًا من الإجحاف والظلم.

كما يواجه بعضهن تأخرًا في دفع الأجور والرواتب، وهذا زيادة في الظلم والإجحاف، زد على ذلك عدم إتاحة فرصة التمتع بعطلة أسبوعية، فكما هو معروف دوليًا بأن كل موظف وعامل يتمتع براحة أسبوعية ليوم أو يومين. وأخيرًا ما تتعرض له العاملات في بعض الأحيان من الإساءة والإهانة والتحرش والنظرة الدونية، إن هذا النوع من المعاملة السيئة يُعدّ حرامًا وجرمًا كبيرًا بحق هؤلاء البشر.

وعلينا أن نعلم من ناحية دينية أن هذا العامل أو العاملة إن لم تسعفهما القوانين والأنظمة لأن ينتصفا لنفسيهما في الدنيا، نتيجة قصور القوانين، أو بسبب ضعفهما عن الدفاع عن حقوقهما، فعلينا أن نعرف بأن الله تعالى بصير خبير مطلع على عباده، وأنه بالمرصاد لكل ظالم.





ولنا أن نطلع على تراثنا الديني في هذا الصدد، فهناك كثير من النصوص التي تعلمنا كيف نتعامل مع الخدم والعاملين، ومنها ما ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ظلم الضعيف أفحش الظلم»<sup>(١)</sup>، وورد عنه أيضًا عليه السلام: «إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله»<sup>(٢)</sup>، وقد روى الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليكسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه»<sup>(٣)</sup>.

### التجاوز عن الأخطاء

وهناك - في السياق نفسه - مسألة مهمة ترتبط بالتعامل مع هذه العاملة وذاك العامل، بالنظر لظروفهم الخاصة التي تصيب أي إنسان، من حالات الغفلة والنسيان والخطأ والاشتباه، إذ لا ينبغي للإنسان أن يصب جام غضبه على العامل حينما يخطئ أو يغفل. فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلاً جاءه فقال يا رسول الله: «كم نغفو عن الخادم؟ فصمت عنه، ثم قال صلى الله عليه وسلم: اعفُ عنه كل يوم سبعين مرة»<sup>(٤)</sup>. والمقصود بذلك أن يكون لدى الواحد منا المرونة والاستعداد لتحمل أخطاء العاملين تحت يده.

عن أبي مسعود البدري قال: كنتُ أضرب غلامًا لي. فسمعتُ من خلفي صوتًا: «اعلم، أبا مسعود! الله أقدّرُ عليك منك عليه»، فالتفتُ فإذا هو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلّم. فقلتُ: يا رسولَ الله! هو حُرٌّ لوجه الله. فقال: «أما لو لم تفعل، للفتحك النار»<sup>(٥)</sup>.

(١) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٣١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٣٠٨.

(٣) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٤١.

(٤) السنن الكبرى، البيهقي، ج ٨، ص ١١.

(٥) النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، (الرياض: دار المغني)،

ص ٩٠٥، حديث ١٦٥٩. ومثله في بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٤٢.





ونحن نتساءل بدورنا، كيف تسمح نفوس البعض أن يصبوا جام غضبهم على خدمهم وعمالهم، حتى أصبحت مشكلة قائمة ومادة دسمة في التقارير الحقوقية الدولية؟ وهذا الإمام علي بن موسى الرضا يعطينا درسًا آخر: فقد روى نوح بن شعيب، عن ياسر الخادم ونادر قالاً: قال لنا أبو الحسن إن قمت على رؤوسكم وأنتم تأكلون، فلا تقوموا حتى تفرغوا، ولربما دعا بعضنا فيقال هم يأكلون فيقول: دعوهم حتى يفرغوا<sup>(١)</sup>، في مقابل ذلك نجد كثيرًا منا لا يقيم وزنًا للعاملين لديه ولا يعير اهتمامًا للحياة والأوقات الخاصة بهم، والأسوأ من ذلك أن ينتقل تعاملنا السيئ مع الخدم إلى أولادنا، فيتعاملون هم كذلك بقسوة وسوء أدب مع الخدم، ويتربون على التعالي والغرور والتكبر عليهم.

### الخدمة بين الحاجة والترف

الأفضل أن تعتمد العائلة على نفسها في إدارة شؤون المنزل، بالتعاون بين أعضائها، فتقوم الزوجة بأداء ما يمكنها من المهام، ويساعدها الزوج بالقيام بقسط من الوظائف المنزلية، ويربّون أبناءهم على المساهمة في تدبير الأمور.

إنّ تعاون أفراد الأسرة في إنجاز الخدمة المنزلية، يزيد في قوة الانتماء العائلي، ويثري مشاعرهم العاطفية، ويغنيهم عن استقدام خادمة للمنزل، تمثل عنصرًا غريبًا يقتحم أجواء الحياة الخاصة للعائلة، وقد تأتي من بيئة مختلفة ثقافيًا وأخلاقيًا.

وقد رأينا بروز بعض الظواهر السلبية الناتجة عن وجود الخادمت في المنازل، مما يتناقله الناس من حوادث، وتنشره وسائل الإعلام، وكما رصدته التقارير والدراسات الاجتماعية.

وتشير دراسات وأبحاث ميدانية، إلى أنّ بعض العوائل ربما استقدمت خادمة أو

(١) الكافي، ج٦، ص ٢٩٨.





أكثر، ليس بسبب الحاجة إلى خدمتها، وإنما كجزء من (البرستيج) ومظاهر الرفاهية والتباهي الاجتماعي، وذلك ترف مذموم.

لكنّ ظروف بعض العوائل قد تستدعي وجود الخادمة؛ لكثرة أعباء الخدمة المنزلية، أو لتعدد الأطفال، أو لوجود حالات مرض وإعاقة، أو لانشغال المرأة بوظيفة خارجية، في مثل هذه الحالات تضطر العائلة إلى وجود الخادمة، كما نقرأ ذلك في سيرة الزهراء عليها السلام، فقد أنجبت أربعة أبناء في زمن متقارب، حيث ولدت بالحسن في السنة الثالثة للهجرة، وبالحسين في السنة الرابعة، وبزينب في السنة الخامسة، وبأمّ كلثوم في السنة السادسة أو السابعة.

فكانت أعباء الخدمة المنزلية تزامم اهتمامها بتربية وتنشئة أبنائها، إلى جانب أعبائها الأخرى في خدمة الدعوة الإسلامية، لذلك أشار عليها الإمام علي أن تطلب من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله خادمة، بعد أن توفرت لرسول الله صلى الله عليه وآله بعض غنائم الحروب، لكن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يجب طلبها في البدء؛ لوجود أولويات أخرى وحاجات في صفوف أصحابه تقتضي الإنفاق.

جاء في سنن أبي داود أنه قال لها: «اتقي الله يا فاطمة، وأدي فريضة ربك، واعلمي عمل أهلك، فإذا أخذت مضجعتك فسبّحي ثلاثاً وثلاثين، واحمدي ثلاثاً وثلاثين، وكبّري أربعاً وثلاثين، فتلك مئة، فهي خير لك من خادم»<sup>(١)</sup>.

وفي بحار الأنوار، أنّها لما ذكرت حالها وسألت جارية بكى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا فاطمة، والذي بعثني بالحق إنّ في المسجد أربعمئة رجل ما لهم طعام ولا ثياب»<sup>(٢)</sup>. واستجاب لها رسول الله صلى الله عليه وآله في مرحلة لاحقة حينما توفرت لديه إمكانات

(١) السجستاني: أبي داود سلميان بن الأشعث، سنن أبي داود، ج ٢، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، (بيروت:

دار الجنان)، ص ١٦٦، حديث ٢٩٨٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٨٥، حديث ٨.





إضافية، فقدّم لها خادمة اسمها فضة النوبية.

روى عليّ بن أعبد، قال: قال لي عليّ عليه السلام: «ألا أحدثك عنّي وعن فاطمة الزهراء أنّها كانت عندي فاستقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها فأصابها من ذلك ضرٌّ شديد، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حرّاً ما أنت فيه من هذا العمل، فأنت النبي صلى الله عليه وآله فوجدت عنده حداً فاستحيت فانصرفت، فعلم صلى الله عليه وآله أنّها قد جاءت لحاجة فغدا علينا... قال: يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس... فخشيت إن لم نجبه أن يقوم، فقلت: أنا والله أخبرك يا رسول الله، إنّها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وجرت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حرّاً ما أنت فيه من هذا العمل، قال: أفلا أعلمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فكبراً أربعاً وثلاثين تكبيرة، وسبحاً ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، واحمداً ثلاثاً وثلاثين تحميدة، فأخرجت فاطمة عليها السلام رأسها وقالت: «رضيت عن الله وعن رسوله رضيت عن الله وعن رسوله»<sup>(١)</sup>.

### الخادمة وحقوقها الإنسانية

تأتي الخادمة عادة من واقع الاضطراب لممارسة هذا الدور، فتفارق عائلتها، وقد تترك زوجها وأطفالها، وتعيش حال الغربة في بيئة تختلف عن بيئتها، وكلّ ذلك يدعو للشفقة عليها، ومراعاة ظروفها النفسية، وخاصة في بداية عملها، حتى تتكيف مع واقعها الجديد، وتعرف طبيعة الأعمال المطلوبة منها.

إنّها إنسان لها مشاعرها وأحاسيسها، ولها حقوقها الإنسانية التي يجب أن تُراعى وتُحترم، فلا يجوز النظر عليها بدونية واحتقار، ولا إهانتها وإذلالها، ولا رفع الصوت

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٣٢١.





عليها بدون مبرر، فضلاً عن شتمها أو الدعاء عليها بسوء، كما قد يصدر من بعض ربّات البيوت وأفراد العائلة تجاه خادمتهم.

ولا يصحّ إرهاقها بالعمل فوق طاقتها، من دون سقف زمني، فلا بُدّ من تحديد ساعات لراحتها، وأن تكون لها عطلة أو إجازة أسبوعية، وتعطى أجرها في الموعد المحدد دون تأخير؛ لأنّ عوائلهنّ يعتمدن على رواتبهنّ.

إننا نقرأ في سيرة الزهراء كيف كانت تتعامل مع خادمتها فضة بكلّ رعاية واحترام، فقد أوصاها رسول الله ﷺ أن تقاسمها الخدمة، فتقوم الزهراء بشؤون المنزل يوماً، وتقوم فضة بذلك في اليوم التالي.

روي أن سلمان الفارسي قال: كانت فاطمة ﷺ جالسة قدّامها رحي تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحي دم سائل والحسين في ناحية الدار يتصوّر من الجوع، فقلت: يا بنت رسول الله، دبرت كفاك وهذه فضة، فقالت أوصاني رسول الله ﷺ أن تكون الخدمة لها يوماً، فكان أمس يوم خدمتها<sup>(١)</sup>.

إنّ على النساء المؤمنات المحبّات للزهراء، والمواليات لها، أن يستحضرن هذا النموذج في سيرتها، ليقتدين بها، فيحترمن إنسانية الخادمت لهنّ، ويراعين حقوقهنّ.

### تقارير وقصص مرعبة

تتناقل وسائل الإعلام بين الفينة والأخرى، تقارير مؤسفة عن صور المعاناة لبعض خادمت المنازل في المملكة، وبعضهن يقدمن على الانتحار، وعدد كبير منهن يلجأن إلى الهرب من منازل مخدوميهم، وهناك من يرفعن الشكاوى إلى سفارات بلادهنّ، كلّ ذلك بسبب سوء المعاملة التي يتعرضن لها، من الإهانة والتعنيف والإرهاق، وتأجيل الرواتب.

(١) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٨، حديث ٣٣.





إنّ سوء المعاملة قد يدفع بعض الخادمتن نحو الإجرام، والاعتداء على حياة مخدوميها وأطفالهم، كما يحدث كثيراً، وتنقله وسائل الإعلام.

شهدت السعودية في العامين الأخيرين سلسلة حوادث راح ضحيتها أطفال ونساء على يد عاملات منزليات، حيث تم تسجيل أكثر من ٩٤٦٠ جريمة قامت بها عاملات منزليات في الأشهر التسعة الماضية، كان أخطرها ثلاث جرائم قتل، ونحو ٣٤ جريمة اعتداء عنيف<sup>(١)</sup>.

وتم تسجيل ١١ تصنيفاً لجرائم العاملات المنزليات في السعودية، من هرب، واعتداء على الأطفال، وإقامة علاقات غير مشروعة مع غرباء، وتسهيل دخول لصوص إلى المنزل، وإقامة علاقات مع أحد من العمالة في المنزل، والسرقة، والسحر، والشعوذة، والاعتداء على الزوجة، والسبّ والشتم، وإقامة علاقة غير مشروعة مع أحد أفراد الأسرة<sup>(٢)</sup>.

كما أظهرت دراسة سعودية أنّ فئة الخدم هي الأكثر ممارسة للعنف ضدّ الأطفال داخل المنازل بنسبة ٣، ٣٨٪<sup>(٣)</sup>.

### ضوابط وملاحظات

إنّ على ربة البيت، وسيدة المنزل، ألا تسمح للخادمة أن تكون بديلاً عنها في إدارة شؤون المنزل، وتربية الأولاد ورعايتهم، كما يحدث في واقع بعض العوائل، حيث تلقي الأم معظم الأعباء على الخادمة، فهي التي تقوم بمختلف الأمور المرتبطة بالأطفال، من تنظيفهم، وقضاء احتياجاتهم، وحملهم، حتى إنّ تعلقهم بالخادمة قد يصبح أكثر من تعلقهم بالأمّ.

(١) مجلة أنا زهرة. ٢٢/١١/٢٠١٦م.

(٢) جريدة الحياة الصادرة بتاريخ السبت، ١٢ مارس/ آذار ٢٠١٦م.

(٣) جريدة الرياض الصادرة بتاريخ الخميس ٢٥ رمضان ١٤٣٧هـ الموافق ٣٠ يونيو ٢٠١٦م.





وفي ذلك سلبيات تربوية خطيرة، ويتحدث بعض الأزواج أنّ الزوجة قد لا تعرف عن متطلبات المنزل، اعتماداً على الخادمة، التي تصبح وكأنّها كلّ شيء في البيت، أما الزوجة فكانها ضيف شرف.

من ناحية أخرى، يجب الالتفات إلى أنّ الخادمة امرأة أجنبية، فلا بُدّ من مراعاة مسائل العفّة والحجاب، فلا تبدي من جسمها أمام البالغين من الذكور في العائلة ما يجب على المرأة ستره، ولا يتعامل معها الرجل وكأنّها محرم عليه، بل هي أجنبية تنطبق عليها كلّ أحكام المرأة الأجنبية في الستر والنظر والملازمة.





5

يونيو



## اليوم العالمي للبيئة

### حماية البيئة البحرية مسؤولية الجميع

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٦].

آيات كثيرة في القرآن الكريم تحذّر من الإفساد في الأرض، ويمكننا أن نتصوره على وجهين:

#### الوجه الأول:

الفساد الاجتماعي، أي: انتشار الفساد في المجتمع البشري، وهو ما يشمل الانحرافات، والموبقات، والجرائم. فالشقاء يسود أيّ مجتمع ينتشر فيه الفساد، وينعدم فيه الأمن، وتنحسر فيه القيم والأخلاق.

#### الوجه الآخر:

الفساد البيئي، أي: تدمير موارد البيئة، وتلويثها. فهذه الطبيعة التي تعيش في أحضانها، خلقها الله تعالى لك، الأرض التي تعيش عليها وفيها الثروات والإمكانات، هواء تستنشقه، وماء تشربه، وتستفيد منه في مختلف الجوانب، وتشارك هذه الطبيعة مجموعة كبيرة من الكائنات الحية والنباتات.





والبيئة هي: (كل شيء يحيط بالإنسان)، وهي الإطار الذي يمارس فيه الإنسان حياته من أرض وماء وهواء وكائنات). هذه البيئة الطبيعية خلقها الله سبحانه وتعالى ووضعها على نحوٍ متوازن، ضمن نظام وقانون، وعلى الإنسان أن يحافظ على هذه البيئة التي يعيش في رحابها، فلا يفسد فيها. إنه يستفيد من خيراتها ضمن نظام مصلحة البيئة، بحيث لا يتعدى فيكون مفسدًا.

وهو أمر يمكننا أن نفهمه من خلال القرآن الكريم، إذ يتحدث الله سبحانه عن الفساد، فيشير إلى ما يرتبط بالبيئة والحياة العامة، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٠٥]. فالإضرار بالحرث والنسل مصداق للفساد، أنت مؤتمنٌ على هذه البيئة وخليفة الله في هذه الأرض، والمطلوب منك عمارة الكون، ﴿أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [سورة هود، الآية: ٦١].

في بعض الأحيان، وبدافع الجشع أو التلهي والعبث، يفسد الإنسان أجواء هذه البيئة، ويتعدى على مواردها، بما يزيد عن حاجته، المطلوب منك الاستفادة من البيئة، وليس هدر مواردها من غير فائدة؛ لأنها ليست ملكك وحدك، بل هي للأجيال بعدك، كما أن العبث بالبيئة يؤثر على حياة الإنسان بوجه عام، فالله سبحانه عندما خلق الحياة جعل فيها توازنًا، وقد وجد العلماء في بعض المناطق، أن انقراض بعض الحشرات أوجد خللاً بيئياً، كل نبتة، وكل مخلوق في هذه الحياة له دور، قد تجهل دوره وقيمته، لكن الله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئاً عبثاً، لذلك على الإنسان أن يحافظ على هذه البيئة.

### البيئة البحرية

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ





البَقَاعِ وَالْبَهَائِمِ»<sup>(١)</sup>. لتحدث الآن عن مشكلة تعانيها منطقتنا، وهي العدوان على البيئة البحرية، وتدمير موارد ثروتها. إن هذا الخليج الموجود على سواحل منطقة القطيف، المعروف بخليج تاروت، الذي يمتد من رأس تنورة حتى الدمام، ويمرّ على العديد من القرى والمدن، بدءاً من صفوى، والعوامية، والقطيف، وسيهات، وعنك، يعتبر محمية بيئية، كما تشير مراكز الأبحاث. فحسب معهد البحوث التابع لجامعة الملك فهد للبترول والمعادن أن به أكبر كثافة في العالم لأشجار (الْقُرْم) وتسمى (المانجروف).

### شجر القرم

يعتبر شجر القرم، من أهم مناطق الحضانة والرعاية والتغذية للأحياء البحرية، خصوصاً الروبيان، بالإضافة إلى صغار السمك، حيث يتكون ما يقرب من ثلث غذائها إما من أغلفة الشجرة، أو من الكائنات البحرية اللا فقارية التي تعيش هناك، وهو ملجأ للطيور المستوطنة والمهاجرة، وهذا ما ذكرته منظمة الطيور الدولية، إذ وصفت هذا الخليج بأنه منطقة مهمّة للطيور، كما يساهم في زيادة نسبة الأكسجين، ويقلل من نسبة تسخين المناخ، باعتباره ممتصاً للحرارة، ويمتص الملوثات الكيميائية والبترولية التي تعج بها شواطئنا، وخصوصاً في السنوات الأخيرة. كما أنه يقوم بدور المصدّ الطبيعي للأمواج العاتية، وقد ذكر بعض الباحثين أنها: تساعد على تكوين التربة، عن طريق تجميع الرواسب حول الجذور الدعامية، والجذور الهوائية التنفسية في المواقع المحمية، كما تقوم بتنقية ماء الجريان السطحي الأرضي، وكذلك إزالة المادة العضوية الأرضية.

وينتج شجر القرم كميات كبيرة من الفتات، الذي يشارك بدوره في إنتاجية العديد من الكائنات الشاطئية. وتعتبر النبتة أوساطاً للعديد من الأسماك الصغيرة.

(١) نهج البلاغة. خطبة ١٦٧.





واللافقاريات، والعديد من النباتات والحيوانات (العالقة)، وكذلك الطيور الكبيرة، حيث توجد شبكات غذائية تعتمد على الإنتاج العضوي لمستنقعات الأيكات الساحلية.

وذكر رئيس المهندسين في شركة (سافكو) المهندس حسين الحجري: «إن غنى مستنقعات شجر القرم بالكائنات البحرية أعطى أهمية اقتصادية. فالبيئة الساحلية الغنية بأشجار القرم من أنسب المناطق لتكاثر وحضانة أنواع الأسماك مثل الروبيان والسرطان وذي الصدفتين والقشريات الأخرى وأنواع الحياة البحرية المختلفة. ففي هذه الأماكن تتوفر لها فرص الغذاء الملائم والتعايش ومناطق وضع البيوض، إضافة إلى أهميتها لأغراض الحياة المائية، فإنها تساهم في توفير الحياة لأنواع مختلفة من الطيور، كمناطق تناسب حياتها وكموارد لغذائها، وتوفر لها سبل الحماية كذلك.

كما تعمل أشجار القرم على تزويد المياه المحيطة بها بكمية كبيرة من المواد العضوية التي تساهم في إثراء البيئة المائية من حولها، وزيادة الغذاء لأنواع الكائنات البحرية، وذلك من خلال تساقط أوراق تلك الأشجار في البيئة المائية وتحللها لمركباتها الأصلية. وتعتبر هذه الميزة من العوامل التي تساهم في وفرة الإنتاجية الأولية لهذه البيئة، وبالتالي فانحسار هذه النباتات يؤثر سلباً على الثروة البحرية»<sup>(١)</sup>.

فهو محمية طبيعية حباها الله لهذا الخليج، ووفّر عبرها ثروات سمكية، عاشت عليها أجيال متتالية. إن ما يحصل اليوم من قتل لأشجار المانجروف، يضرّ بالبيئة بشكل بالغ. إن هذه الأشجار تعتبر ثروة لا تقدّر بثمن، ويمكن بناء المنشآت الحديثة وأشبابها في أماكن أخرى، لكن الثروات الطبيعية يجب المحافظة عليها؛ لأن مكانها هو الأنسب لها، وهو المكان الذي اختاره الله سبحانه حسب دورة الطبيعة، لكن هناك جهات تريد حرمان هذه المنطقة من هذه المحمية الطبيعية، والثروة

(١) جريدة الشرق الأوسط العدد ٩٨٨٦ بتاريخ ٢١ ذو القعدة ١٤٢٦هـ.





المهمّة للأجيال.

### حماية الحياة الفطرية

لقد بدأت عمليات الردم للشواطئ المواجهة لمدينة صفوى ورأس تنورة، بحجة بناء جسر، رغم توصيات الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية، ورفض وزارة الزراعة، ورفض اللجنة المشكلة بالأمر السامي، حيث صدرت أوامر ملكية آخرها بتاريخ ١٥/٩/١٤١٩هـ، بمنع الردم على الواجهات البحرية التي تسبب ضرراً على البيئة، والمصلحة العامة، وقد صرّح الدكتور ناصر الصالح المدير العام للشركة السعودية للأسماك بأن «محصول الصيد في خليج تاروت انخفض بنسبة ٢٠٪ بسبب عمليات الردم منذ عام ١٩٩٠م»<sup>(١)</sup>؛ لأن الردم سبب تدمير البيئة الحاضنة لصغار الأسماك.

### تدمير الثروة الطبيعية

برغم ذلك، فإن هناك جهات إما بدافع الطمع، أو بدافع الجهل، لا تزال تمارس التدمير لهذه الثروة الطبيعية، وهنا أدعو الناس جميعاً للوقوف في وجه هذه المحاولات، فهذه الثروة هي للوطن كلّ، وأبناء المنطقة مسؤولون عن حمايتها، فهم أكثر تضرراً من الاعتداء عليها. ولا يفوتني أن أشكر الإخوة في الجمعية التعاونية لصيادي الأسماك في صفوى، لوقوفهم في وجه هذه المحاولات. هذه الجمعية التي تأسست منذ عام ١٣٩١هـ، وهي اليوم تقف أمام هذا العدوان، إننا نشكرهم على دورهم الحضاري الوطني، ونطالبهم بالثبات والصمود، للدفاع عن أرزاقهم، وحقوق مجتمعهم، ومصالحته وبيئته، كما ندعو المسؤولين ألا يسكتوا على هذا العبث، وعلى المجتمع أن يقوم بدوره، وخاصة المجلس البلدي، الذي يتحمل مسؤولية كبيرة في هذا المجال.

أيّ محاولة تتم للاعتداء على هذه الشواطئ من دون موافقة الجهات المعنية،

(١) جريدة عكاظ العدد ٢٨٩٤ بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ.





وخلافاً لمصلحة المنطقة، ومصالح أهاليها، فهو فساد وإفساد في الأرض يجب الوقوف أمامه.

لا شك أن قيادة البلد لا يرضيها ما يحدث، لكنها قد لا تسمع بذلك، وقد تصلها تقارير وأخبار غير صحيحة لتمير الموضوع، لهذا علينا أن نخاطبهم، ونوصل لهم حقيقة ما يجري، من عدوان على البيئة البحرية، خلافاً للتوجيهات والأوامر الملكية.





## اليوم العالمي لمكافحة المخدرات

### وباء المخدرات الوقاية والعلاج

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٤٣].

الهوى هو الرغبة والميل في نفس الإنسان، حيث تنطوي النفس البشرية على الغرائز والشهوات، ولذلك يحصل لدى الإنسان ميل نحو الملذات بأنواعها المختلفة.

وقد منح الله تعالى الإنسان العقل ليقوم بدور القيادة، فيستجيب لميوله ورغباته وشهواته، في إطار يحفظ إنسانيته ومصالحه، فالعقل يُرشد إشباع الغرائز والشهوات، فليس المطلوب أن يكبت الإنسان غرائزه وميوله.

حينما يلتزم الإنسان بهدي الله تعالى ويحتكم إلى عقله، فإنه يمارس حياته بشكل طبيعي، يلبي الرغبات والميول، لكن في إطار حفظ كرامته وإنسانيته ومصالحته، أما إذا انفرط هذا العقد، وترك الإنسان عقله جانباً، وسلّم قياده لرغباته وأهوائه، فيفعل كل ما تشتهيئه نفسه، عندها يحل به الشقاء والانحطاط، ويصبح الهوى هو القائد في حياة الإنسان، ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ الإله هو الذي يعبد ويخضع له، أي يكون الهوى قائده في الحياة.

عندما يجعل الإنسان قائده هواه، لا يرجي منه خير، سواء لنفسه أو لغيره!، بل





يكون وبالاً على الجميع.

ورد عن رسول الله ﷺ: «إنما سمّي الهوى لأنه يهوي بصاحبه»<sup>(١)</sup>.

أي يُسقط صاحبه إلى أسفل سافلين، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ \* ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾، إنما يرد إلى أسفل سافلين إذا خضع للأهواء والشهوات، ولهذا فإن أخطر شيء على الإنسان أن يجعل قياده بيد غرائزه وشهواته.

ينبغي أن يكون مركز القيادة عند العقل، فإذا أصبح الهوى هو القائد، عندها يكون السقوط والشقاء في الدنيا والآخرة، ولذلك ورد في رواية: «أبغض إله عبد على وجه الأرض الهوى»<sup>(٢)</sup>.

وعن رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم خصلتان: اتباع الهوى وطول الأمل»<sup>(٣)</sup>.

يجد الإنسان في نفسه رغبات تدفعه نحو منصب معين، أو الحصول على مبلغ من المال، أو تتحرك نفسه إلى نوع من الانتقام، فهل يستجيب لهذه الرغبات؟! أم يستطيع أن يغالب هذه الرغبة ويقمعها؟! هذا هو الحد الفاصل، فللهوى ضغط كبير على نفس الإنسان.

سأل زيد بن صوحان الإمام علياً: أي سلطان أغلب وأقوى؟

(١) الدارمي: عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل، سنن الدارمي. ج ١، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، (الرياض: دار المغني)، ص ٣٨٩، حديث ٤٠٩.

(٢) الغزالي: أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين، ج ١، (تحقيق سيد عمران)، طبعة ١٤٢٥هـ، (القاهرة: دار الحديث)، ص ٥١.

(٣) بحار الأنوار. ج ٢، ص ١٠٦.







قال: الهوى<sup>(١)</sup>.

### مرحلة الشباب

مراحل حياة الإنسان متعددة مختلفة من حيث متطلباتها وخصائصها، وفي مرحلة المراهقة يعيش الشاب أوج تفجر طاقاته وشهواته وغرائزه، وفي بعض الأحيان تسيطر عليه رغباته، فهل يستطيع الإفلات من سيطرتها؟! هذا هو الامتحان والفيصل في هذه المرحلة.

إن أغلب الأهواء توفر للإنسان متعة سريعة عاجلة، لكن ماذا ستكون النتيجة بعد انقضائها؟!!

النتيجة كما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الشهوات سمومٌ قاتلات»<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه السلام: «حلاوة الشهوة يُنغصها عار الفضيحة»<sup>(٣)</sup>.

الشهوة فيها حلاوة ولذة، لكنها تسبب عاراً، يتمنى الإنسان بعده لو لم يكن في هذه الحياة.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الهوى عدوّ العقل»<sup>(٤)</sup>.

وقال عليه السلام: «أشجع الناس من غلب هواه»<sup>(٥)</sup>.

وقال عليه السلام: «إن طاعة النفس ومتابعة الهوى أسّ كل محنة ورأس كل غواية»<sup>(٦)</sup>.

(١) وسائل الشيعة، ج٧، ص٨٣، حديث ٨٧٩٠.

(٢) جامع أحاديث الشيعة، ج١٣، ص٣١١، حديث ٧٨٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٤) مستدرك الوسائل، ج١١، ص٢١٣.

(٥) المصدر نفسه، ج١٢، ص١١١.

(٦) جامع أحاديث الشيعة، ج١٣، ص٢٥٠، حديث ٦٠٩.





وقال ﷺ: «الهُوى إله معبود، والعقل صديقٌ محمود»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «إياكم وتمكّن الهوى منكم، فإن أوله فتنة وآخره محنة»<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: «أول الشهوات طرب وآخرها عطب»<sup>(٣)</sup>.

كم شاب أو فتاة تدخل إلى مواقع التواصل الاجتماعي، أو تستجيب إلى مكالمة هاتفية، فتأنس بما تسمع من كلام لطيف معسول عاطفي، لكن لعل هذه المكالمة تكون خطوة نحو شقاء كبير!

وكم من مأس وقعت لفتيات وشباب، كانت بدايتها مكالمة هاتفية، ظاهرها الراحة والأنس، ونتيجتها سيئة مفاجئة!

وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ربّ شهوة ساعة تورث حزناً طويلاً»<sup>(٤)</sup>.

لو تصفحنا أحوال المجرمين المنحرفين، هذا الذي يقوم بجريمة القتل رغبة في الانتقام، لحظة غضب يستجيب لها، ثم تكون النتيجة الكارثية عليه وعلى عائلته! أو ذاك الذي يقع في فخ السرقة أو الرشوة، يلتذ في بداية الأمر، لكن النتيجة هي الدمار والشقاء.

### اليوم العالمي لمكافحة المخدرات

تتعدد أعمال الانحراف والفساد التي يقع فيها الإنسان، وتتفاوت آثارها ونتائجها، لكن أخطرها وأشدّها فتكاً هي المخدرات!!

إننا في هذا العصر نواجه آفة الآفات، حيث تجر المخدرات متعاطيها إلى مختلف

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٣) مستدرک الوسائل. ج ١١، ص ٣٤٣.

(٤) كنز العمال. ج ١٥، ص ٨٨٣.





## المفاسد!!

ولمواجهة هذا الخطر الكبير أعلنت الأمم المتحدة يوم السادس والعشرين من شهر (يونيو) يوماً عالمياً لمكافحة المخدرات.

### إحصائيات مخيفة

لقد أصبحت المخدرات وباءً مدمراً، فهي أكبر آفةٍ على الناس وخصوصاً الشباب، حيث إن تجار المخدرات يستدفون الشباب بالدرجة الأولى.

فحسب تقرير الأمم المتحدة أن حجم تجارة المخدرات عام ٢٠٠٦م بلغ ٣٢٢ مليار دولار، أي ما يعادل الناتج القومي لأكثر من ٩٠ دولة من دول العالم.

ويوجد في العالم (٢١٥) مليون مدمن أي ما يعادل ٥٪ من أبناء البشرية.

ومع الأسف الشديد فإن بلداً إسلامياً هو المنتج الأكبر للمخدرات، حيث تنتج أفغانستان وتصدر للعالم ٩٢٪ من هذه التجارة على مستوى العالم، وفيها أربع مئة وسبعة آلاف فدان (٤٠٧٠٠٠) لزراعة المخدرات<sup>(١)</sup>!!

إن أكبر شريحة متضررة من هذا الوباء القاتل هم فئة الشباب، وتؤكد دراسة أجريت في المملكة العربية السعودية أن ٧٠٪ ممن وقعوا في فخ المخدرات هم من فئة الشباب.

وتقول إحدى الدراسات أنه يوجد في العالم العربي (١٠ مليون) مدمن، وأضعاف هذا العدد من المتعاطين للمخدرات، ولا يقتصر التعاطي على فئة الذكور بحسب، بل طالت هذه الآفة النساء أيضاً، فأصبح هناك متعاطيات ومدمنات للمخدرات!!!

### أعراض هذا المرض ومظاهره

تتسلل المخدرات إلى الإنسان في بدايتها بصورة ممتعة، حيث يشعر الإنسان

(1) <http://archive.arabic.cnn.com/2010/scitech/9/20/opium.biofuel/index.html>





بسعادة ومنتعة مزيفة، لكنها الخطوة الأولى نحو السقوط والشقاء، وآثارها مدمرة على جسم الإنسان وعقله وسلوكه، حيث تقوده إلى مختلف أنواع الانحرافات، فتراه يسرق من أجل أن يوفر المال لشراء المخدر، ويمارس العنف من أجل ذلك، وربما يقع في شبكات الدعارة.

هناك بحوث تتحدث عن أعراض تعاطي المخدرات وإدائها، وعلى الأسرة أن تلاحظ هذه الأعراض والمؤشرات، لأخذ الحذر من تسلل هذه الآفة إلى أبنائها، وذلك بتتبعهم، ومعرفة كل ما يدور حولهم، حتى لا تفاجأ بوجود هذه الوباء الخطير، فكلما كان الانتباه له أبكر، كانت إمكانية السيطرة عليه أكبر.

#### وأهم تلك الأعراض والمؤشرات:

١. الانطوائية والانعزال عن الآخرين بصورة غير عادية.
  ٢. الإهمال وعدم العناية بالمظهر.
  ٣. الكسل الدائم والتثاؤب المستمر.
  ٤. ظهور شحوب في الوجه ورعشة في الأطراف.
  ٥. فقدان الشهية والهزال والإمساك.
  ٦. الهياج الشديد لأقل الأسباب مما يخالف طبيعة الشخص المعتادة.
  ٧. عدم الانتظام في الدراسة والعمل.
  ٨. اللجوء إلى الكذب والحيل الخادعة للحصول على مزيد من المال.
  ٩. اختفاء أو سرقة بعض الأشياء الثمينة من المنزل.
- بالطبع هذه مؤشرات على التعاطي أو الإدمان، وليست دليلاً قاطعاً، فينبغي الاستفادة منها كمؤشر يدعو إلى الانتباه والحذر لا كدليل قطعي.





## أسباب الوقوع في شرك المخدرات

### ■ التفكك الأسري.

تشير بعض الدراسات الاجتماعية أن (٤٠٪) من متعاطي ومدمني المخدرات هم من أسر متفككة.

### ■ أصدقاء السوء.

ذكرت إحدى الدراسات الميدانية أن (٣٨٪) من المتعاطين والمدمنين تورطوا في هذا الوباء بسبب أصدقاء السوء.

### ■ البحث عن المتعة واللذة الزائفة.

تقدر التقارير أن (٢١٪) من المتعاطين والمدمنين يتجهون إلى المخدرات من أجل الحصول على المتعة واللذة.

### ■ السعي لنسيان المشاكل.

البعض يلجأ إلى المخدرات لنسيان ما يعانيه من مشاكل وأزمات.

### ■ لمقاومة النوم وتحمل السهر.

يتجه بعض سائقي الحافلات في الرحلات الطويلة إلى تناول المنشطات، لكنها تقود في غالب الأحيان إلى الإدمان.

وكذلك بعض الطلبة والطالبات في فترات الامتحانات، أملاً في النشاط والحيوية، ثم يجدون أنفسهم سقطوا في أحوال المخدرات.

## مواجهة المخدرات

في العالم اليوم لا يعتبر المدمن مجرمًا، بقدر ما ينظر إليه أنه مريض، ينبغي الوقوف معه ومساعدته حتى يتجاوز هذا البلاء، وهناك مؤسسات ومصحات متخصصة في هذا المجال.





وينبغي أن يشترك الجميع في مواجهة هذه الآفة الخطيرة، والتصدي لها بمختلف الوسائل، ولا تقتصر المهمة على الجهات الرسمية، بل لا بُدَّ من اشتراك المجتمع بمختلف مؤسساته الاجتماعية والدينية والثقافية.

### دور الأجهزة الحكومية

تتحمل الجهات الرسمية مسؤولية كبيرة للقضاء على هذه الوباء الخطير، ويجب أن تبذل جهودًا أكبر في سبيل تطويق هذه المشكلة، خصوصًا مع تجار ومروجي هذا الوباء الخطير، فالمتعاطون والمدمنون هم ضحايا أولئك التجار المجرمين الذين باعوا كرامتهم وإنسانيتهم من أجل فتاتٍ من المال الزائل، على حساب الوطن ومستقبل أبنائه.

### نشر الوعي ومواجهة مظاهر الانحراف

ينبغي علينا جميعًا التحرك لمواجهة هذه الآفة، بمزيد من التوعية والتثقيف، لتحسين الشباب حتى يعيشوا بمأمن من هذه الآفة الخطيرة، إضافةً إلى التوجيه والإرشاد للمدمنين ليلتحقوا بأحد برامج العلاج، والتعامل معهم على أنهم مرضى كما هو التوجه العالمي.

من جهة أخرى لا بُدَّ من اتخاذ موقف حازم أمام من يروجون الأفلام الخليعة الهابطة، التي تؤدي إلى الانحراف والوقوع في شبكات الرذيلة التي لا تقف عند حد. وعلينا أن نشيد ونشجع كل من يسعى للحفاظ على أمن المجتمع، وتنقيته من كل الشوائب، فالطريق الأمثل هو المزيد من الوعي والإرشاد.

وهنا يتأكد دور الشباب المؤمن، فينبغي أن يكون حضورهم بارزًا لحماية المجتمع من الآفات التي بدأت تتسلل إليه، فتسلب الشباب والشابات عفتهم والتزامهم الديني والقيمي.





لا يجوز لنا أن نسكت على مثل هذه الجرائم، فهي تلويث وتشويه لسمعة بلدنا  
ومجتمعنا، وقبل ذلك دمار لشبابنا وفتياتنا.  
علينا أن نتحرك لمواجهة مظاهر الفساد والانحلال بالطرق السلمية، أما المواجهة  
المباشرة فهي مسؤولية الأجهزة الحكومية المختصة.







30  
يونيو



## اليوم العالمي للصدقة

### ثقافة الصداقة والإخاء

ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>.

أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ٢٠١١م، اليوم الثلاثين من شهر يوليو يوماً عالمياً للصدقة، والهدف من إعلان هذا اليوم، هو دعوة الحكومات والمؤسسات والمنظمات الدولية ومنظمات المجتمع المدني، إلى تعزيز قيمة الصداقة بين الشعوب والأمم والأفراد، بحيث يهتم الناس بهذه القيمة، وينشرون ثقافة الصداقة فيما بينهم، وذلك عبر المؤسسات التعليمية، باعتماد مناهج دراسية تشجع الطلاب على الصداقات والعلاقات الإيجابية مع الناس، وإن اختلفت ثقافتهم وأديانهم وتوجهاتهم وأعراقهم، وعبر منظمات المجتمع الأهلي المدني، وذلك بنشر ثقافة الصداقة والاهتمام بهذا البعد الإنساني.

وفي تراثنا الديني اهتمام كبير بقيمة الصداقة والتآخي، حيث وردت نصوص كثيرة في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال الأئمة، وعلماء الأمة وأدبائها، حول موضوع الصداقة والتآخي، هذه النصوص بما تحمل من معاني إنسانية وأخلاقية

(١) نهج البلاغة، حكمة: ١٢.





وتربوية، يمكنها أن تشكل رافداً كبيراً المثل هذا الاهتمام الإنساني .  
وما دام العالم يحتفي بهذه القيمة الراقية، فإنّ علينا أن نظهر ما في تراثنا الديني،  
مما يُشكّل إلهاماً وزخماً ورافداً لتعزيز هذه القيمة بين أبناء البشر .

أتمنى لو أنّ جهةً إسلامية تأخذ على عاتقها - في أمثال هذه المناسبات الدولية  
العالمية - طرح ما في تراثنا الحضاري والديني، مما يتناسب مع هذه المناسبات،  
حتى يعرف العالم ديننا وحضارتنا من خلال هذه القيم الإنسانية العامة .

العالم قد لا يعجبه أن يتعرف علينا من خلال خصوصيتنا، كالصلاة والصوم  
والحج، فهي خصوصية دينية، قد لا يتحمّس الآخرون للتعرف عليها، فينبغي أن  
نعرف العالم بما نملك من قيم إنسانية، ومن خلال ذلك يدرك عمق البعد الإنساني  
والحضاري في هذا الدين .

هناك أيام عالمية كثيرة، فالأمم المتحدة تحتفي باليوم العالمي للتسامح، واليوم  
العالمي للمرأة، والأسرة، وذوي الاحتياجات الخاصة، والتنوع الثقافي، ومحاربة  
التمييز العنصري... إلخ .

هذا الجدول الموجود في المؤسسة الدولية، ينبغي أن نشارك فيه، بتأصيل هذه  
القيم، من خلال مبادئنا وتراثنا الديني، وأن نعتبر هذه المناسبات فرصة لعرض روائع  
تراثنا الديني، حول هذه القيم والمناسبات .

### الصدقة في تراثنا الديني

في مجال الصدقة والتأخي يحفّز الإسلام أبناءه وأتباعه على الاهتمام بكسب  
الإخوان والأصدقاء، فكما يأمر الدين بالصلاة والصوم وسائر العبادات، كذلك يأمر  
باكتساب الإخوان والأصدقاء، فهو مطلب ديني .

لماذا يأمرنا الدين بكسب الأصدقاء؟





أولاً: إنَّ كسب الأصدقاء يشكّل استجابة لنزعة فطرية في نفس الإنسان، فهو يأنس بأبناء جنسه، حتى قيل: إنَّ اشتقاق كلمة إنسان من الأُنس، يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٦].

ثانياً: الصداقة تثري المشاعر الإيجابية في النفس، كالمحبة والعطف والإحسان والعطاء، فكلّما كثر أصدقاء الإنسان كانت هذه المشاعر في نفسه أثري وأعمق، على العكس مما إذا كان انعزالياً منطوياً على نفسه، حيث تخبو هذه المشاعر لديه.

ثالثاً: الصداقة تساعد الناس على التعاون فيما بينهم، لتحقيق مصالحهم ومتطلبات حياتهم، فكلّما توفر الإنسان على أصدقاء، كان أقدر على تسيير أمور حياته بالتعاون معهم، يستعين بهم ويعينهم.

رابعاً: الصداقة تشكل ذخراً وملجأ للإنسان عند المحن، وأمام التحديات والشدائد، فما من إنسان إلا وتعرّضه شدائد وتحديات ومشاكل، فإذا كان عنده أصدقاء يساعدونه ويقفون معه، هانت عليه مشاكله، وكان أقدر على حلّها.

خامساً: الصداقة تفتح أمام الإنسان آفاق الاستفادة من آراء الآخرين وتجاربهم. لذلك جاءت النصوص الدينية تحثّ على كسب الأصدقاء والإخوان.

ويشير النبي الأكرم ﷺ فيما روي عنه إلى بعد أخروي في الصداقة، قال ﷺ: «استكثروا من الإخوان؛ فإنَّ لكلِّ مؤمنٍ شفاعَةٌ يومَ القيامةِ»<sup>(١)</sup>، فلعلَّ هذا الصديق في الدنيا يكون هو المنقذ في الآخرة، ولا يدري المرء إذا كان بحاجة إلى من يشفع له، على يد من تكون الشفاعه له في يوم القيامة.

(١) كنز العمال: ج٩، ص٤، ح ٢٤٦٤٢.





بعض الأشخاص لا يبدو في الدنيا أن له شأنًا رفيعًا، وإذا بك تراه يوم القيامة وجيهاً مقدراً عند الله، وبركة معرفتك به يقول: يا رب، هذا من أصدقائي، فيأتيه النداء: خذ معك إلى الجنة!

ورد عن الإمام علي عليه السلام: «مَنْ لَا صَدِيقَ لَهُ لَا ذُخْرَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

كما ورد عنه عليه السلام: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

إن اكتساب الإخوان لا صعوبة فيه، إذا توجه الإنسان إلى الاستزادة من الأصدقاء حقق ما يريد، فلماذا لا تكسب أصدقاء؟!

فعن النبي صلى الله عليه وسلم: «الْمَرْءُ كَثِيرُ إِخْوَانِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ لَمْ يَرْغَبْ فِي الْإِسْتِكثَارِ مِنَ الْإِخْوَانِ ابْتُلِيَ بِالْخُسْرَانِ»<sup>(٤)</sup>.

فكل صديق تتعرف عليه يشكّل مكسبًا، فإذا لم تستكثر من الإخوان تكون قد حرمت نفسك خيرًا ممكنًا.

### مقومات الصداقة

هناك ثلاث مقومات أساسية لحقيقة الصداقة:

أولاً: تبادل المحبة.

ثانيًا: تبادل الثقة.

ثالثًا: تبادل التعاون.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٦٣٦.

(٢) نهج البلاغة، حكمة: ١٢.

(٣) كنز العمال: ج ٩، ص ٣٨، ح ٢٤٨٢٣.

(٤) تحف العقول: ص ٣١٩.





وهي ضمن مستويات متفاوتة، فالأصدقاء ليسوا في درجة واحدة من المحبة، بل هي نسبة متصاعدة من الانشداد العاطفي بينك وبين الطرف الآخر، وبدون المحبة لا تكون صداقة، وكذلك الأمر في مستويات الثقة، هناك من تثق برأيه، وهناك من تثق بخبرته، وآخر تثق بدينه وعدالته، وأخيراً فإن من آثار الصداقة أن يكون هناك مستوى من التعاون، وإلا فمجرد تعايشك وتواصلك مع الآخرين في المحيط الذي تكون فيه لا يعني أنهم أصدقاؤك.

الإنسان وهو يعيش مع عائلته في بيت واحد، قد لا تتحقق معاني الصداقة بينه وبين أفراد عائلته!

بعض الآباء صديق لأولاده تتوفر بينه وبينهم المحبة والثقة والتعاون، في حالة جميلة من الانفتاح والانسجام، والبعض قد يعيش حالة فتور في العلاقة مع أبنائه، فتصبح الحالة بينهم كعلاقة رسمية!!

وكذلك بين الأم وبناتها، في بعض الأحيان تكون لدى البنت مشكلة، لكنها لا تجد نفسها قريبة من أمها، كي تتحدث لها عن معاناتها، فتبحث عن إحدى صديقاتها تشكو لها!

وهذا يكشف عن تدني مستوى الانفتاح والثقة داخل العائلة، وهي قضية معيشة في المجتمع، بعض الأبناء يعيش مع أصدقائه ويشاركهم ما يحمل من آلام وآمال وتطلعات، بعيداً عن والديه!

وكذلك العلاقة مع زملاء العمل، تارة يكونون أصدقاء، وتارة مجرد أشخاص تتواجد معهم في مكان العمل.

### صنع الصداقات

تبدأ العلاقة مع الآخرين من داخل الإنسان نفسه، ومن طبيعة سلوكه، نجد أن بعض الناس لديهم توفيق ونجاح في صنع الصداقات، حيثما يسافر يكسب أصدقاء،





فلا يعود إلى بلده إلا وقد كوّن له صداقات، والبعض ليس لديه توجه لصنع الصداقات حتى في بلده ومجتمعه!

هل أنت مهتم بالانفتاح على الآخرين؟!

هل تسعى لكسب الأصدقاء؟!

إذا بدأت بتبادل الود وإبداء المحبة والتعاون مع الآخرين، ستجد في المقابل تفاعلاً من جهتهم.

روي عن الإمام علي (عليه السلام): «جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وَبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا»<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): «اعْرِفِ الْمَوَدَّةَ لَكَ فِي قَلْبِ أَخِيكَ بِمَا لَهُ فِي قَلْبِكَ»<sup>(٢)</sup>، إذا كانت لديك مودة مع الآخرين سيبادلونك المودة، أما إذا كان قلبك جافاً تجاههم، كيف تتوقع منهم أن يبذلوا لك المحبة؟!

وكما يقال (القلوب شواهد) أي تشهد بمحبة بعضها لبعض. لكن البعض ليس لديه توجه لكسب الآخرين، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مِنَ الْجَفَاءِ: أَنْ يَصْحَبَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَلَا يَسْأَلُهُ عَنِ اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ»<sup>(٣)</sup>.

ومثل هذه النماذج نراها في المجتمع، ترى شخصاً يرتاد مجلساً ثم ينقطع عنه، وحين تسأل من التقى به وجالسه لا يعرف عنه حتى مجرد اسمه!!

وفي الاتجاه الآخر ترى البعض وهو مسافر في الطائرة أو القطار يتعرف على

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٨١، حديث ٥٨٢٦.

(٢) الأربلي: علي بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج ٢، (بيروت: دار الأضواء)، ص ٣٣٠.

(٣) وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٥٠١، باب ١٠١: استحباب سؤال الصاحب والجليس عن اسمه وكنيته...، حديث ٤.





من بجانبه، يحييه ويرحب به، وينخرط معه في حديث متشعب كأنه يعرفه منذ زمن.  
وتوجد الآن طريقة سهلة في التعارف، وهي (بطاقات التعريف) التي تحمل اسم  
الشخص وهاتفه وبريده الإلكتروني.  
فكم من آفاق للعلاقة فتحت وتطورت بين شخصين بسبب لقاء في سفر أو سكن  
في فندق؟!!

البعض يسافر لحج بيت الله الحرام، ويتعرف على الحجاج المرافقين له في  
أجواء الفريضة، لكنه يعود خالي الوفاض من أي صداقة جديدة!  
والبعض يعود ومعه قائمة جديدة من الأصدقاء، هذا يعني أن اهتمام الإنسان  
بتكوين الصداقات له أثر كبير في تحقيق ذلك.  
بالطبع على الإنسان أن يتخير الأصدقاء، فلا يصادق أي شخص، فهناك من تكون  
الصداقة معه مضيعة للوقت، مضرّة بدنيا للإنسان وآخرته، وهم أصدقاء السوء.

### شرطان لاختيار الأصدقاء

أولاً: الاستقامة الأخلاقية.

ثانياً: النجاح في الحياة.

في حديث جميل مروى عن رسول ﷺ: «مَنْ لَمْ تَنْتَفِعْ بِدِينِهِ وَلَا دُنْيَاهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ  
فِي مُجَالَسَتِهِ»<sup>(١)</sup>.

من لا يتوفر على قيمة معنوية أخلاقية، ولا هو ناجح في أموره الدنيوية، فالصداقة  
معه مضيعة للوقت، فلا خير لك في مجالسته.

بالطبع لا يشترط في الصحبة والصداقة التطابق الديني والفكري، وليس الله

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٥٤، حديث ٥٧٦٢.





تعالى يقول: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة، الآية: ٨].

وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُحْسِنْ صُحْبَةَ مَنْ صَحِبَهُ»<sup>(١)</sup>، إذا لم يكن الإنسان حسن الصحبة فإنه يفقد مفردة من مفردات الإسلام الحقيقي!

### نموذج مميز في الصداقة

ينقل المؤرخون عن الصداقة التي تكونت بين الشريف الرضي، وهو من أعلام الشيعة الكبار، وبين أبي إسحاق، إبراهيم بن هلال الصابي، (من الصابئة)، حيث كان وثيق الصلة به، وكان كل واحد منهما يفخر بصداقته للآخر، وعندما توفي أبو إسحاق رثاه الشريف الرضي بقصيدة رائعة، يقول فيها:

أَعْلَمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ  
أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِي  
جَبَلٌ هَوَى لَوْ خَرَّ فِي الْبَحْرِ اغْتَدَى  
مِنْ وَقَعِهِ مُتَتَابِعَ الْإِزْبَادِ  
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حَطِّكَ فِي الثَّرَى  
أَنَّ الثَّرَى يَعْلُو عَلَى الْأَطْوَادِ  
بُعْدًا لِيَوْمِكَ فِي الزَّمَانِ فَإِنَّهُ  
أَفْذَى الْعُيُونِ وَفَتٌّ فِي الْأَعْضَادِ  
لَا يَنْفَدُ الدَّمْعُ الَّذِي يُبْكِي بِهِ  
إِنَّ الْقُلُوبَ لَهُ مِنَ الْأَمْدَادِ

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٧٤، ح ٢٤٢٣.







كَيْفَ انْمَحَى ذَاكَ الْجَنَابُ وُعُطِّتْ  
تِلْكَ الْفِجَاجُ وَضَلَّ ذَاكَ الْهَادِي

إلى أن يقول:

الْفَضْلُ نَاسَبَ بَيْنَنَا إِنْ لَمْ يَكُنْ  
شَرَفِي مُنَاسِبَهُ وَلَا مِيْلَادِي  
إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ أُسْرَتِي وَعَشِيرَتِي  
فَلَأَنْتَ أَعْلَقُهُمْ يَدًا بِوِدَادٍ  
لَوْ لَمْ يَكُنْ عَالِي الْأُصُولِ فَقَدْ وَفَى  
شَرَفُ الْجُدُودِ بِسُودَدِ الْأَجْدَادِ<sup>(١)</sup>

### أسباب ضياع الأصدقاء

هناك من يكسب أصدقاء لكنه لا يحتفظ بهم، بل يخسر أصدقاءه، وقد عبّر عنه الإمام علي عليه السلام فيما روي عنه أنه (أَعْجَزُ النَّاسِ)، وهناك عوامل وأسباب لخسارة الأصدقاء، لعلّ من أبرزها ما يلي:

#### ١/ عدم مراعاة حقوقهم

للصديق حقوق تجب مراعاتها، عن الإمام علي عليه السلام: «وَلَا تُضَيِّعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ»<sup>(٢)</sup>، فللصديق احترامه وتقديره، فإذا لم تراعى حقوق الصديق، فإنك تفقده.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «لَا تُدْهِبِ الْحِشْمَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَخِيكَ، أَبْقِ مِنْهَا؛ فَإِنَّ

(١) الشريف الرضي: محمد بن أبي أحمد الحسين، ديوان الشريف الرضي، ج ١، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للطبوعات)، ص ٢٩٤.

(٢) نهج البلاغة: كتاب: ٣١.





ذَهَابَهَا ذَهَابُ الْحَيَاءِ»<sup>(١)</sup>.

## ٢ / الانفعال وضيق الصدر

الأصدقاء بشر، يصدر منهم الخطأ والزلل، والعاقل لا بُدَّ أن يكون مستعدًّا لتجاوز الأخطاء والزللات.

عن الإمام علي عليه السلام: «مَنْ جَانَبَ الْإِخْوَانَ عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ قَلَّ أَصْدِقَاؤُهُ»<sup>(٢)</sup>.  
وعنه عليه السلام: «إِحْتِمَلْ أَخَاكَ عَلَى مَا فِيهِ، وَلَا تُكْثِرِ الْعِتَابَ؛ فَإِنَّهُ يورِثُ الضَّغِينَةَ»<sup>(٣)</sup>.  
وعن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ لَمْ يُؤَاخِ إِلَّا مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ، قَلَّ صَدِيقُهُ»<sup>(٤)</sup>.

## ٣ / الجفاء والقطيعة

من الطبيعي أن تنتهي العلاقة بين الأصدقاء إذا شابتها حالة الجفاء والقطيعة، حيث لا يكون لها وجود، وذلك يحرم الإنسان من مكسب حصل عليه، ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُدَاوِمَةَ عَلَى الْإِخَاءِ الْقَدِيمَةِ، فَدَاوِمُوا عَلَيْهَا»<sup>(٥)</sup>.

فعلى سبيل المثال: المبتعث الذي يعيش في أمريكا أو اليابان أو أوروبا عدة سنوات، لا بُدَّ وأن يتعرف على أساتذة وعلى زملاء، فهل يلغي قائمة أصدقائه بمجرد انتهاء بعثته؟!

هذا غير مناسب، بل ينبغي للإنسان أن يحافظ على الصداقات التي يحرزها، فإذا كان صنع الصداقة مع الآخرين مكسبًا مهمًّا، فإنَّ الحفاظ على هذا المكسب هو

(١) الكافي: ج ٢، ص ٦٧٢، ح ٥.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص ٤٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥١٩.

(٤) الديلمي: الحسن بن أبي الحسن، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الطبعة الثالثة ١٤٣٦ هـ، (بيروت:

مؤسسة آل البيت لإحياء التراث)، ص ٣٠٤.

(٥) كنز العمال: ٢٤٧٥٩.





التحدي الكبير، ومن يفرط في أصدقائه ويضيعهم، يكشف عن عجز وضعف كما يقول الإمام علي عليه السلام: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>.

علينا أن نهتم بهذا الجانب، وأن نعلم أن هذا أمر يرضي الله سبحانه وتعالى، وتنال عليه الأجر والثواب وفيه فوائد دنيوية وأخروية، وأن نربي أبناءنا على كسب الأصدقاء، وأن ننشر ثقافة الصداقة والإخاء في مجتمعاتنا.

(١) نهج البلاغة، حكمة: ١٢.







## اليوم العالمي للشباب

### الشباب مرحلة العطاء الاجتماعي

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [سورة الروم، الآية: ٥٤].

يمرّ الإنسان في حياته بمراحل وأطوار، ولا سيطرة له على هذه المراحل، فليس بمقدوره أن يوقف نفسه في مرحلة معينة من تلك المراحل، بحيث لا يتجاوزها ويبقى فيها، كما أنه لا يستطيع أن يقفز على هذه المراحل أو يحرقها. إن قرار المجيء إلى الدنيا أو البقاء فيها أو الرحيل عنها، ومعها التنقل من مرحلة عمرية إلى أخرى، كلّ ذلك بيد الله تعالى، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [سورة الحج، الآية: ٥].

تستمرّ الحياة الإنسانية في مراحل تطوّرها ابتداءً من النطفة، بإرادة وتدبير الله تعالى، والإنسان - في ذلك كله - خاضع للسنة الكونية في الحياة. وفي تحليل لطبيعة الحياة الإنسانية، يبدأ الإنسان حياته بمرحلة الضعف الأولى في طفولته، لينتهي - بعد





ذلك - بمرحلة الضعف الأخرى في شيخوخته، وبينهما يتمتع بمرحلة القوّة والنشاط والحيوية، وهو ما تفيدّه الآية القرآنية الكريمة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾.

يشعر الإنسان بحالة القوّة والنشاط في مرحلة الشباب، وهي المرحلة التي يتمنى كلّ فرد أن يبقى متمتعاً بها فلا يفارقها، ولا يشوبه ضعفٌ في مرحلة الشيخوخة لاحقاً، لكن ذلك لا يكون لأحد. فهذه المرحلة هي فرصة زمنية يعطيها الله لكلّ إنسان ليبدل فيها طاقته، ويستفرغ وسعه، فيحاسب على أدائه ووفائه لمستحقّاتها عليه، فهي كسائر النعم التي ينعم الله بها علينا، ومن ثمّ يحاسبنا على أدائها تجاهها.

### المجتمع واستثمار ثرواته البشرية الشابة

إن مسؤولية استثمار مرحلة الشباب الاستثمار الأمثل، هي مسؤولية الفرد والمجتمع، فقد يكون الفرد ضحية إهمال المجتمع، وتوجيهه الوجهة الخطأ، كما أن الفرد غير معذور في إهدار ما وهبه الله من طاقة شبابية، كان يفترض به أن يوجهها الوجهة الصحيحة. ففي مرحلة الشباب يعيش الإنسان توهجاً جسمياً وعاطفياً، وإرادة للعمل، وطموحاً نحو أهداف كبيرة، وتطلّعات مستقبلية واعدة. ويفترض بالمجتمعات المسلمة أن تتوجّه نحو هذه الشريحة، لاستثمار هذه الروحية المعطاءة والوقادة، بحيث تحتضنها مؤسّساتها، وتعمل على استثمار طاقاتها، فيما يخدم المجتمع، ويرفع من شأنه، وشأن هذه الشريحة. يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن لله ملكاً ينزل في كل ليلة ويقول: يا أبناء العشرين فما فوق، جدّوا واجتهدوا»<sup>(١)</sup>. إنه نداء خاص للفئة الشابة، يحرضهم على استثمار هذه المرحلة، قبل أن تصيب الإنسان الحسرات على فواتها، فهي مرحلة العمل والعطاء، ولا يمكن للإنسان أن يعوّضها، فيما لو ذهب به الأيام والسنوات دون أن يجدّها فيها. والنصوص الشرعية

(١) مستدرک وسائل الشیعة، ج ١٢، ص ١٥٧.





تشجّع الإنسان على هذا المعنى، إذ ورد عن نبينا الكريم محمد ﷺ أنه قال: «يا أبا ذرّ، اغتنم خمسا قبل خمس: .. وشبابك قبل هرمك»<sup>(١)</sup>.

إن المجتمعات المتقدمة تفتح المجال أمام شبابها، من أجل أن يستثمروا هذه المرحلة من أعمارهم، وأن يقدموا لأوطانهم وشعوبهم ما يستطيعون من خدمات، ترقى بتلك المجتمعات خطوات أكثر إلى الأمام، وبخلافها المجتمعات المتخلفة التي تتجاهل هذه الطبقة، فلا تفسح أمام شبابها وشاباتها، أن يتحمّلوا المسؤوليات التي يستطيعون الخدمة فيها، ولا يمنحونهم الثقة التي يستطيعون من خلالها القيام بدورهم الفاعل. والنعمة التي لا تستثمر بالطريقة الصحيحة، قد تصبح وبالاً، وذلك من قبيل الأمطار التي هي من النعم الكبيرة على الإنسان، لكنّ هذه النعمة - في حال لم تستثمر الاستثمار الصحيح - تصبح سيوياً ومستنقعات تجلب الأمراض، وتسبب الأضرار للكثير من المنازل.

إن مرحلة الشباب بمقدار ما هي خصبة بالإيجابيات، قد تنمو فيها بوادر الانحراف والسلوكيات السلبية غير المقبولة، ما يساهم لاحقاً في تدمير شريحة شبابية كبيرة ضمن مشاريع إجرامية.

لذلك فإن المجتمع أمام خيارين، إما أن يحتضن هذه الفئة، بما يمكنها من خدمته والنهوض بالأعباء الملقاة عليهم، بحيث يمثل المجتمع تلكم الحديقة التي تزدهر بأزهارها الياقة، وتعطي ذلكم الرونق والمنظر الجميل الخلاب، وإما أن يحاصر هذه الشريحة بمجموعة من الضغوط، بحيث لا يمكنها من تفجير طاقاتها الإيجابية، أو أن يعزل نفسه عنها فيتجاهلها، لتكون وبالاً عليه لاحقاً، ويظلّ هذا المجتمع يعاني من ويلات الانفلات غير المنضبط من بعض فئات هذه الشريحة.

المجتمع يتحمّل مسؤولية كبيرة، في فسح المجال أمام الشباب والشابات،

(١) وسائل الشيعة، ج١، ص ١١٤.





وفي تشجيعهم على تحمّل المسؤوليات، تجاه أوطانهم ومجتمعاتهم ودينهم، وأن يعطيهم الثقة الكافية، حتى يستفيد من هذه الطاقات الكامنة لدى كل فردٍ منهم.

إذا كانت الفاعليات والأنشطة الاجتماعية لا تزال قليلة، ومحدودة الاهتمامات، بحيث لا تستطيع أن تستوعب هذه الشريحة الواسعة، فإنه لا يصحّ أن يتخلّى الشباب أنفسهم عن تحمّل المسؤولية، وذلك من خلال مبادرات جماعية، يقومون من خلالها بأنشطة يسهمون فيها في إنماء بعض الجوانب الاجتماعية غير الملتفت إليها. والمجتمعات المتقدّمة مليئة بالمبادرات الفردية والجماعية من قبل شرائح الشباب، ويجب أن تبعث لمزيد من العطاء في مجتمعاتنا.

وقد نشرت الصحف المحلية في الأيام القليلة الماضية حول مجموعة من الشباب في مدينة الدمام بالمنطقة الشرقية، قاموا بتأسيس مجموعة أطلقوا على أنفسهم اسم: أولاد الدمام، تضمّ ما يقرب من ٨٠ شاباً، ومجموعة أخرى من الفتيات تتكون من ٧٠ فتاة، أطلقن على أنفسهنّ اسم: بنات الدمام، حيث يعقدون اجتماعات دورية يناقشون فيها ما يمكن أن يساهموا به من أجل النهوض بمجتمعهم من قضايا البيئة والصحة العامّة، وبعض المسائل الاجتماعية، مثل مساعدة ذوي الاحتياجات الخاصّة، والمرضى وغيرها.

كما شهدنا في الأسابيع الماضية حملة أطلقتها مجموعات شبابية باسم: القطيف طاهرة، تقوم هذه المجموعة باستهداف بعض حالات الفساد التي بدأت تظهر في المجتمع، وبخاصّة في بعض الأسواق الشعبية، حيث يقوم البعض علناً ببيع الأقراص الممغنطة ذات المحتويات الهابطة، ويسوّقونها بصورة واسعة في هذه الأسواق. وغيره من هذه المجموعات الشبابية على تديّن وأخلاقية المجتمع، ومحافظةً على قيمه وسلوكياته الملتزمة، قاموا بحملة لمواجهة هذه الظاهرة.

كما قامت مجموعة من أبناء المنطقة من ذوي الاهتمامات والاختصاصات







الطبية بتأسيس لجنة أهلية تهتمّ بالتوعية الصحية، وبمساعدة المرضى، ومراقبة الأداء الصحي في المستشفيات والمراكز الصحية العاملة في القطيف، وهو توجه ينبغي أن يشجّع ويتطور، وإلى جانبها العديد من المبادرات التي نرجو أن تنمو وتتنوّع، فذلك من شأنه إشغال شبابنا بما ينفعهم وينفع مجتمعاتهم، ويحفظ مجموعة كبيرة منهم عن الاتجاهات السلبية المنحرفة.

ولو تفرّغت من كلّ بلدة في المنطقة مجموعة شبابية، من أجل معالجة بعض المشكلات الاجتماعية، لرفعنا الكثير من المعاناة، وحالات العجز والعوز، التي تعاني منها العديد من الأسر، فما أكثرها في كلّ بلدة، وما أحوجنا إلى تعدد المشاريع والمؤسّسات من أجل النهوض بواقعنا إلى ما هو أفضل.

### نداء إلى كل شاب وشابة

وهي مناسبة أتوجّه فيها إلى كلّ شاب وشابة من أبناء هذا المجتمع المعطاء، فهذا المجتمع هو مجتمعكم، وهذا وطنكم، وكما تتحملون المسؤولية تجاه أنفسكم، فهناك مسؤوليات تجاه محيطكم الذي هو بحاجة ماسّة إليكم اليوم. وما يجري في المجتمع يعينكم، فينبغي أن تدفعكم الحمية لأن تصدّوا لمعالجة ما تستطيعون المشاركة فيه، فقيادة المجتمع وحلّ مشكلاته ليست حكرًا على كبير أو وجيه أو عالم أو متنفّذ، إنها مسؤولية الجميع بلا استثناء، وعليكم أن تأخذوا مجالكم في هذا الاتجاه، أسوة بالمجتمعات المتقدّمة.

إنكم عندما تنكفئون عن العمل الاجتماعي يفقد المجتمع بأسره طاقاتكم. إننا بحاجة إليكم في كلّ المواقع والساحات، فالمجتمع تنقصه الطاقات في شتى المجالات والخدمات، فلو أن كلّ مجموعة تبنت مشروعًا من المشروعات الاجتماعية، فإن ذلك من شأنه أن يغطي ذلكم العجز والنقص، فلا تبخلوا على مجتمعكم بمبادراتكم الطيبة. إنكم ستلمسون بأنفسكم ما تزرعه أيديكم حاضرًا،





ويبقى رصيِّداً لكم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

### مسؤولية المؤسسات الرسمية

وعلى الجهات الرسمية أن تفسح المجال للمبادرات الاجتماعية، ذلك أن الكثير من دول العالم الإسلامي لا تزال القوانين والأنظمة الرسمية فيها تقف حائلاً أمام طموحات الشباب وتطلّعاتهم، فلا تعطي الفرصة لتنامي الحالة التطوعية في المجتمع، وفي بعض الأحيان تكون العوائق من القيمين على تطبيق الأنظمة، فلا تزال العقلية المتحفّظة على أيّ مبادرة هي المسيطرة، ومن الصعب أن تجد الكثير من المشروعات طريقها إلى النور، بسبب تعقيداتٍ وروتينٍ وظيفيٍّ قاتل، قد يكون الخللُ فيه بسبب ذلكم الموظّف أو ذلكم المسؤول.

في مثل هذه المرحلة التي تعيشها الأمة، لا يجب أن تسبقنا التقنيات والوسائل الحديثة بما تملكه من جاذبية إلى عقول وقلوب أبنائنا وبناتنا، علينا أن نبادر باحتضانهم، ودمجهم في العديد من المشروعات والمبادرات الاجتماعية، التي تجعل منهم عناصر فاعلة، وفي الوقت نفسه يقون على تواصل مع قضايا وشؤون مجتمعهم، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «عليكم بالأحداث، فإنهم أسرع إلى كلّ خير»<sup>(١)</sup>.

(١) الريشهري: محمد. أهل البيت في الكتاب والسنة، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ، (قم المقدسة: دار الحديث)، ص ٣٦١.





## اليوم العالمي للعمل الإنساني

### شهاد العمل الإنساني

جاء في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَالتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ»<sup>(١)</sup>.

تمرّ بمختلف المجتمعات البشرية حالات من الكوارث والأزمات، إمّا بسبب من الطبيعة كالزلازل والفيضانات وانتشار الأوبئة والأمراض، أو بسبب الحروب والصراعات والفتن والاضطرابات الاجتماعية.

ولأنّ هذه الكوارث تنتج عددًا كبيرًا من الضحايا والخسائر والإصابات، فإنّها تستدعي جهدًا استثنائيًا كبيرًا، لمواجهة أضرارها وتداعياتها على المجتمع الذي تحلّ به.

وانطلاقًا من الوجدان والفترة الإنسانية، وبحثّ وتشجيع من الديانات والقيم الأخلاقية، عادة ما تستجيب المجتمعات لهذا التحديّ الإنساني، فمن قديم الزمان كان الناس يبادرون إلى التعاون فيما بينهم وقت الشدائد والأزمات، لكن المجتمعات تتفاوت في نسبة الاستجابة ومستوى التفاعل، وفي توفير الاستعدادات لمثل هذه الحالات الطارئة.

(١) نهج البلاغة، حكمة ٢٤.





## تطور في جهود الإغاثة

وفي عصرنا الحاضر، قطعت البشرية شوطاً متقدماً، لتحفيز المجتمعات والحكومات على مواجهة حالات الكوارث الطبيعية وتداعيات الحروب والصراعات المنتشرة.

فتكونت مؤسسات ومنظمات دولية، رسمية وأهلية، كمنظمة الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية، ومنظمة العمل لمكافحة الجوع، والمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، والصليب والهلال الأحمر، وأطباء بلا حدود، ومنظمة الإغاثة الدولية، ومنظمة الإغاثة الإسلامية، ومنظمة الإنقاذ الدولية.

وشرعت قوانين وأنظمة، أصدرتها الأمم المتحدة، أو وقعت عليها الدول كاتفاقيات ملزمة، كاتفاقية جنيف وهي عبارة عن أربع اتفاقيات دولية تمت صياغة الأولى منها في ١٨٦٤، وآخرها في ١٩٤٩، تتناول حماية حقوق الإنسان الأساسية في حالة الحرب، أي طريقة الاعتناء بالجرحى والمرضى وأسرى الحرب، وحماية المدنيين الموجودين في ساحة المعركة، أو في أي منطقة محتلة. وفي عام ٢٠٠٥ م انضم إلى اتفاقية جنيف ١٩٠ دولة، أي عموم دول العالم تقريباً، مما يجعلها أوسع الاتفاقيات الدولية قبولاً، وهي جزء أساس مما يسمى بالقانون الدولي الإنساني، وبذلك تراكمت تجارب وخبرات في المجتمع الدولي لإغاثة المجتمعات التي تتعرض للكوارث والحروب والاضطرابات.

وتشير تقارير الأمم المتحدة، إلى أنه في عام ٢٠١٦، بات أكثر من ١٣٠ مليوناً من النساء والرجال والأطفال في جميع أنحاء العالم بحاجة إلى المساعدة الإنسانية، فلم يحدث منذ الحرب العالمية الثانية أن أجبر عدد كبير جداً من الناس بهذا القدر على ترك بيوتهم، حيث يبلغ عددهم أكثر من ٦٠ مليون شخص نصفهم من الأطفال. تشير تلك التقارير إلى أنه بمعدل كل ٣ دقائق يجبر ٨٨ شخصاً على الفرار من





منازلهم في مناطق الصّراعات. وهناك نحو ٤٥٠ ألف عامل إغاثة في جمع أنحاء العالم عام ٢٠١٥م.

### الإغاثة تحديات وأخطار

ويواجه العاملون للإغاثة الإنسانية في مناطق الكوارث والأمراض والحروب أخطارًا على وجودهم وحياتهم، لكن دوافعهم الإنسانية النبيلة، تجعلهم على استعداد لتقبلها وتحملها.

وكشاهد على ما يتحمّله العاملون في مجال الإغاثة الإنسانية في عام ٢٠١٤، سجلت منظمة الصحة العالمية ٣٧٢ هجمة في ٣٢ بلدًا ضد القوى العاملة الصحية، مما أسفر عن وفاة ٦٠٣ منهم وإصابة ٩٥٨.

وفي عام ٢٠١٥، قتل المئات من العاملين في المجال الصحي في مناطق الصراع، ومناطق تفشي الأمراض، وفي غرب أفريقيا، أصيب ٨٧٥ من العاملين في مجال الصحة بالإيبولا، توفي ٥٠٩ منهم.

كما تعرض عددٌ من العاملين في الإغاثة الإنسانية للخطف والتنكيل في مناطق مختلفة تدور فيها حروب وصراعات.

من هنا فإنهم جديرون بكلّ التقدير والإجلال والاحترام لتضحياتهم، ولهم من الله تعالى عظيم الأجر والثواب. لذا روي عن رسول الله ﷺ: «من أغاث ملهوفًا كتب الله له ثلاثًا وسبعين حسنة، واحدة منها تُصلح آخرته ودينه، والباقي في الدرجات»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «إنّ الله عزّ وجلّ يحبّ إغاثة الملهوف»<sup>(٢)</sup>.

وجاء عن عليّ رضي الله عنه: «مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَالتَّنْفِيسُ عَنِ

(١) الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب، مكارم الأخلاق، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ٣٤٥، حديث ٩٦.

(٢) المصدر السابق، ح ٩٥.





المَكْرُوبِ»<sup>(١)</sup>.

### اليوم العالمي للعمل الإنساني

وتكريماً لهذه الجهود، ولإلفات النظر لأهميتها، وتشجيعاً لهذه المبادرات الإنسانية يُحتفل باليوم العالمي للعمل الإنساني سنوياً في ١٩ أغسطس للإشادة بعمال الإغاثة، الذين يجازفون بأنفسهم في مجال الخدمات الإنسانية، كما يراد من هذا اليوم حشد الدعم للمتضررين من الأزمات في جميع أنحاء العالم.

وفي ١٩ أغسطس من عام ٢٠٠٨م أقرّت الجمعية العامة في الأمم المتحدة هذا اليوم باعتباره اليوم العالمي للعمل الإنساني لزيادة الوعي بالأنشطة والمساعدات الإنسانية، وأهمية التعاون الدولي وتكريم العاملين في هذا المجال.

### في العوامية معاناة وتضحيات

وفي الأيام الماضية عاش أهلنا الكرام في العوامية محنة ومعاناة شديدة، أثارت الألم والمرارة في نفوس كل أبناء المنطقة، بل كل أبناء الوطن، حيث سُفكت دماء وأزهقت أرواح، وأُتلفت ممتلكات، واضطرت مئات العوائل للنزوح عن منازلها وديارها، وعاش الناس في العوامية أياماً بل أسابيع وشهوراً من الرعب والقلق والمعاناة.

وقد أصدر علماء المنطقة عدة بيانات واضحة، قبل الأحداث وأثنائها، تحذّر من آثار العنف وتوجّهات الإرهاب، وإشهار السلاح في وجه الدولة والمجتمع، وأنّ ذلك ليس طريقاً مشروعاً ولا مناسباً، ولن يحقق مطلباً ولن يعالج مشكلة، بل يزيد الأمور تعقيداً، ومنها البيان الصادر بتاريخ في ١٧ / ٥ / ١٤٣٢ هـ، والبيان الصادر بتاريخ ٨ جمادى الأولى ١٤٣٥ هـ، والبيان الصادر بتاريخ ١٤ / ١١ / ١٤٣٧ هـ والبيان الصادر يوم الإثنين ٢٦ شعبان ١٤٣٨ هـ.

(١) نهج البلاغة، حكمة ٢٤.





كما أصدر أهالي العوامية الكرام ممثلين بشخصياتهم ومشايخهم بياناً بنفس المضمون والمفاد، صدر بتاريخ ١٤٣٨/٠٩/٠١ هـ موقعاً من ٨١٧ شخصية دينية واجتماعية، والبيان الصادر بتاريخ ٢٤ ذي القعدة ١٤٣٨ هـ وقد وقع عليه ٤٦ من شخصيات العوامية الدينية والاجتماعية.

ولكن حدث ما حدث، ووقع ما لم يكن يتمنى أيّ غيور وقوع شيء منه في مجتمعنا ومنطقتنا، فإنّا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

### جهود إنسانية كبيرة

ولأنّ العالم يحتفل باليوم العالمي للعمل الإنساني، ولتقدير العاملين في هذا المجال، رأيت من الواجب الإشادة بالجهود الإنسانية الكبيرة التي بذلها إخوتنا الأعزاء في العوامية، للتخفيف من معاناة أهاليهم ومجتمعهم، حيث تكوّنت منذ شهر لجنة تحت عنوان (تواصل) التحق بها عشرات من شخصيات المجتمع، والناشطين في العوامية، من أعضاء الجمعية الخيرية، ونادي السلام الرياضي، وسائر أفراد المجتمع، وتفرّعت من هذه اللجنة لجنة للتواصل والتعاون مع الجهات الرسمية، لتسهيل خروج العوائل من مناطق الخطر، ومعالجة المشاكل، ومساعدة المحتاجين، وتشكل من اللجنة وفدٌ للقاء أمير المنطقة الشرقية، حيث استقبلهم بترحيب كبير، وحثهم على تفعيل دورهم الاجتماعي<sup>(١)</sup> وتفرّعت لجنة للإعاشة وتوفير المواد الغذائية للعوائل هناك، ولجنة للطوارئ، ولجنة للصحة ولجنة لإيواء وإسكان الأسر والعوائل النازحة، حيث تم توفير السكن لمئات العوائل خارج العوامية، عبر محافظة القطيف وبالتعاون الخيرين في المناطق المختلفة.

وقد تحمّل هؤلاء الإخوة عبئاً كبيراً، وكما هي العادة لم يسلموا من توجيه الإساءات والاتّهامات لهم، كما تعرضوا للأخطار المختلفة، وكان من الرموز

(١) صحفية اليوم، الثلاثاء ١٨ رمضان ١٤٣٨ هـ الموافق ١٣ يونيو ٢٠١٧ العدد ١٦٠٦٩.





الشّاحصة لهذا الجهد الإنساني (الشهيد محمد ارحيمان (أبو عادل) رحمه الله الذي استشهد<sup>(١)</sup> وهو في الحافلة خلال عملية تنظيم إخراج المرضى وكبار السنّ من العوامية، بعد التنسيق مع قيادة العمليات العسكرية.

### الشهيد ارحيمان رجل الميدان

هذا الشهيد الذي تطوع للعمل مع كثير من اللجان، فهو عضو في لجنة غذاء، ولجنة إيواء، ولجنة الطوارئ، وكذلك في اللجنة الرئيسة لأهل العوامية.

تجده أحياناً يوصل مواد غذائية لعوائل داخل وخارج العوامية، وبعدها ينتقل لتنظيم ومتابعة تسكين عائلة نازحة، ويتبعها بإيصال دواء أو غيره من الاحتياجات لمواطنين محاصرين.

يستغرب الإنسان كيف لرجل في عمره أن يمتلك كلّ هذا النشاط، وأن يؤدي أعمالاً وينفذ نشاطات متعددة في أكثر من مكان، ولا يسأم ولا يتضجّر، بل يشعر دومًا بأنه مقصّر ويعتذر عن التقصير<sup>(٢)</sup>.

وكما أخبرني بعض زملائه أنّهم وجدوا في جيبه بعد شهادته ظرفين فيهما مبالغ مالية كتب عليهما اسم اللجان المخصص لها المال، وكان قد كتب رسالة (بالواتس آب) لولده عن المبالغ التي عنده وأنها ليست له وتسلم إلى اللجان لو حدث له حادث، وحينما رأى قلق أهله على سلامته كتب لهم: لماذا تستكثرون عليّ أن أكون شهيداً.

وقد جرح معه في الحادثة نفسها زميله ورفيقه في هذا الجهد الإنساني (الحاج عبد الستار الشيخ) أثابه الله على جهوده العظيمة.

إنّ على أبناء المنطقة أن يتداعوا لتكريم هذا الشهيد (شهيد العمل الإنساني)، كما

(١) الأربعاء ٩ ذو القعدة ١٤٣٨ هـ الموافق ٢ أغسطس ٢٠١٧ م.

(٢) رجل الميدان أبا عادل، للمهندس عبد الرحيم الربيع (جبهة الإخبارية بتاريخ ٣/٨/٢٠١٧ م).







جرى تكريم شهيد القرآن الأستاذ أمين آل هاني، الذي أقيمت له مهرجانات تأبين في مختلف أنحاء المنطقة، وهو يستحق ذلك وأكثر، وكذلك الشهيد (أبو عادل) ليكون رمز العمل الإنساني في المنطقة.

نسأل الله له الرحمة والرضوان، وأن يخلف على أهله ومجتمعه بالخلف الصالح. ونرجو أن يدفع الله عن بلادنا ووطننا شرّ الأشرار وكيد الأعداء الطامعين.





23

سبتمبر



اليوم الوطني (١)

## في معنى حب الأوطان

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «عمّرت البلدان بحبّ الأوطان»<sup>(٢)</sup>.

يعبر مفهوم الوطن في مضمونه العام عن جانبين: وجداني غريزي، وآخر سياسي أخذ طريقه في التبلور مع نشوء الدولة الحديثة. لقد ارتبط مفهوم الوطن في العهود القديمة بتلك الأرض التي ولد ونشأ عليها الإنسان، ليظلّ متعلّقًا وجدانيًا بتلك الأرض مدى العمر، فلا يكاد المرء يبرح الحنين إلى داره الأولى مسقط رأسه ومربع صباه. هذا الانشداد النفسي والغريزي للوطن لا يفارق كلّ إنسان، لذلك غالبًا ما تجد أولئك الذين يفارقون أرضهم، يحتفظون بالحنين إلى مسقط رؤوسهم، على نحو يبقى مسئولياً على نفوسهم، حتى لو كانت حياتهم في أرضهم الجديدة أكثر رغداً ورفاهية. من هنا جاء قول الشاعر العربي:

كم منزل في الدهر يألفه الفتى

وحنينه أبداً لأول منزل

(١) لم تقرر الأمم المتحدة يوماً بهذا العنوان، ولكن كل دولة لها يوم وطني تحتفي به، واليوم الوطني للمملكة العربية السعودية يوافق ٢٣ سبتمبر.

(٢) تحف العقول، ص ٢٠٧.





وقال شاعر عربي آخر:

إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهم  
عهود الصّبا فيها فحنوا لذلك

### الوطن كيان سياسي

إن مفهوم الوطن في العصور المتأخرة بات مختلفاً عن مفهومه الوجداني القديم والمحدود، فقد صار مفهوم الوطن يُعبّر عن كيان سياسي قائم على ثلاث مقومات أساسية، هي: الأرض والشعب والنظام السياسي، وتبعاً لذلك أصبحت حياة ومصالح الإنسان مرتبطة بهويته الوطنية، فالعالم لم يُعدّ يعنيه النظر للهوية الثقافية والعرقية للإنسان، بقدر ما يتعامل معه على أساس من هويته الوطنية وجواز سفره. وبذلك أصبح للوطن معنى سياسي بالغ التأثير على حياة الفرد على نحو أبعد ما يكون عن الحالة الوجدانية المجردة.

وفي حين أصبح مفهوم الوطن والمواطنة في الدول الديمقراطية مفهومًا واضحًا مرتبطًا عضوياً بحقوق وواجبات المواطن، بحيث صار يدرك المواطن العادي في تلك المجتمعات ما له وما عليه، وأنه بحكم انتمائه لهذا الكيان فإن له قائمة من الحقوق، وعليه لائحة من الواجبات. بخلاف ذلك، لا يزال مفهوم الوطن والمواطنة في المجتمعات النامية، ومنها مجتمعاتنا العربية والإسلامية مفهومًا غير واضح، إذ لا يزال يبدو سائداً المفهوم القديم للوطن بمعناه الوجداني الذي قد لا يتجاوز حدود الحيّ والقرية أو المدينة، فيما يغيب عن الأذهان المعنى المرتبط بالكيان السياسي والاعتباري، المرتبط ارتباطاً وثيقاً بمختلف تفاصيل حياة الفرد.

### الهوية الوطنية والهويات الفرعية

إن مفهوم المواطنة لا يزال يحيطه الارتباك والخلل البنوي في مجتمعاتنا. وذلك نتيجة الواقع المختل أصلاً الذي يعايشه الناس. ويمكن الإشارة إلى بعض جوانب





الخلل القائم في عدة جوانب.

ومن ذلك؛ الالتباس القائم في أذهان الناس، بين الانتماء للوطن ككيان سياسي، وبين الانتماءات الفرعية الأخرى. بالنظر إلى تعدد دوائر الانتماء، فقد يكون الفرد منتمياً إلى دائرة عرقية، قومية، دينية، مذهبية قبلية، فهذه دوائر انتماء فرعي ربما انضوت تحتها فئات كبيرة من الشعب، غير أن طبيعة العلاقة بين الانتماء الوطني العام ودوائر الانتماء الفرعية لا يزال يعترها الالتباس في المجتمعات النامية.

ومن مظاهر هذا الالتباس هو اعتبار البعض أن انتماءه لهويته الفرعية، مقدمة على انتمائه الوطني، بما يقود إلى النظر إلى الوطن من خلال هويتهم الفرعية وحدها، وفي هذا إغفال تامّ وسوء تقدير لدائرة المصالح الأوثق والأكبر. وأكثر ما يتضح ذلك، حين تكون هناك أغلبية عرقية أو دينية محددة تقبض بزمام السلطة في بلد ما، فتظن حينها أن الوطن ملك لها وحدها، في حين يجري النظر للمواطنين المنتمين للأقليات الموجودة وكأنهم غرباء ليس لهم من الأمر شيء. ناهيك عن الالتباس الآخر، الذي يجري من خلاله النظر للمواطنين في الكيان السياسي الواحد من زاوية تصنيفهم وانتماءاتهم الفرعية عرقية أو قومية أو دينية.

إنّ الوطن بمفهومه السياسي الحديث لا ربط له بكل الانتماءات الفرعية للناس. ذلك أن أيّ مواطن منتمٍ للكيان السياسي فهو شريك أصيل في الأرض والوطن. بصرف النظر عن كونه جزءاً من الأغلبية أم الأقلية، وإلى أيّ قومية وعرقية أو دين انتمى، فالجميع شركاء في ملكية هذه الأرض بما فيها وما عليها من ثروات.

فلا يصح أن يصبغ الوطن المتعدد الهويات بهوية فرعية واحدة.

كما أن من الالتباس الشائع في مجتمعاتنا حول مفهوم الوطن، هو أن يجري اختزال الوطن في شخص الحاكم أو السلطة الحاكمة، وهذا خطأ محض، فالنظام والسلطة ليست إلا مقوماً واحداً من مقومات الوطن، ولا يمكن أن يختزل الوطن





فيها. هذا الالتباس قاد إلى تشكيل رؤية مشوشة عن الوطن في الأذهان، تعود في جانب منها إلى أن مفهوم الوطن هو مفهوم جديد نسبياً على مجتمعاتنا. من هنا تبرز الحاجة الماسة إلى تجلية مفهوم الوطن والمواطنة، حتى يعرف الناس حدود الحقوق التي لهم والواجبات التي عليهم.

### الاحتفاء باليوم الوطني

إن الاحتفاء باليوم الوطني لا ينبغي أن يكون مجرد مناسبة لعطلة عامة تمنح للناس. كما لا ينبغي أن يكون مجرد مناسبة للتمجيد والتبجيل، بقدر ما ينبغي أن يكون مناسبة لتجلية لمفهوم المواطنة على حقيقته، وأن يدرك الجميع أنهم شركاء في تراب وطنهم، وأنه مهما بلغ تباين الاتجاهات فيما بينهم - وهذا حقهم - فإن ذلك لا ينبغي أن يؤثر على شراكتهم القائمة على أرضهم. إن عالم اليوم لم يعد يتعامل مع الأفراد من خلال أعراقهم ودياناتهم ومذاهبهم، وإنما المعيار هو امتلاك الشخص هوية وطنية بصرف النظر عن ميوله واعتقاداته وقناعاته، لقد باتت الهوية الوطنية وحدها تساوي الاعتبار السياسي للفرد في هذا العالم.

من هنا ينبغي الاستفادة من مناسبة اليوم الوطني في تجلية هذا المفهوم، لينظر الناس إلى أوطانهم باعتبارهم شركاء أصيلين فيها، وأصحاب حقوق ثابتة وغير منتقصة، مهما اختلفت زوايا النظر لهم عند باقي شركائهم نظير مواقفهم وقناعاتهم ورؤاهم.

وبمناسبة احتفالات اليوم الوطني في المملكة، سرّني كثيراً ما لمستته من تطور في رؤية كثير من الكتّاب الصحفيين والمغردين لمفهوم المواطنة. فقد اطلعنا على الكثير من المقالات في الصحف الرسمية، إلى جانب الكثير من التغريدات عبر مواقع التواصل الاجتماعي، التي اتّسمت جميعها، وعلى نحو غير مسبوق، باهتمام لافت بمسألة الشراكة الوطنية، وحقوق المواطنة، وهذا بحدّ ذاته مكسب كبير.



## ماذا يعني حب الوطن؟

ويبقى السؤال قائماً، حول ماهية المعنى الجوهرى لـحب الوطن. وإجابة عن هذا السؤال، يلفت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الأنظار، موجهاً حب الأوطان توجيهاً مهماً، في قوله عليه السلام: «عمرت البلدان بحب الأوطان»، ومضمون ذلك بحسب قول الإمام عليه السلام إن الحب الحقيقي للوطن، هو الحب الذي يدفع باتجاه إعمار الوطن، عن طريق التنمية وأعمال الخير. إن حب الوطن ليس مجرد قصيدة تلقى، ولا نشيداً يكرر، أو علماً يرفع، كما أنه ليس أيام عطلة تعطى بمناسبة اليوم الوطني فيفرح بها البعض، وليتهم يقضون هذه العطلة في ربوع بلادهم، للاطلاع على معالمها والمشاركة ضمن برامج ومهرجانات وطنية ترسخ في النفوس الانتماء والعلاقة مع الوطن. إذ تشير الإحصاءات التي أوردتها الصحف هذه الأيام، إلى توقعات بشأن عدد السعوديين الذين سيعبرون الحدود إلى مدينة دبي وحدها لقضاء عطلة اليوم الوطني، بأن عددهم سيتجاوز ٥٠٠ ألف سائح، وأن مجموع ما سينفقه هؤلاء سيفوق ٧٠٠ مليون دولار<sup>(١)</sup>. إن حبّ الوطن لا يتحقق من خلال هذه المظاهر، وإنما يتحقق بوجود سياسة لإعمار الوطن.

## إعمار الوطن

إن التزام سياسة الإعمار والتنمية هي الركن الأكثر أهمية في التعبير عن حب الوطن. وهذا ما يدخل ضمن صميم مسؤوليات الدولة من حيث الأصل، كما أن من مسؤولية المواطنين أن يُنجحوا السياسات التنموية في بلادهم، عدا عن ذلك، لا طائل من وراء التغمي بحب الوطن في ظل غياب للسياسات التنموية والبناء الحقيقي للوطن. إن من المؤسف حقاً أن معظم بلداننا العربية والإسلامية التي حباها الله إمكانيات وثروات طائلة منذ عقود، لم تتجاوز حتى الآن مرحلة إنجاز البنية التحتية!

(١) [elaph.com/Web/news/2012/9/762801.html](http://elaph.com/Web/news/2012/9/762801.html)



فلا تزال تعاني من شح المطارات والموانئ والطرق السريعة، كما لا تزال تعاني من مشاكل حقيقية على مستوى الصحة والتعليم. فكيف يا ترى يتحقق حب الناس لأوطانهم على النحو المناسب، وهم ما يزالون محرومين من أبسط الاحتياجات والبنى التحتية التي تلبى متطلبات معيشتهم، وتحفظ كرامتهم.

### كرامة المواطن

وتشير النصوص الدينية إلى أن تعزيز حب الوطن مرتبط بحفظ الكرامة، وإعطاء المواطن حقه في وطنه. جاء في حديث مروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا خير في... الوطن إلا مع الأمن والسرور»<sup>(١)</sup>، وجاء في دعاء مروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللهم وأعطني السعة في الرزق والأمن في الوطن»<sup>(٢)</sup>. فمع تحقق الأمن والسعة في الرزق يغدو من البديهي أن تتعزز علاقة الإنسان بوطنه، فيتجاوز بذلك الحالة الغريزية في حبه لوطنه، إلى مستوى القناعة الفكرية والسلوكية.

وروي في هذا الصدد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الغنى في الغربة وطنٌ والفقر في الوطن غربة»<sup>(٣)</sup>.

من هنا، لا بُدَّ وأن تكون هناك سياسة واضحة لإعمار الوطن، بالتوازي مع ثقافة لإعمار الوطن بالمحبة. فلا خير في وطن تشيع فيه ثقافة الكراهية، وتحريض المواطنين على بعضهم. إن وطنًا تشيع فيه الكراهية لا يمكن أن يجد طريقه إلى البناء. إن من يحب الوطن فلا بُدَّ أن ينشر ثقافة المحبة بين أبناء وطنه، بغرض تحقيق التكاتف والتلاحم والوحدة، حتى لا تكون بينهم ثغرات ينفذ منها أعداء الوطن. وهذا تحديداً ما يدفع الحكومات التي تدرك حقيقة الوطن والمواطنة، باتجاه نشر ثقافة المساواة

(١) بحار الأنوار. ج ٧٤، ص ٥٨.

(٢) الشيخ الطوسي: محمد بن الحسن بن علي، مصباح المتهجد، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، (بيروت:

مؤسسة فقه الشيعة)، ص ٥٩٥.

(٣) نهج البلاغة. حكمة ٥٦.







والاندماج الوطني، ومنع أي وسيلة من وسائل التحريض بين المواطنين. ونحن في غمرة الاحتفاء بذكرى اليوم الوطني للبلاد، وإذ نجدد التذكير بمفهوم حب الوطن، باعتباره مفهوماً فطرياً إنسانياً يؤكد الشرع، نطالب بأن يتجاوز حب الوطن والولاء له، مستوى المظاهر الخارجية، إلى الاهتمام بإعمار الوطن، وبنائه وفق سياسات تنموية جادة، بالتوازي مع نشر المحبة بين أبنائه كافة ليكونوا صفاً واحداً في حماية وطنهم والدفاع عن سيادته واستقلاله.







## اليوم العالمي للمسنين

### احترام كبار السن

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [سورة الروم، الآية: ٥٤].

حياة كل إنسان تبدأ بالطفولة وتصل أخيراً إلى مرحلة الشيخوخة، وكلا المرحلتين تعبران عن حالة الضعف عند الإنسان، فالحياة الطبيعية للإنسان تنطلق من مرحلة ضعف وتنتهي إلى مرحلة ضعف، وما بينهما حالة القوة والنشاط، وهي المدة التي يستثمر فيها الإنسان وجوده، ويحدد فيها نمط حياته، ويختار فيها مستقبله.

والإنسان في مرحلة البداية يحتاج إلى رعاية تتطلبها مرحلة الطفولة، وكذلك في النهاية يحتاج إلى رعاية خاصة تقتضيها الشيخوخة، ومن المعلوم أن فرص الرعاية للإنسان في مرحلة الطفولة أوفر من فرص الرعاية في مرحلة الشيخوخة والكبر:

أولاً: في مرحلة الطفولة يكون الإنسان في أحضان العائلة، ترعاه عاطفة الأمومة والأبوة، فيغدقان على الطفل الرعاية والعناية والاهتمام، أما في مرحلة الشيخوخة والكبر، ليس هناك هذه العاطفة التي يعيش الإنسان في حضنها وفي كنفها.

ثانياً: الطفولة لها جاذبيتها التي تجتذب القلوب، أما في مرحلة كبر السن ليس





للإنسان هذه الجاذبية، بل قد يكون العكس، ففي مرحلة الشيخوخة توجد في الإنسان بعض الصفات الثقيلة على من حوله.

**ثالثاً:** في مرحلة الطفولة هناك آمال معقودة عليه، وهذه الآمال تدفع للعناية والاهتمام به، لكن الإنسان في مرحلة الشيخوخة ماذا ينتظرون منه، وقد أصبح في خريف العمر، وانتهت فرصته في هذه الحياة.

هذه الفوارق تجعل فرص الرعاية للإنسان في طفولته أوفر منها في شيخوخته، لذلك أكد الإسلام الاهتمام بالإنسان في هذه المرحلة، بحيث لا نجد مثل هذه التأكيدات في مرحلة الطفولة، وإن كان هناك توجيه بالاهتمام بالأطفال، لكن هناك تأكيداً أكبر على رعاية الإنسان في مرحلة الشيخوخة، النصوص التي تدعو للاهتمام بكبار السن كثيرة، نستعرض بعضها بمناسبة اليوم الدولي للمسنين، الذي أقرته الأمم المتحدة وهو الأول من أكتوبر من كل سنة، يكون فيه استحضار لقيمة هذه الشريحة في المجتمع وضرورة الاعتناء بها.

### احترام الكبير خلق إنساني

الاحترام لكبار السن نزعة متأصلة في ضمير الإنسان ووجدانه، وهي تعبر عن الفطرة الإنسانية الصافية القائمة على الرحمة، فالإنسان بطبعه يعطف قلبه ويتحنن على من يمر بسن الشيخوخة والعجز، حتى لو لم يجد من يوجهه لهذا الفعل، من هنا يمكننا القول إن القسوة مع كبار السن تمثل انحرافاً عن فطرة الإنسان، وبذلك نستجلب صوت إدانة للتفكك الاجتماعي، وانعدام روابط الصلة بين طبقات المجتمع، الذي تعاني منه كثير من المجتمعات، بل وصل الأمر في بعض المجتمعات الغربية إلى درجة انعدمت معه أواصر الصلة بين الأبناء والآباء، في مظاهر مرعبة، مما استدعى تدخل بعض المنظمات والمؤسسات المدنية لتحذ من خطر هذا التدهور الخطير في العلاقات الاجتماعية، وهذه حالة من الوعي تحاول استدراك أخطاء الثقافة المادية





القائمة على الأناية الفردية، ومعالجة الآثار السلبية لها على الصعيد الأخلاقي والاجتماعي، الأمر الذي يؤكد على أن طبيعة الفطرة الإنسانية النقية تدعو لاحترام الكبير، ومضافاً إلى الفطرة فإن الإنسان عادة ما ينشأ وترعرع في ظل الكبار، ويرى كونهم مصدراً للعطاء وتجارب الحياة، ولذلك يشعر بفضلهم عليه، وهذا موجب للاحترام أيضاً، هذه هي خلفية ضرورة احترام الكبار وتوقيرهم.

وفي مجتمعنا كانت هذه هي الحالة السائدة، سواء داخل الأسرة أو في المجتمع بشكل عام، فتجد الجميع يظهر كل الحب والاحترام والتقدير لكبار السن، ولكن مع الأسف الشديد بدأنا نجد بعض الحالات والمشاهد التي تنذرنا بأن هذه القيمة الأخلاقية قد تبدأ في الانحسار، فتجد الشاب المفتول العضلات يمارس عنفوانه وغطرسته أمام من هم أكبر منه سناً، بالتأكيد هذه ظواهر سلبية تمثل شذوذاً في السلوك، وانحرافاً في الأخلاق.

### احترام كبار السن

هناك نصوص تؤكد احترام كبار السن بشكل عام، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من تعظيم الله عز وجل إجلال ذي الشيبة المؤمن»<sup>(١)</sup>، فقد جعل الرسول ﷺ إجلال الشيبة مظهراً من مظاهر إجلال الله تعالى. وقال ﷺ لأئس: «وقرّ الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>، وعنه ﷺ: «من قرّ ذا شيبة لشيبته آمنه الله عز وجل من فزع يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>، وعن أمير المؤمنين علي ﷺ: «ارحم من أهلك الصغير ووقر منهم الكبير»<sup>(٤)</sup>، وعن الإمام الصادق ﷺ: «عظموا كباركم وصلوا أرحامكم»<sup>(٥)</sup> هذه

(١) الشيخ الصدوق: محمد بن علي بن بابويه القمي، ثواب الأعمال، الطبعة الخامسة ١٤٣١هـ (قم: طليعة نور)، ص ٣٣٥.

(٢) جامع أحاديث الشيعة. ج ١٦، ص ٢٣٩.

(٣) جامع أحاديث الشيعة. ج ١٦، ص ٢٣٩.

(٤) جامع أحاديث الشيعة. ج ١٦، ص ٢٤٠.

(٥) الكافي. ج ٢، ص ١٦٥، حديث ٣.





النصوص ونصوص أخرى تؤكد أهمية احترام كبار السن، ورعاية المسنين، وخاصة داخل الأسرة.

نعيش الآن في زمن أصبحنا فيه بأمس الحاجة لتأكيد هذا الموضوع، فنمط الحياة وظروف العيش قد تبدلت، وأصبح لذلك تأثير على تربية الأسرة، سابقاً كان الأب يعيش مع أولاده في بيت واحد، فإذا كبر وشاخ فهو بين أولاده، أما الآن ففي الغالب إذا كبر الوالدان يعيشان في بيت بمفردهما، وقد لا تتوفر لهما الرعاية المطلوبة، وإذا توفر لبعضهم إمكانات استعانوا بشغال أو شغالة للاهتمام بهما، ومن المؤكد أن حاجة الكبار ليس فقط حاجة مادية، فالكبير يريد أن يشعر بقيمته واحترامه، لذلك على الأسرة أن تبذل ما تستطيع من جهد لرعاية الوالدين، وكيفينا ما قال الخالق تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٢٣] إننا بحاجة لتأكيد ضرورة اهتمام الأسرة بالوالدين وذلك:

**أولاً:** وفاءً لهما لما بذلاه من جهد في رعاية الأولاد، فمن باب ردّ الدين على أقل تقدير، يجب الوفاء لهم عند حاجتهم للمعونة والمساعدة المادية والمعنوية.

**ثانياً:** أن في ذلك ضماناً لمستقبلك لأنك ستصل إلى هذه المرحلة التي وصل لها والدك، فإذا قمت بواجب الرعاية تجاههما فإن الله سبحانه يهيء لك من يقوم برعايتك عند شيخوختك، ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «بروا آبائكم يبركم أبناءكم»<sup>(١)</sup> وهذا أمر واقعي، فحينما يرى الولد أن الأب يقبل يد وجبين والده، ويهتم به ويرعاه، تنغرس في نفس الولد هذه العادات.

**ثالثاً:** ما يرجوه الإنسان من ثواب الله كما تحدثت عنه النصوص.

(١) الكافي. ج ٥، ص ٥٥٤، حديث ٥.





## البرامج الاجتماعية لرعاية المسنين

نحتاج إلى ثقافة عامة في المجتمع، تهتم باحترام كبار السن بوصفهم شريحة مهمة، وقد تتمظهر هذه الثقافة بمظاهر متعددة حسب اختلاف العادات والتقاليد.

كم هو جميل أن ترى الشباب يبادرون لاحترام الكبير عندما يدخل إلى مجلس، أو حينما يمشي في الشارع، أو حينما يحتاج إلى مساعدة، هذا الاحترام إذا تأكد في المجتمع فإنه يعني الحيوية الاجتماعية، ويعني الضمان لمستقبل الأجيال القادمة.

إن التحقيقات تشير إلى أن عدد المسنين قد ازداد في العالم، ويتوقعون في سنة ٢٠٥٠ أن يصبح عدد المسنين في العالم أكثر من الأطفال؛ لأن الرعاية الصحية تحسنت، وقلت نسبة الوفيات، فازداد عدد المسنين، وفي سنة ٢٠١٠ بلغ عدد المسنين في العالم ما يزيد على ٦٠٠ مليون إنسان، وكل هذه الأعداد تحتاج إلى رعاية واهتمام، مما يحتم وجود مؤسسات تهتم بذلك على مستوى الحاجات المادية والمعنوية، لكي لا يشعر المسنون بالعزلة.

ومن الملاحظ في مجتمعاتنا وجود ثقافة تحجّم دور كبار السن، وقد يحكم البعض على نفسه أنه أصبح كبيراً، وانتهى دوره بمجرد بلوغه سن التقاعد، وهذه ثقافة خاطئة، فالإنسان بمقدار ما يتحرك تكون له فاعلية، ويكون وضعه أفضل، لذلك قالوا إن المسألة ليست إضافة سنوات للحياة، وإنما الأهم إضافة حياة للسنوات، في البلدان الأخرى ترى كبار السن يمارسون الرياضة أول الصباح في الحدائق وكأنهم شباب في مرحلة الحيوية والنشاط، فيمكن الإنسان أن يثري المجتمع بحيويته ولا يحكم على نفسه بالنهاية؛ لأنه صاحب تجارب وخبرة، وعنده نفوذ في نفوس أبنائه ومن حوله، والمجتمع عليه أن يتيح الفرص لمثل هؤلاء، بأن تكون هناك مؤسسات تستوعب هذه الشريحة، والحمد لله في بلداننا المجالس الدينية والمناسبات الاجتماعية صارت متنفساً للكبار من الرجال والنساء، لكن هذا وحده لا يكفي،





يجب أن تكون هناك مؤسسات لحفظ لحقوقهم وتوفير احتياجاتهم، فينبغي أن نهتم بهذا الأمر ونحوه إلى ثقافة وبرامج في المجتمع .

### رعاية المسنين وتوقيرهم

حين يتقدم العمر بالإنسان غالباً ما تكون قواه معرضة للضعف والعجز، وكذلك قدراته الذهنية قد تتأثر بكبر سنه، فيفقد الكثير من ذاكرته، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾.

كما أن أحاسيسه ومشاعره النفسية تصبح مرهفة، تتأثر بأدنى الأسباب، وهنا يكون في حاجة ماسة إلى العناية والرعاية في البعدين: الجسمي والنفسي.

بالطبع إن العناية بالإنسان في مرحلة كبره وعجزه يكتنفها العناء والمشقة، فهي تختلف عن رعاية الطفل الصغير، فالأم والأسرة - بصورة عامة - ترعى طفلها في أجواء من البهجة والسرور، لأنها تتطلع إلى مستقبله وتعدّد عليه الآمال، والأمر ليس كذلك بالنسبة إلى الكبير في السن، ففي النظرة الأولية يصبح عبئاً على من حوله والمحيطين به، لذلك فإن من يقوم برعاية المسن يحتاج إلى حافز ذاتي كبير، وفي الحياة المعاصرة تبدو المهمة أكثر إلحاحاً، وذلك لعدة أسباب:

### أولاً: زيادة عدد المسنين

مع تقدم وسائل الرعاية الصحية وتطور الحياة، ارتفع معدل عمر الإنسان، وخاصة في المجتمعات المتقدمة، أو التي يتمتع أبناؤها برعاية صحية.

قديمًا كان الشخص الذي يتخطى الأربعين من عمره، يُصنّف في الجيل الثالث، جيل الشيوخ الذين قد يُستفاد في أحسن الأحوال من حكمتهم وحلمهم، لكن الاستفادة من عملهم ونشاطهم المهني وخبرتهم العملية وقدراتهم الجسدية يكون خارج التوقع غالبًا.







لكنه في أواسط القرن العشرين، اتَّفِق في كثير من دول العالم على تحديد سن التقاعد عند الستين.

أما اليوم فقد رفعت كثير من الدول سن التقاعد إلى الخامسة والستين، فيما أُعفيت بعض المهن، كالفنون والبحث العلمي والتعليم الجامعي، من هذا الحدِّ العمري. كما أن بلوغ سن الثمانين أصبح أمرًا لا يثير الدهشة والاستغراب، بل في بعض البلدان المتقدمة هناك أعداد متزايدة ممن تخطوا المئة عام.

### ثانيًا: انشغالات أفراد الأسرة

فالحياة الحاضرة ينشغل فيها الأفراد بالتزامات واهتمامات مختلفة، من تعليم وعمل وظيفي، ومتابعة لشؤون المنزل، وبرامج رياضية وترفيهية واجتماعية. كل ذلك قد يكون على حساب الاهتمام بالوالدين المسنين.

### ثالثًا: النزعة الأنانية

حيث يتضخم اهتمام الفرد بذاته، وتضعف عنده النوازع الإنسانية الأخلاقية. في الماضي كانت العائلة الكبيرة تعيش في منزل واحد، أما اليوم فقد أصبح لكل فرد منزله الخاص مع زوجته وأسرته الصغيرة، وأصبح المسنون يعانون من الإهمال وقلة العناية اللازمة في مختلف المجتمعات الإنسانية.

«إن إساءة معاملة كبار السن تُعد إحدى المشكلات العالمية الموجودة بالبلدان النامية والمتقدمة على حد سواء، حيث إنه خلال عام ٢٠١٧م، تعرض ١٥,٧٪ من كبار السن في العالم لأحد أشكال سوء المعاملة، حسبما تشير دراسة شملت ٢٨ دولة من مناطق مختلفة بالعالم».

مما دفع الأمم المتحدة إلى إعلان اليوم العالمي للمسنين وذلك يوم (١/ أكتوبر) من كل عام.





## أوضاع المسنين في المجتمعات الإسلامية

مع اهتمام مجتمعاتنا الإسلامية بالتعاليم الدينية والأعراف والتقاليد الاجتماعية، إلا أن هناك مؤشرات خطيرة لحالات من الإهمال للمسنين.

فقد أظهرت دراسة في المملكة العربية السعودية نفذها المركز الوطني لاستطلاعات الرأي العام، التابع لمركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، أن الكبار في السن يتعرضون إلى إساءات مختلفة، خصوصاً داخل المحيط الأسري، على الرغم مما يحظى به كبار السن من مكانة خاصة في المملكة.

وحملت نتائج الاستطلاع الذي جرى بالتعاون مع برنامج الأمان الأسري الوطني، بعض المعلومات التي شكلت صدمة للكثيرين، إذ أشار (١٩٪) من عينة الاستطلاع إلى أن كبار السن في المجتمع السعودي يتعرضون إلى الإيذاء الجسدي، وذهب (٤٤٪) لتأكيد تعرض الكبار للإيذاء النفسي.

وعلى صعيد الإساءة التي يتعرض لها كبار السن من جانب بعض الأسر، قال (٤٨٪) من عينة الدراسة إن المحيطين بكبير السن يستأثرون من كثرة شكواه وتدمره، فيما أكد (٤٣٪) منهم أن من يحيط بكبار السن لا يلتزم مواعيدهم الطيبة، ولا إعطائهم الأدوية في أوقاتها المحددة.

وعلى غير المتوقع، اتفق (٦١٪) من عينة الاستطلاع على أن كبار السن يعانون عدم الاهتمام بالنظافة الشخصية والغذاء الصحي، وهي مشكلة كبرى يتحمل عبئها المحيطون بكبار السن.

وقالت نسبة عالية من أفراد العينة بلغت (٨١٪) إن خدمة كبار السن في المجتمع السعودي تتم من خلال الاعتماد على العمالة المنزلية فقط.

في تعليقه على نتائج الاستطلاع، قال المدير التنفيذي للجمعية السعودية لمساندة كبار السن (وقار) عبدالعزيز الهدلق: «إن الإساءات التي يتعرض لها بعض كبار السن،





خصوصًا من بعض المحيطين بهم، تبرز الحاجة الماسة للحملات التوعوية التي تنظمها الجمعية، والمحاضرات التي تُقام بين فترة وأخرى، لإرشاد الأسر لكيفية التعامل الصحيح مع كبار السن، لأن تقدم السن يرتبط في بعض التصرفات التي قد يراها البعض مزعجة، لكنها في حال كبار السن تبدو طبيعية، فقط تحتاج لكثير من التفهم، كي تمضي الأمور بصورة عادية»<sup>(١)</sup>.

### التغيرات المصاحبة لتقدم عمر الإنسان

مع تقدم سن الإنسان غالبًا ما تحصل له تغيرات فسيولوجية: منها، ضعف وظائف القلب والأوعية الدموية، وضعف الجهاز التنفسي، ووظائف الرئة، وكذلك ضعف الخواص الحسية، وزيادة مشاكل ضعف السمع والبصر، وكذلك قد يصاب بضعف الذاكرة.

وهناك التغيرات النفسية: التي تصيب المسن بسبب عدم قدرته على التكيف مع وضعه الجديد فعادة ما يشعر باليأس من الحياة، وبالوحدة والانزلال وقد تتطور حالته إلى الاكتئاب، وأحيانًا يحدث انفصام عقلي يصعب على المسنّ فيه الاندماج بالواقع.

وقد يتعرض لضعف وظائف الجسم الحيوية: وفقدان الكثير من أجهزة الجسم خصائصها الطبيعية، لذلك يصبح كبار السن أكثر عرضة للأمراض من غيرهم من الفئات العمرية، ومنها مرض الزهايمر، ويعتبر نموذجًا من الخرف الأكثر شيوعًا بين كبار السن.

### دور الأسرة

ينبغي على كل أسرة أن توصي أفرادها بالاهتمام بالمسنين وأن يتنافسوا على خدمتهم وتوقيرهم، وتوفير احتياجاتهم المادية، واحاطتهم بالاحترام والرعاية

(١) جريدة الحياة ١٥ يونيو ٢٠١٩م.





العاطفية، إن الأولاد بنين وبنات وجميع أفراد الأسرة يجب أن يتحملوا المسؤولية تجاه الوالدين والمسنين في العائلة، لا أن يتواكل بعضهم على بعض، فالله سبحانه وتعالى يؤكد على هذا الواجب إلى جانب عبادته وتوحيده، يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣-٢٤].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): لو علم الله شيئاً هو أدنى من أف لنهى عنه وهو من أدنى العقوق<sup>(١)</sup>.

وعن أبي ولّاد الحنّاط قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ما هذا الاحسان؟

فقال: الإحسان أن تحسن صحبتهم وأن لا تكلفهما أن يسألك شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين<sup>(٢)</sup>.

وجاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من عرف فضل شيخ كبير فوفره لسنه آمنه الله من فزع يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

عن أنس: أوصاني (صلى الله عليه وآله): «ووفر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة»<sup>(٤)</sup>.

وعنه (صلى الله عليه وآله): «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا»<sup>(٥)</sup>.

(١) الكافي. ج ٢، ص ٣٤٩، حديث ٧

(٢) الكافي. ج ٢، ص ١٥٧، باب البر بالوالدين حديث ١.

(٣) بحار الأنوار. ج ٧٢، ص ١٣٧، حديث ٣.

(٤) بحار الأنوار. ج ٧٢، ص ١٣٧، حديث ٤.

(٥) الترمذي: محمد بن عيسى، سنن الترمذي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)،

ج ٣، ص ٧٣، ١٩١٩.





## الدور الاجتماعي

على المستوى الاجتماعي ينبغي السعي لإيجاد مؤسسات تعنى بهذه الشريحة من المجتمع، ومن التجارب الرائدة «الجمعية السعودية لمساندة كبار السن (وقار)». وهي جمعية خيرية مسجلة في وزارة العمل والتنمية الاجتماعية، تأسست عام ١٤٣٧هـ، وتهدف لمساندة كبار السن ودعم حقوقهم، ورفع مستوى الاهتمام بمكانتهم ودورهم في المجتمع.

ومن الممكن تأسيس لجان في الجمعيات الخيرية والأندية الرياضية تهتم بأوضاع كبار السن.

## رعاية الوالدين في الكبر

في المجال المادّي يبحث الإنسان عن فرص الربح والاستثمار، ويغامر من أجل الحصول على ما يحقق له أعلى العوائد. فمتى ما سمع عن فرصة استثمارية في مكان ما، أو مشروع ما، يحقق له ربحًا كبيرًا، فإنه يبادر على الفور لاقتناص الفرصة، حتى لو كلفه ذلك عناءً وتعبًا، وهذا شيء معقول ومقبول.

لكن على الإنسان ألا يُغفل جانب الاستثمار المعنوي، بل عليه أن يسعى لكسب ثوابه وآثاره. ومن خلال استعراض النصوص الدينية، فإنه ليس هناك فرصة للربح المعنوي، والاستثمار القيمي، أفضل من العناية بالوالدين، وخاصة في فترة الكبر والعجز.

حينما يبلغ الوالدان أو أحدهما مرحلة الشيخوخة والعجز، فهذا يعني أن أولادهما أمام أفضل فرصة للاستثمار المعنوي. على الإنسان أن ينظر الى هذه الحالة أنها نعمة ساقها الله إليه، وتوفيق قد أتيح له، لا أن يتعامل معها - كما هو الحال عند البعض - على أنها بلاء ومحنة، قد تورّط بها، حتى يصل الأمر به إلى أن يبدي تدمّره ويشكو حاله للناس! هذا سوء تقدير لفرصة استثمارية عظيمة.





بالطبع فإن أحدًا لا يتمنى أن يكون والداه عاجزين، بل يتمنى لهما الصحة والقوة طول حياتهما، أما إذا حصل ذلك، فهي فرصة عظيمة للربح والكسب المعنوي، ويتجلى ذلك من خلال النقاط التالية:

### تعزير وتنمية كمال الإنسان الأخلاقي

ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «برّ الوالدين من أكرم الطباع»<sup>(١)</sup>. لا شيء يكشف عن تقدم وجدان الإنسان، وسموّه الأخلاقي، مثل عنايته بوالديه. وإذا كان الإنسان متقدّمًا في مجالات أخرى، بينما هو متأخر في هذا المجال، فإن تقدمه في المجالات الأخرى يُعدّ تقدّمًا زائفًا.

تنقل كتب التراث العربي قصة رجل كان يحب زوجته حبًّا شديدًا. وذات يوم جاء لها بشيء ثمين يريد أن يظهر به حبه، وفي طريقه إلى غرفتها صادف أمه، فأخفى الشيء تحت عباءته. وحين جاء به إلى زوجته، وكانت قد لمحت فعله، سألته لماذا فعلت ذلك؟ فقال: حتى لا تراه أمي فترغب فيه، وقد خصّصته لك. قالت: إذا لست لي زوجًا! فتعجّب من أمرها! قالت: إذا كنت مع أمك، ومع كلّ ما عانت من أجلك، من الحمل والرضاعة والولادة والتربية، ومع ذلك تتعامل معها بهذه النفسية، فكيف أمل أن تكون مخلصًا لي في الكبر، وأنا مهما أكون لن أحسن إليك مثل إحسان أمك؟ هذا هو التقويم السليم. فبرّ الوالدين يعكس نفسية الإنسان ومستوى أخلاقه مع الآخرين.

### الثواب الجزيل من الله تعالى

الأعمال التي يقوم بها الإنسان المتديّن، من صلاة، وصوم، وحج، وصدقة، وزيارة، وغيرها، إنما يؤديها لنيل رضى الله واستحقاق ثوبته، إذا كان هذا غاية مناه، فليس هناك ثواب أعظم ولا أجزل عند الله من برّ الوالدين.

(١) بحار الأنوار. ج ٧٤، ص ٢١٢.





النصوص تدلّ على أفضلية وألوية الاهتمام بالوالدين حتى على الجهاد في سبيل الله، رغم ما يعنيه من التضحية بالنفس، والجود بالنفس أقصى غاية الجود. جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أردت الغزو وجئتك أستشيرك، فقال ﷺ: «فهل لك من أم؟» قال: نعم، قال: «فالزمها فإن الجنة عند رجليها»<sup>(١)</sup>. من كان يريد ثواب الله ورضاه، فليس هناك مورد لنيل الثواب أعظم من رعاية الوالدين.

### كسب التوفيق في الحياة

برّ الوالدين يؤهل الإنسان لتوفيق الله تعالى له في شؤون حياته، والنصوص تشير إلى أنه يطيل في العمر، ويوسع في الرزق، والأهم من ذلك أنه سبب أساس لصلاح الذرية وبرّهم، كما ورد عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «برّوا آباءكم تبرّكم أبناءكم»<sup>(٢)</sup>. نحتاج دائماً إلى التذكير ببرّ الوالدين، خاصة في هذا العصر، حيث غلبت الاهتمامات المادية، وإهمال كثير من القيم الأخلاقية. فهناك من يجحد فضل والديه، ولا يبرّ بهما، وهناك من يتهرّب من تحمّل المسؤولية، ويوكلها إلى إخوته! وكأنه زاهد في نيل المثوبة، فلا ينافس في كسب أجرها. ورد عن عليّ (عليه السلام): «لا يقولن أحدكم إن أحداً أولى بفعل الخير مني فيكون والله كذلك»<sup>(٣)</sup>.

وفي بعض الحالات السلبية تجد بعض الأبناء عند كبر آبائهم ينقلونهم إلى دار العجزة وينسونهم. نعم إذا كان ذلك من أجل العلاج والرعاية الصحية، من غير إهمال من جانب الابن في التواصل، فلا بأس، أما إذا كان لغرض التهرب من الخدمة، فهذا تفويت لفرصة استثمارية قيمة كبيرة، وهو جحود وتجاوز لأعظم حق على الإنسان.

(١) تفسير ابن كثير. ج ٣، ص ٣٨.

(٢) الكافي. ج ٥، ص ٥٥٤.

(٣) نهج البلاغة. حكمة ٤٢٢.





وقد نشرت الصحافة المحلية اليوم الجمعة ٢٣ / ٨ / ٢٠١٣ م خبراً فظيماً عن امرأة خمسينية أحضرها ابنها لقسم الإسعاف والطوارئ بمجمع الأمل «نساء» وتركها في صالة الانتظار، ولاحظتها العاملات في القسم وهي جالسة وحيدة، وعندما جئنا أخبرتهن بأن ابنها أحضرها وتركها في هذا المكان، وليس لديها ما يثبت هويتها، لكن بعض أعضاء الفريق المعالج تعرفوا عليها، حيث إن المريضة تعتبر من الحالات المزمنة المعروفة بالمجمع ومشخصة بحالة «فصام وجداني ثنائي القطب».

وعلى الفور شرعت ممرضات القسم بتقديم الرعاية التمريضية اللازمة، وتقديم العلاج لها، من واقع ملفها الطبي، بالرغم من رفض المريضة التنويم بقسم الملاحظة بالطوارئ، مرددة بأن ابنها سيأتي إليها لأخذها، وكانت في حالة قلق وتوتر مستمر خوفاً من عدم حضوره، وكانت تطلب من العاملات الاتصال بابنها لكي يحضر لأخذها، وهي تبكي وتتألم نفسياً بسبب تركه لها، وعدم سؤاله عنها، ولسان حالها يقول: «ما الذي حوّل قلب ابني عليّ حجراً؟» وبالفعل تم الاتصال بولدها، وبعد عدة محاولات ردّ عليهم، ووعدهم بالحضور بعد نهاية الاختبار في الفترة المسائية لكنه لم يحضر!

وفي صباح اليوم التالي لاحظت الممرضات تغييراً في حالة المريضة الصحية، وتم إعلان الشفرة الزرقاء (code blue) والبدء في عمل الإنعاش القلبي الرئوي لها دون أن تكون هناك استجابة، فتم الإعلان عن الوفاة من قبل الطبيب الاستشاري المختص نتيجة هبوط حادّ بالدورة الدموية والقلب<sup>(١)</sup>.

### التأكيد على برّ الوالدين

يؤكد الله تعالى أهمية برّ الوالدين بقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ ۖ أَيُّ أَمْرٍ أَمْرًا مَّحْكَمًا مَّحْسُومًا. ﴿١٠٠﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، فهو قرين التوحيد،

(١) جريدة عكاظ العدد ٤٤٥٠ الصادر بتاريخ الجمعة ١٦ / ١٠ / ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٣ أغسطس ٢٠١٣ م.







ورتبة ثانية بعده مباشرة، كما أنه تعالى لم يُحدّد مجالاً من مجالات الإحسان، بل جعله رصيذاً مفتوحاً لهما. ولا يقتصر الأمر على الوالدين المؤمنين فقط، بل حتى لو كانا مشركين يقول تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾. ثم تؤكد الآية الكريمة أهمية مرحلة الكبر والضعف عند الوالدين وأهمية رعايتهما فيها: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ﴾ أي ما يؤذي النفس من إظهار التضجر، كما لا يجوز إظهار الغضب ورفع الصوت عليهما: ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾، عليك بلين القول، وأفضل الخطاب: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، وإذا احتجاك لرعاية خاصة نتيجة كبر السن فلا تتأفف من ذلك، بل تواضع في خدمتهما: ﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾.

وتستفيض النصوص الدينية حول تأكيد أهمية برّ الوالدين. حيث ورد عن رسول الله ﷺ: «يقال للعاق: اعمل ما شئت من الطاعة فاني لا أغفر لك»<sup>(١)</sup>، كما أن الشرك بالله سبحانه وتعالى لا يغفر، كذلك برّ الوالدين وهو رتبة ثانية بعد التوحيد، فإن التهاون فيه لا يغتفر. ورد عن رسول الله ﷺ: «اثنان يعجلهما الله في الدنيا: البغي وعقوق الوالدين»<sup>(٢)</sup>. وعنه ﷺ: «من أحزن والديه فقد عقّهما»<sup>(٣)</sup>. هذا يلفت أنظارنا إلى أن العقوق درجات، فحتى الأثر النفسي السلبي الذي تتركه في قلب الوالدين يُعدّ عقوقاً.

علينا أن نهتم بهذا الأمر، ونوجه أبناءنا إليه. فبعض أبناءنا الشباب يقومون بواجب زوجاتهم وأبنائهم، يلبون طلباتهم، يذهبون معهم إلى أماكن الترفيه، لكنهم لا يقومون بأدنى شيء من هذا لوالديهم!

وعلينا أن نذكر بأن برّ الوالدين لا ينقطع بوفاة الوالدين، بل يستمر ما بقي الإنسان،

(١) كنز العمال. ج ١٦، ص ٤٧٦.

(٢) كشف الخفاء. ج ١، ص ٤٧.

(٣) كنز العمال. ج ١٦، ص ٤٧٨.





وذلك بالدعاء لهما، والصدقة وعمل الخير نيابة عنهما.

### عقوق الأبناء أكبر صدمة

وكما أنّ برّ الأبناء بالوالدين يمثل أكبر سعادة، فإنّ عقوقهما يمثل أكبر صدمة لهما في الحياة، فقد يتحلّى المرء بقدرة أفضل تجاه تحمّل خسارة المال، أو الإصابة بالمرض، أو عداوة أيّ أحد، بخلاف مواجهة عقوق الأبناء، ذلك لأنّ حالة العقوق تشعر الوالدين بغياب قيمة الحبّ، وانعدام المشاعر الإنسانية، التي يفترض أن يكون البرّ بالوالدين أهمّ مواقعها، فإذا ما فقدت في هذا الموقع، فعندها لا يعود لهذه المشاعر قيمة عند الإنسان. كما يدفع العقوق بالوالدين إلى معاناة ضياع جهدهما، وثمره حيثهما، في تربية الأبناء، بعد أن كانا يعملان عليها طوال عمرهما، فلما جاء وقت قطاف الثمار، فإذا بهما يجابهان بعقوق الأبناء، فحقّ لهما عندها أن يشعرا بأنّهما خسرا كلّ شيء، وأنّ عمرهما ضاع هدرًا.

من هنا جاء التشديد في النصوص الدينية على بشاعة عقوق الوالدين، لما في ذلك من تأثير مدمر على نفسيهما. وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «يُقَالُ لِلْعَاقِّ: اِعْمَلْ مَا شِئْتَ مِنَ الطَّاعَةِ فَإِنِّي لَا أَعْفِرُ لَكَ»<sup>(١)</sup>، إنّ عقوق الوالدين كالجريمة التي لا يعود معها أدنى قيمة لأيّ عبادة يتقرب بها المرء لخالقه. وورد عنه ﷺ أنه قال: «ثَلَاثَةٌ مِنَ الذُّنُوبِ تُعَجَّلُ عُقُوبَتُهَا وَلَا تُؤَخَّرُ إِلَى الْآخِرَةِ: عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ...»<sup>(٢)</sup>، إنّ عقوبة العاقّ بوالديه تعدّ من العقوبات العاجلة التي يرتطم بها العاقّ في الدنيا قبل الآخرة، بصرف النظر عن شكل العقوبة المتوقعة وزمانها. وجاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ أَصْبَحَ مُسْخِطًا لِأَبَوَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ إِلَى النَّارِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٨٠، حديث ٨٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٢٧٥، حديث ٥.

(٣) النراقي: محمد مهدي. جامع السعادات، ج ٢، الطبعة السابعة ١٤٢٢ هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ص ٢٦٢.





## اليوم العالمي للاعنف

### حرمة الأديان وحرمة الإنسان

ورد في خطبة رسول الله ﷺ في منى في حجة الوداع أنه قال: «أيّ يوم أعظم حرمة؟ قالوا: هذا اليوم، قال: فأيّ شهر أعظم حرمة؟ قالوا: هذا الشهر قال: فأيّ بلدة أعظم حرمة؟ قالوا: هذه البلدة، قال: فإنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه فيسألکم عن أعمالکم، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم»<sup>(١)</sup>.

حين يرتبط الإنسان بعقيدة دينية، فإنّها تحظى بأعظم قداسة واحترام في نفسه، فالدين بالنسبة للمؤمنين يمثل الحقّ المطلق، والقيمة العليا، من هنا تنبع قداسة الدين وتعظيمه.

وتتجسّد العقيدة الدينية في الرموز والمعالم. التي قد تكون مكاناً، أو زماناً، أو شعيرة، أو شخصية تضافى عليها القداسة، وهذا ما ينطبق على كلّ الأديان، ففي كلّ دين هناك رموز مقدّسة، تأخذ قداستها من قداسة الدين نفسه، إن الإنسان المتمدّن يحترم رموزه الدينية ويقدّسها، انطلاقاً من احترامه وتقديسه لدينه، وهذا أمر واضح وجليّ بين أبناء البشر.

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٩٣، حديث ٥١٥١.





## أعظم حرمة من الكعبة

ولأنّ الإسلام أولى اهتمامًا عظيمًا بحرمة الإنسان وقيّمته في هذه الحياة، جعل احترام الإنسان حالة موازية لاحترام الدين، فبقدر ما يكنّ المسلم من عظيم احترام لدينه، فإنه مطالب بذات القدر بإظهار الاحترام لنظيره الإنسان.

فالمسلم الذي لا يحترم أخاه الإنسان، فإنّ احترامه لدينه مشكوك فيه. ذلك لأنّ الإسلام جعل هنالك علاقة وثيقة بين الأمرين، وارتباطاً عضوياً بين حرمة الدين وحرمة البشر. ومن شاء التفكيك بينهما فهذا أبعد ما يكون عن المصادقية في احترامه لدينه.

وإذا ما أراد المؤمن أن يظهر مقدار حرمة الخالق جلّ وعلا في نفسه، فإنه مطالب بالقدر نفسه بإظهار اهتمامه ورعايته لحرمة عبادته، على اختلاف مراتب العلاقة بهم، من الوالدين، والأسرة، والجيران، والأصدقاء، والمعارف، والآخرين. فأن تشكر الله سبحانه على نعمة من النعم، فذلك ما يستوجب أن تشكر بالقدر نفسه من يحسن إليك من عبادته، وقد ورد عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزّ وجلّ»<sup>(١)</sup>، وبذلك يكون شكر الخالق عزّ وجلّ بموازاة شكر المخلوقين دون مواربة.

إنّ هناك نصوصاً دينية كثيرة، تربط على نحو وثيق بين حرمة الدين وحرمة البشر. فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله في تعريفه للفرد المسلم، أنه قال «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده»<sup>(٢)</sup>، إنّ الفرد المسلم لا يكون مسلماً حقاً ما لم يرعَ حقوق نظرائه من بني البشر، فإذا ما ادّعى التدين، في حين راح يعتدى على الآخرين بلسانه، يتهمهم، ويفتري عليهم، ويستغيبهم، ويُسهر بهم، فهذا ليس من الإسلام في شيء. وفي رواية

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج ١٣، ص ٥٣٨، حديث ١٥٤٦.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٣٧٩.





بهذا المعنى، يشير الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى أن الله قد يسامح عباده فيما يتعلق به تعالى من حقوق، لكنه سبحانه ليس في وارد إغفال محاسبة العباد على إساءتهم واعتدائهم على حقوق الآخرين، حيث قال عليه السلام: «... وأما الظلم الذي لا يترك ظلم العباد بعضهم لبعض»<sup>(١)</sup>، وقال عليه السلام: «من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده»<sup>(٢)</sup>، وعباد الله الوارد ذكرها في الرواية عامة، تشمل الجميع، بدءاً من الزوجة والأولاد، وصولاً إلى جيرانه، وكل من يتعامل معهم في حياته اليومية. وبعبارة أخرى؛ إنّ عباد الله هم كلّ الناس بمختلف أصنافهم، فمتى ما عمد المرء إلى ظلم أحدٍ، فكأنما اعتدى على الله جلّت قدرته، وبذلك يكون الله خصمه الأول يوم القيامة. وهذا مصداق واضح لمدى الارتباط العميق بين حرمة الدين وحرمة البشر.

وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وآله حيث كان يطوف بالكعبة ويخاطبها قائلاً: «مَا أَطْيَبَكَ وَأَطْيَبَ رِيحَكَ أَمَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لِحُرْمَةِ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكَ، مَالِهِ وَدَمِهِ وَأَنْ نَظُنُّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا»<sup>(٣)</sup>، إنّ حرمة الإنسان أعظم من حرمة الكعبة، على الرغم من عظم شأنها ومكانتها وقدسيتها، بل إنّ من يسيء للكعبة ربما كان أقرب للمغفرة والتجاوز، منه إذا أساء لأحدٍ من الناس، فالإساءة للناس أعظم وأشدّ عند الله سبحانه.

### حرمة الدم والمال والشخصية الاعتبارية

إنّ لحرمة المؤمن في الشريعة معايير ومحددات لا ينبغي تجاوزها بأيّ حال. وقد أوضح النبي صلى الله عليه وآله هذه المحددات في قوله: «ماله ودمه وأن يظن به إلا خيراً»، فلا يجوز بأيّ حال الاعتداء على الأموال أو الأنفس، ولا النيل من القيمة المعنوية للآخرين، من خلال إساءة الظن بهم جزافاً.

(١) نهج البلاغة. خطبة ١٧٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٣٥٠، حكمة ٩٣٩.

(٣) سنن ابن ماجه، حديث ٣٩٣٠.





إنّ الأمة الإسلامية في عصرنا الراهن، أحوج ما تكون لإدراك القيم الدينية العالية، إزاء مراعاة حرّيات البشر. خاصة في ظلّ الانتهاكات الصارخة التي تعجّ بها ساحاتها. إنّ هذه الأمة التي يسطر نبيها هذه المفاهيم العظيمة المتعلقة بحرّية الناس، بات يُعتدى فيها على الناس نهارًا جهارًا، وصارت الدماء المحرّمة تسفك في ساحاتها اعتباطًا، حتى إنّ المرء ليتساءل في نفسه، ما إذا كانت هذه حقًّا أمة الإسلام، وهل هذه هي الأمة التي تتلو القرآن الكريم وتردد أحاديث النبي ﷺ؟ كيف تحولت إلى بؤرة ترتكب فيها أبشع الفظائع، من قطع الرؤوس وسبي النساء، ومجازر تسفك فيها الدماء، وتنتهك الأعراض، حتى لا يكاد يمرّ يوم دون تفجيرات انتحارية تحصد مدنيين أبرياء.

### في اليوم العالمي للاعنف

ما أحرى بالمسلمين أن يكونوا روادًا في منهجية اللاعنف. سيّما والعالم يحتفي هذه الأيام باليوم العالمي للاعنف، المصادف للثاني من أكتوبر، الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ٢٠٠٧، وهو اليوم المصادف لذكرى ميلاد الزعيم الهندي المهاتما غاندي، رائد فلسفة اللاعنف. أوليس الأحرى بنا كمسلمين أن يرتبط شعار اللاعنف بتاريخنا؟! وأن يكون اللاعنف مجسّدًا في حياتنا وواقعنا؟!

إنّ من المشروع لكلّ فئة أن يكون لها تطلّعاتها، لكن ذلك لا ينبغي ولا يجوز أن يكون من خلال التوسّل بالاعنف، وارتكاب المجازر والتفجيرات الانتحارية، فهذه الأساليب الدموية ليست من المشروعية في شيء.

### أسباب وعوامل

لقد ساهمت عوامل وأسباب عديدة في تحويل الأمة الإسلامية إلى السّاحة الأشدّ عنفًا بين الأمم. وفي طليعة تلك العوامل:

١. استفحال الأنظمة القمعية التي توالى على شعوب الأمة عبر تاريخها الطويل،





وإلى وقتنا الراهن، لقد ساهمت الأنظمة في توليد وتنمية حالة العنف في المجتمعات الإسلامية.

٢. دور الحكومات الأجنبية إبان مرحلة الاستعمار التي اجتاحت البلاد الإسلامية، ولا تزال آثارها متمثلة في الاحتلال الصهيوني لفلسطين، الذي يذيق شعبها الهوان والإذلال، وهذا ما قاد إلى بروز ردود فعل أنتجت قدرًا من العنف.

٣. التفسير العنفي للدين. فقد نشأت مدرسة في أوساط المسلمين تعتمد في تفسيرها لأحكام الدين وتعاليمه على قاعدة عنفية، وتشجع على ممارسة العنف، باسم الدين وتحت شعار الإسلام، وهذا هو الأمر الأشد والأخطر الذي تعاني منه الأمة الإسلامية اليوم.







10  
أكتوبر



## اليوم العالمي للصحة النفسية

### الصحة النفسية مسؤولية الدولة والمجتمع

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام انه: «ألا وان من البلاء الفاقة واشد من الفاقة مرض البدن، واشد من مرض البدن مرض القلب»<sup>(١)</sup>.

هناك علاقة متبادلة بين صحة الجسم وصحة النفس، فمرض أحدهما يؤثر في الآخر، وصحة أحدهما تنفع الآخر. لكننا إذا أردنا معرفة أيهما أشد خطرًا على الإنسان فستكون تلك أمراض النفس دون شك؛ لأن أمراض النفس قد تدفع الإنسان إلى المشاكل وارتكاب الأخطاء الكبيرة، بينما أمراض الجسم يمكن علاجها وتحملها. إن الأمر الدارج هو أن يهتم الناس بصحة أجسامهم وهو أمر مطلوب؛ لأن الإنسان مسؤول أمام الله عن جسمه؛ ولأنه لا يستمتع بحياته إن لم يحافظ على جسمه من الأمراض والأسقام، كما تهتم الحكومات والمجتمعات بكل ما يرتبط بالصحة الجسمية على نحو أو آخر، لكن في مقابل ذلك غالبًا ما تكون هناك غفلة عن الصحة النفسية، فالإنسان كما هو جسم له أعضاء وأجهزة، كذلك هو نفس فيها أحاسيس ومشاعر وعواطف، وعليه ينبغي الاهتمام بالحالة النفسية في المجتمعات أكثر من الحالة الجسمية.

(١) نهج البلاغة. حكمة ٣٨٨.





## معنى الصحة النفسية

إن من تعريفات مصطلح الصحة النفسية هو أن يعيش الإنسان حالة من الرضا والتوافق مع نفسه، ومع المحيط الذي يعيش فيه، والأوضاع التي يحيا من خلالها. فمتى ما كانت لدى المرء درجة عالية من التوافق فسيكون وضعه النفسي غالباً في صحة جيدة، وكلما انخفضت تدهورت معها الصحة النفسية. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا وإن من أشد البلاء الفاقة، وأشد من الفاقة مرض البدن، وأشد من مرض البدن مرض القلب»<sup>(١)</sup>، فالبلاء الشديد وفقاً لأمير المؤمنين عليه السلام يتدرج بين الفقر وسوء الوضع الاقتصادي، ثم يتصاعد إلى مرض الجسم، حتى يصل إلى مرض القلب، ويمكننا هنا أن نفهم مصطلح مرض القلب بأنها الأمراض الداخلية التي تضرب نفسية الإنسان، فهي بذلك أشد فتكاً من سابقتها.

بات الإنسان في العصر الحديث يكابد الأمراض النفسية بالنظر لتصاعد حجم التطلعات لديه، وما يوازي ذلك من تحديات كبيرة. إن طوفان الاهتمامات المادية يجعل الإنسان في كثير من الأحيان يقف مأزوماً أمام تطلعاته التي لا تتحقق، وما يتبع ذلك من تداعيات ومشاكل. من هنا تتولد الأمراض والمشاكل النفسية عند الإنسان. لقد باتت هذه الأمراض في العصر الراهن وباءً عاماً يعاني منه كثير من البشر، فلهذه الأمراض النفسية يعود السبب في تفشي حالات الاكتئاب، وتصاعد حالات الانتحار، وفي جديد هذا الأمر ما نشرته الصحف مؤخراً من أن واحداً من كل أربعة يابانيين قد فكر في الانتحار، أي ما يعادل ربع المجتمع الياباني!، علماً بأن الأوضاع الاقتصادية لديهم ممتازة، لكنها الضغوط والمشاكل الكثيرة المصاحبة للجفاف والجفاء الروحي، فهذه تنعكس وتتفاعل مع الأوضاع المادية، إضافة إلى ضياع الهدفية في حياة الإنسان.

(١) نهج البلاغة. حكمة ٣٨٨.





## تصاعد الأمراض النفسية

أما حالات الاكتئاب النفسي فتشير إحصاءات منظمة الصحة العالمية الحديثة إلى تصاعد مضطرد في الأرقام. فقبل أيام ذكرت المنظمة أن عدد المصابين بالأمراض النفسية زادوا على ٥٠٠ مليون مريض، منهم ١٥٠ مليون مريض يعانون من مرض الاكتئاب، فيما يعاني ٣٨٠ مليون من انفصام الشخصية، إلى جانب ٩٠ مليون يعانون من تعاطي المخدرات، وتوقع خبراء بالمنظمة أن يحتل مرض الاكتئاب المرتبة الثانية عالمياً بحلول عام ٢٠٢٠م. وذكرت تقارير المنظمة أن مرض الاكتئاب أصبح من الأمراض السائدة في القرن الحادي والعشرين، وأن حوالي ١٢١ مليون نسمة يعانون من الاكتئاب في العالم. وبحسب التقارير الدولية والمحلية يتمركز مرض الاكتئاب في بلدنا عند النساء أكثر منه عند الرجال، فنسبة مرض الاكتئاب عند الإناث تشكل من ١٥ إلى ٢٥٪ فيما بلغت عند الذكور من ١٠ إلى ١٥٪.

وتكشف الإحصاءات الرسمية المحلية عن مدى خطورة الأوضاع على مستوى الصحة النفسية في المجتمع. فقد كشفت وزارة الصحة في المملكة عن ارتفاع مضطرد في عدد مراجعي عيادات الصحة النفسية حتى بلغ ٤٣٩ ألف مراجع، وبلغ إجمالي الذين يرقدون على أسرة المستشفيات نحو ١٨٧ ألف مريض نفسي. وهذه الأرقام تُعدّ كبيرة قياساً على واقعنا المحلي، مع ملاحظة أن الناس في مجتمعنا لا يعترفون غالباً بالأمراض النفسية، لذلك يمتنع قسم كبير من المرضى النفسانيين عن مراجعة المستشفيات، ولا يتلقون العلاج المناسب، وهذه مسألة ينبغي أن يُثقف الناس حولها.

إن بلادنا تعاني نقصاً وقصوراً كبيراً في جانب المستشفيات النفسية. فالمستشفيات تُعدّ قليلة جداً، وبحسب التقارير الجديدة لم يحصل أي تطور على هذا الصعيد منذ أكثر من ٢٠ سنة. وقد أشار المؤتمر العالمي الثامن للطب النفسي الذي نظّمته المنظمة الصحية للطب النفسي في جدة بتاريخ ١٧ أبريل ٢٠١٢م إلى أن عدد المستشفيات





النفسية في المملكة لا تزال قليلة ومحدودة، وأنه لم يحصل تقدم ملموس منذ عشرين عامًا، سوءًا كان على مستوى التجهيزات الطبية، أو الكوادر الطبية أو توفير الأسرة، وهذا خلل وضعف كبير جدًا. الحمد لله بلدنا فيها خير كثير، وأرقام الميزانية العامة للدولة بلغت أرقامًا فلكية، وخاصة الميزانية المعتمدة لوزارة الصحة، لذلك فالمواطنون يريدون أن يروا أثر ذلك على صعيد العناية بالصحة النفسية للمجتمع، فلا مبرر لأن نعيش هذه الأزمة وهذا النقص.

### كيف نواجه هذا الخطر؟

إننا في هذا المجال نريد أن نؤكد الأمور التالية:

أولاً:

ينبغي أن نهتم بأمور الصحة النفسية، وأن نهتم بالأمراض النفسية التي بدأت تسود وتنتشر في مجتمعاتنا. فمن المهم أن نولي العناية والاهتمام بالأسباب والجذور لتلك المشاكل، ومن أهمها الأزمات الحياتية التي يعيشها الناس، فكثير من الناس يعانون من مشاكل حياتية كأزمات السكن، والوظيفة والحياة المناسبة، هذه الأزمات تمثل باعثًا أساسًا للأمراض النفسية وحصول حالة الإحباط واليأس في كثير من الأحيان.

ثانيًا:

ينبغي التأكيد على دور العائلة في احتضان الأبناء. فبعض الآباء يولون اهتمامًا بالغًا بالصحة الجسمية للأبناء، فيسارعون إلى المستشفى إذا رأوا عارضًا صحيًا عند أولادهم، لكنهم في مقابل ذلك لا يهتمون كثيرًا للحالة النفسية للطفل، وهذا خلل كبير، إذ ينبغي أن تتوفر للأولاد الأجواء المناسبة للصحة النفسية. ولهذا نجد الإسلام يشدد على الاهتمام برعاية الصغار، كما ورد في حديث عن النبي ﷺ: «من





كان له صبي فليتصاب له»<sup>(١)</sup>، وعن الصادق عليه السلام: «دع ابنك يلعب سبع سنين»<sup>(٢)</sup> وغيرها؛ ذلك لأن هذا السلوك له دور حيوي في تنمية الأطفال ورعاية نفوسهم، وتنمية مهارات التفاعل مع المجتمع والمحيط. ولا بأس أن نشير هنا إلى أن استغراق الأطفال في اللعب بالألعاب الإلكترونية فقط، يُعدّ أمرًا خطيرًا كما تؤكد الدراسات، فمن الضار بالطفل أن يتجاوز الحد الطبيعي في الألعاب الإلكترونية، فهو بذلك يفقد الكثير من مهارات التفاعل والتعامل مع محيطه، كما يفقد الكثير من الراحة والصحة النفسية. لهذا ينبغي تشجيع الأبناء على الرياضة والألعاب الحركية ليتفاعلوا مع من حولهم.

كما ينبغي الانفتاح على مشاكل الأبناء. فالمشاكل النفسية في صفوف البنات خاصة تُعدّ مضاعفة كما تشير التقارير، فقد ورد في تقرير علمي أن نسبة إصابة النساء السعوديات بالاكئاب تجاوزت النسب في الدول الأخرى، حيث بينت الدراسات أنه في حين كان عدد الرجال المصابين ٣٣ مصابًا نفسيًا فإن النساء يفوقونهم بـ ٦٦ حالة. وفسرت التقارير ذلك بأن المرأة في مجتمعاتنا تتعرض لكثير من الضغوط، حتى ينعدم لديها الشعور بأنها إنسان من الدرجة الأولى مثل أخيها الذكر، وإنما هي من الدرجة الثانية، وفي ذلك باعث أساس لانتشار الأمراض النفسية.

### ثالثًا:

الحاجة إلى النشاط والتضامن الاجتماعي لمعالجة الأمراض النفسية. إن وجود مؤسسات وتضامن اجتماعي يساعد الناس كثيرًا على تجاوز مشاكلهم، فوجود مشاريع على غرار الهاتف الاستشاري الموجود في بعض الجمعيات الخيرية، يُعدّ عاملاً مساعدًا في تجاوز المشاكل التي يعاني منها كثير من الأفراد، وعلى غرار ذلك لجان إصلاح ذات البين.

(١) كنز العمال. ج ١٦، ص ٤٥٧.

(٢) الكافي. ج ٦، ص ٤٦، حديث ١.





## عمق الإيمان قوة للنفس

وأخيرًا لا بُدَّ أن نوجه الخطاب لكل إنسان أن يهتم بالجانب الروحي في حياته. فالإيمان يضاعف القوى النفسية لدى الأفراد، فإذا ما انفتح المرء على دينه بشكل جيد، فإنه يصبح بذلك أقوى في مواجهة المشاكل والتحديات، من خلال التوكل على الله، والرضا بقضاء الله وقدره. إن على المرء ألا يستسلم للإحباط واليأس عند مواجهة التحديات، حتى وإن بذل كل جهوده لتجاوزها دون أن ينجح. هذا ما تؤكدُه النصوص والأحاديث، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عز وجل»<sup>(١)</sup>، وعنه عليه السلام: «قال الله عز وجل: عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء إلا جعلته خيرًا له فليرضَ بقضائي وليصبر على بلائي وليشكر نعمائي، أكتبه يا محمد من الصديقين عندي»<sup>(٢)</sup>.

ينبغي للمرء أن يسعى لمواجهة المشاكل، وأن يقبل في الوقت ذاته بالقضاء والقدر. إن هناك حوادث خارجة عن الإرادة والمعالجة كالكوارث والموت، فلا يصح معها أن يكون الإنسان جزوعًا، وعلى غرار ذلك ما يعترض المرء من صدمات عاطفية قاسية، من قبيل عدم القدرة على الارتباط بشريك الحياة، لعوامل خارجة عن الإرادة، سواء بسبب الأهل أو القانون أو غير ذلك، بحق أو بغير حق، فلا ينبغي بأي حالٍ أن نرى هذا آخر المطاف، وسببًا للإصابة بالإحباط واليأس. على الإنسان أن يسعى لتحقيق تطلعاته لا أن يموت من أجلها، فما كل ما يتمنى المرء يدركه، عندها لا مفر من أن يسلم المرء بالقضاء والقدر.

(١) الكافي، ج ٢، ص ٦٠.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٦١.





## اليوم العالمي لغسل اليدين

### النظافة أصالة وحضارة

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال لأنس: «يا أنس، أكثر من الطهور يزيد الله في عمرك، وإن استطعت أن تكون بالليل والنهار على طهارة فافعل، فإنك تكون إذا متّ على طهارة شهيداً»<sup>(١)</sup>.

من مظاهر عظمة الإسلام أنه جاء في بيئة متخلفة، لم تكن فيها معارف صحية، ولا مستوى حضاري، إلا أن هذا الدين جاء بتشريعات وتعاليم، لا تزال البشرية اليوم مع تطورها وتقدمها، تجد السير حتى تصل إلى مستوى تلك التعاليم والتشريعات، في تلك البيئة العربية، كان الناس يعيشون حياة الصحاري في الغالب، وحتى من كانوا يعيشون في المدن لم تكن الوسائل متوفرة لديهم، ولا المعارف حاصلة عندهم، لذلك لم يكن لديهم اهتمام بأمر النظافة والأناقة بشكل عام.

فإن يستحّم الإنسان اليوم هو أمر سهل، لكن في تلك الأزمنة لم يكن سهلاً، الماء لم يكن متوفراً بهذا الشكل، وخاصة في أيام الشتاء، ولأناس يعيشون في الصحراء. لقد فرض الإسلام على الناس الغسل والاعتسال، بحيث يشمل الماء كلّ الجسم.

(١) وسائل الشيعة، ج ١، ص ٣٧٩.





وهناك أغسال واجبة فرضها الإسلام، وأغسال مستحبة، فحينما نرجع إلى الروايات حول غسل الجمعة مثلاً. بعض الفقهاء السابقين يرى وجوب غسل الجمعة، لكن المشهور أنه مستحب مؤكد.

الروايات تتحدث أنه في عهد رسول الله ﷺ، كان الناس في المدينة يشتغلون في مزارعهم، وخاصة في أيام الصيف، فتكون هناك حالة من التعرّق، ويأتون إلى المسجد على تلك الحالة!

الرسول ﷺ أكد على غسل الجمعة، وبقية أنواع الأغسال الواجبة والمستحبة، بعضها ترتبط بزمان أو مكان أو حدث معين.

### الوضوء نظافة متجددة

إضافة إلى الغسل، هناك الوضوء، الذي يعني أن يغسل الإنسان الأعضاء البارزة في جسمه، كما أمر الله سبحانه وتعالى، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦] إن الوضوء للصلاة واجب، والإنسان المسلم عليه خمس فرائض في اليوم، فهو بحاجة إلى الوضوء ثلاث مرات على الأقل، إذا كان يجمع بين فريضتي الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، هذا إضافة إلى الوضوء المستحب الذي تتعدّد موارده.

حين تدخل المسجد يستحب أن تكون على وضوء، وحين تقرأ القرآن يستحب أن تكون على وضوء، وعند لمس آيات القرآن يجب أن تكون على وضوء، وحين تنام يستحب أن تكون على وضوء. هناك روايات تعتبر أن الإنسان الذي ينام على وضوء في عبادة، منها ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال لسلمان: «من بات على طهرٍ فكأنما أحيا الليل»<sup>(١)</sup>، وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «من تطهر ثم آوى إلى

(١) بحار الأنوار. ج ٣٩، ص ٢٥٨.







فراشه، بات وفراشه كمسجده»<sup>(١)</sup>.

كما أنه يستحب الوضوء لتناول الطعام، حيث وردت روايات تدعو إلى أن يتوضأ الإنسان قبل تناول الطعام، ومنها ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «الوضوء قبل الطعام وبعده يزيدان في الرزق، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أوله ينفي الفقر وآخره ينفي الهم»<sup>(٢)</sup>.

### اليوم العالمي لغسل اليدين

وقد أعلنت الأمم المتحدة، عن اليوم العالمي لغسل اليدين وهو يوم ١٥ أكتوبر. حيث تحتفل دول العالم أسبوعاً كاملاً بغسل اليدين، تشجيعاً للناس على أن يتعلموا عادة غسل اليدين. إن كثيراً من الأوبئة والأمراض، وخاصة بالنسبة للأطفال، تحصل بسبب عدم العناية بغسل اليدين، وهناك إحصائية تشير إلى أن خمسة آلاف طفل دون الخامسة يموتون يومياً في العالم نتيجة أمراض يسببها عدم غسل اليدين، وبسبب موجة مرض انفلونزا الخنازير، بدأ الاهتمام أكثر بموضوع النظافة وغسل اليدين.

وبهذه المناسبة نشير إلى ملحوظة مهمة تخص المناسبات الاجتماعية، حيث نرى مثلاً مراسيم الزواج، أو مراسيم العزاء، والصفوف الطويلة، كل واحد يسلم على هؤلاء الذين يبارك لهم أو يعزيهم، ويقبل كل واحد منهم، هذه مبالغة لا داعي لها، وخاصة مع هذه الظروف الصحية، ينبغي أن نأخذ الأمور مأخذ الجد.

قبل استحداث يوم عالمي لغسل اليدين، تحدث التشريع الإسلامي قبل ١٥ قرناً عن هذا الأمر، ودعا إلى الوضوء، الذي أولى فقراته استحباب غسل اليدين قبل الشروع فيه، خاصة للإنسان المستيقظ من النوم، أو الذي أحدث حدثاً أصغر.

(١) وسائل الشيعة، ج ١، ص ٣٧٨.

(٢) الكافي، ج ٦، ص ٢٩٠.





ويشتمل الوضوء على غسل اليدين كاملتين الى المرافق، ويستحب للإنسان أن يكون دائماً على وضوء وإن كان متوضئاً، إذ يستحب له أن يجدد الوضوء، ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «الوضوء على الوضوء نور على نور»<sup>(١)</sup>، كما ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «من جدّد الوضوء جدّد الله له المغفرة»<sup>(٢)</sup>.

### استحباب غسل اليدين

هناك تأكيدات على غسل اليدين خاصة قبل الطعام وبعده، ومنها ما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «من غسل يده قبل الطعام وبعده عاش في سعة وعوفي من بلوى في جسده»<sup>(٣)</sup>، وعنه عليه السلام: «اغسلوا أيديكم قبل الطعام وبعده فإنه ينفي الفقر ويزيد في العمر»<sup>(٤)</sup>، وعنه عليه السلام: «الوضوء قبل الطعام وبعده يذيان الفقر»<sup>(٥)</sup>. وهذا كما هو واضح توجيه ديني إلى النظافة.

إن بعض الناس يستثقلون أمر النظافة، والاستحمام بالنسبة لهم عملية شاقّة، فيتحمل العرق والروائح في جسمه بسبب ما يعتريه من حالات الكسل والخمول عن تنظيف جسمه.

هَبْ أنك تتحمل تلك الروائح لكنك تعيش مع آخرين. لماذا تؤذي الآخرين برائحتك؟!

الحمد لله، فإن الماء متوفر والإمكانات متوفرة، وينبغي للإنسان ألا يبخل على نفسه، ويستطيع أن يحوّل نظافته وأناقته إلى عبادة، حينما ينوي اغتسالاً بأيّ مسوِّغ من المسوِّغات، مثل: دخول المسجد الذي تغتسل له قربة إلى الله تعالى، حيث

- (١) وسائل الشيعة، ج ١، ص ٣٧٧.
- (٢) جامع أحاديث الشيعة، ج ٢، ص ٢٤٠.
- (٣) الكافي، ج ٦، ص ٢٩٠.
- (٤) بحار الأنوار، ج ٦٣، ص ٣٥٦.
- (٥) جامع أحاديث الشيعة، ج ٢٣، ص ٥١٠.





تستطيع أن تحول عُسَلَك إلى عمل تكسب منه الثواب، وكذلك بالنسبة إلى الموضوع. أخبرني بعض الإخوة العاملين في دار المسنين والعجزة، أن من المشاكل الكبيرة التي نواجهها أن هؤلاء في ثقافتهم وحياتهم غير متعودين على الاستحمام والنظافة، فيكون من الصعب إقناع أحدهم بالنظافة والاستحمام، يقول: نتحدث معهم ونرشدهم فيردون: كنا نعيش خارج الدار وبالكاد نستحم مرّة في الشهر، والآن أنتم تريدوننا الاستحمام كلّ يومين؟!!

ينبغي أن نعوّد الأطفال خاصة، وأن نتعوّد دائماً على غسل اليدين، وعلى الموضوع، وعلى الاستفادة من هذه التعاليم والإرشادات الصحية التي يطرحها المختصون.

وهناك مسألة ترتبط بموضوع تغيير بعض العادات السلبيّة، مثل عادة التقبيل المبالغ فيها، إذ ورد في الروايات أن يعانق المسلم أخاه في بعض المناسبات، أما المبالغة فيها بمناسبة وبدون مناسبة، قد تسبب بعض المشاكل الصحية والمشاكل الاجتماعية.

وينبغي للإنسان أن يحمي صحته، فالإسلام كما يهتمّ بصحة الأرواح، وصحة العقول، يهتمّ بصحة الأجسام، وكما قيل: العقل السليم في الجسم السليم، وورد أيضاً عن رسول الله ﷺ: «النظافة من الإيمان»<sup>(١)</sup>.

(١) بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ٢٩١







## اليوم العالمي لمكافحة الفقر

### الفقر ليس قدرًا

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال في وصيته لابنه محمد بن الحنفية: «يَا بُنَيَّ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ»<sup>(١)</sup>.

تشير التقارير الدولية إلى أنّ حالة الفقر في العالم بلغت حدًّا مثيرًا للقلق. حيث تفيد الإحصاءات إلى أنّ ما يتجاوز المليار ومئتي مليون من البشر يعانون الفقر المدقع، وذلك ما يناهز خُمس عدد سكان العالم.

أما على مستوى المنطقة العربية، فهناك نحو ١٠٠ مليون عربي يرزحون تحت وطأة الفقر، وهو ما يعادل نحو ٢٨ بالمئة من العرب، الذين يجدون صعوبة في الحصول على الغذاء بأسعار تناسب أوضاعهم الاقتصادية.

وتشير التقارير: إلى أنّ نحو ٨٧٠ مليون شخص يعانون في الوقت الحالي من نقص التغذية، وهذا ما يعني بلغة الأرقام أنّ واحدًا من كل ستة أشخاص في العالم، لا يحصل على ما يكفي من الغذاء للتمتع بصحة جيّدة.

(١) نهج البلاغة، حكمة ٣١٩.





كما أنّ هناك ٦٦ مليون طفل في الدول النامية، يحضرون إلى الفصول الدراسية وهم يتصوّرون من الجوع، ربعهم في قارة أفريقيا وحدها. وأنّ عدد ضحايا الجوع، بات يتجاوز عدد ضحايا أمراض الإيدز والملاريا والسّل مجتمعة، فهناك نحو ٣٥ ألف طفل يموتون يوميّاً بسبب الجوع والمرض. وهذه في مجملها أرقام مثيرة للقلق الشديد.

إنّ حالات الفقر لم تعد تقتصر على الدول النامية، بل طالت شرائح سكانية في الدول الثرية أيضاً. فهناك العديد من الدول التي حباها الله بثروات طائلة، يمكن ببساطة ملاحظة انتشار مظاهر وحالات الفقر فيها. فلا يزال كثير من المواطنين في بلداننا العربية الثرية يعانون الفقر بدرجة أو أخرى، على مستوى افتقاد التعليم والسكن والعلاج المناسب، وعلى صعيد مواجهة البطالة وافتقاد مصادر الرزق. ولعلّ في سعة الإقبال على تلقي الدعم من الجمعيات الخيرية، دليلاً محسوساً على مستوى انتشار الفقر في مجتمعاتنا.

### يوم التضامن مع ضحايا الفقر

ينبغي الإشارة إلى أن هذا اليوم الجمعة ١٧ أكتوبر، يصادف اليوم العالمي لمكافحة الفقر. وهو مناسبة يحتفل بها العالم، بهدف تعزيز الوعي بشأن الحاجة إلى مكافحة الفقر، والفقر المدقع في كافة البلدان. وتعود فكرة تحديد يوم لمكافحة الفقر إلى العام ١٩٨٧ حين اجتمع أكثر من ١٠٠ ألف شخص في ساحة تروكاديرو في باريس، وهي ذات الساحة التي شهدت توقيع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، اجتمعوا تضامناً مع ضحايا الفقر والجوع عبر العالم، وقد انتقل هذا التقليد إلى بلدان أخرى، فصار الناس يجتمعون سنويّاً في الساحات العامة، بأعداد كبيرة، دعماً لمسيرة القضاء على الفقر في العالم، ويمارسون الضغط على الحكومات، والمؤسسات الدولية، لاتخاذ إجراءات تحدّ من الفقر في المجتمعات البشرية.





هذه المبادرة التي بدأت أهلية، تحولت بعد مرور خمس سنوات، إلى مناسبة تبنتها الأمم المتحدة في عام ١٩٩٢، فحدّدت يوم ١٧ أكتوبر يوماً عالمياً لمكافحة الفقر. ودعت المنظمة كلّ دول العالم إلى الاحتفاء بهذا اليوم، لغرض الدفع باتجاه القضاء على الفقر في العالم.

إنّ من المفيد لمجتمعاتنا التفاعل مع مثل هذه المناسبات الدولية، عوضاً عن الاكتفاء بالاحتفاء بالمناسبات التاريخية، سيّما وأن هذه المناسبة تلامس آلام وحاجات الناس واهتماماتهم، وتجعل مجتمعاتنا تعيش الهموم المشتركة مع بقية المجتمعات.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هو: ما هي السبل الكفيلة بالوقوف في وجه انتشار حالات الفقر، على مستوى العالم؟ ولماذا لا تزال رقعة الفقر والجوع كبيرة بالرغم من التقدم العلمي والتكنولوجي في العالم؟

## أسباب الفقر

### ١. السياسات الدولية

يمكن القول بأنّ هناك عاملاً دولياً يساهم في انتشار الفقر عبر العالم، يتمثل في سياسات الدول الكبرى. إن سياسات هذه الدول تُعدّ عاملاً رئيساً في إفقار الشعوب، وضعفة الوضع الاقتصادي في الدول النامية، بغرض فرض الهيمنة عليها. ولعلّ أحد أبرز مظاهر الهيمنة هي سياسة التصنيع العسكري، على اعتبار أنّ تنشيط صناعة السلاح من أبرز عوامل إنعاش الاقتصاد في تلك الدول الكبرى، وكما هو معروف فإنّ مصانع السلاح لا ينتعش عملها إلّا من خلال افتعال الحروب؛ لأنّ الدول المتحاربة ستلجأ لشراء واستيراد السلاح من الدول الكبرى. وقد وجدنا كيف أنّ الولايات المتحدة ضخّت نحو ثلاثة مليارات دولار لمصانع السلاح، تحت شعار التحالف الدولي لمكافحة الإرهاب، ومن المتوقع أن تضخ الدول الحليفة لمصانع





الأسلحة الأمريكية أضعاف هذا المبلغ.

إن إثارة التوترات والحروب، لغرض تشغيل الصناعة العسكرية، يُعدّ ركناً أساساً ضمن سياسات الدول الكبرى. وقد شهدت منطقتنا الخليجية عدة حروب في العقود الأخيرة، وكما هو معلوم فإنّ هذه الحروب لا تجلب وراءها سوى الفقر، وتعويق التنمية، وتبديد ثروات الشعوب. إضافة إلى سياسات الدول الكبرى القائمة على فرض الحصار على الدول النامية، وفرض القيود على تصدير التكنولوجيا المتقدمة إليها.

## ٢. السياسات الوطنية الفاشلة

يساهم ضعف السياسات المحلية للدول النامية في استفحال الفقر في مفاصلها. إذ أنّ معظم السياسات التنموية التي تضعها كثير من الدول النامية ضعيفة وغير جدّية، وليست مبنية على إستراتيجية صحيحة واضحة. وفي حال كانت بعض السياسات سليمة صحيحة، فإنه يفشلها سوء التطبيق من قبل أجهزة الدولة، نتيجة الفساد والإهمال، وهذا ما يفسر تبديد الميزانيات الهائلة التي ترصد للتعليم والصحة والخدمات في العديد من الدول النامية، ذلك أنّ النسبة الأكبر من تلك الميزانيات، تذهب إلى جيوب الفاسدين والمتسلطين في الأجهزة الحكومية. وقد تكشفنا بعد ثورات الربيع العربي، في تونس ومصر مثلاً، خبايا استيلاء أركان السلطة على المساعدات الدولية الموجهة أساساً لشعوبهم، ووضعها عوضاً عن ذلك في حساباتهم الخاصة، بالرغم من العوز والفاقة المنتشرة في بلدانهم.

## ٣. ضعف التكافل الاجتماعي

إنّ التكافل الاجتماعي لا يعني فقط إعطاء المساعدة للفقراء والمحتاجين، كما قد يتبادر للأذهان، وإنما يكمن في مساعدة الفقراء على تجاوز حالة الفقر، وتأهيلهم بحيث يكونون أفراداً منتجين، وهذه هي المنهجية السليمة التي يجب أن







تعتمدها إدارات الجمعيات الخيرية الواعية، وقد أخبرني بعض المعنيين في إحدى الجمعيات الخيرية المحلية، أن بعض الأسر لا تزال تتلقى المساعدة من الجمعية منذ أربعين سنة من جيل الآباء إلى الأبناء!. إن الاكتفاء بتقديم المساعدة لا يشكل حلاً جذرياً لمشكلة الفقر، وإنما العمل على تحويل هؤلاء الفقراء وأبنائهم إلى أفراد منتجين، عوضاً عن أن يتوارثوا الفقر، وذلك بتشجيع أبنائهم على الدراسة، وتحصيل التدريب المهني، والمساعدة في توفير فرص الوظيفة، أو إنشاء المشاريع الاستثمارية المناسبة.

#### ٤. الكسل والتقاعس

إن تقاعس بعض الأفراد له دور في خضوعهم للفقر والعوز. فهناك بعض الأشخاص ممن يعيشون الفقر نتيجة تقاعسهم وكسلهم، فمثل هؤلاء ربما يتشرطون في نوع العمل والوظيفة التي يبحثون عنها، فلا يريدون أن يتعبوا أنفسهم، ولا يسعون جدياً خلف رزقهم، على النقيض من قول الله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾، فالسعي مطلوب في كل الأحوال. وأن يعمل كل واحد بمقدار طاقته وقدرته وليس بمقدار حاجته.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام): «لا خير فمّن لا يحبّ جمع المال من حلال»<sup>(١)</sup>، حتى لو لم تكن ثمة حاجة فعلية إليه. وفي رواية أخرى، عن محمد بن عذافر عن أبيه قال: أعطى أبو عبد الله (عليه السلام) أبي ألفاً وسبعمائة دينار، فقال له: أتجر لي بها ثم قال: أما إنه ليس لي رغبة في ربحها، وإن كان الربح مرغوباً فيه، ولكن أحببت أن يراني الله عزّ وجلّ متعرّضاً لفوائده، قال: فربحت فيها مائة دينار ثم لقيته، فقلت له: قد ربحت لك فيها مائة دينار، قال: ففرح أبو عبد الله (عليه السلام) بذلك فرحاً شديداً، ثم قال: أثبتتها لي

(١) وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٣٣.





في رأس مالي»<sup>(١)</sup>، فالله سبحانه يحب أن يرى عبده ساعياً من أجل الرزق الحلال. وهكذا ينبغي أن يطمح كل فرد إلى تحقيق الغنى وصناعة الثروة. إن الإنسان المؤمن لا ينبغي أن يكون فقيراً، بل المطلوب أن يسعى لتحقيق الثراء.

وفي وصيته لابنه محمد بن الحنفية يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «يا بني، إني أخاف عليك الفقر، فاستعد بالله منه، فإن الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت»، لعل الإمام علياً عليه السلام وجد عزوفاً عن العمل لدى ابن الحنفية، وإقبالاً عنده على العبادة عوضاً عن العمل، ولذلك حذّره من الفقر، ودعاه إلى الاستعاذة منه، يقول صاحب الديباج الوضيء: «وإنما قال له ذلك، لأن محمداً كان فيه نسك وصلاح وتقوى، فيكاد من هذه حاله يكون شعاره الفقر؛ لأنه شعار الصالحين»<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد في الآداب الإسلامية الأمر بالاستعاذة بالله من الكفر ومن الفقر على حدّ سواء، روى الطبراني عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أعوذ بوجهك الكريم وباسمك الكريم من الكفر والفقر»<sup>(٣)</sup>.

وذلك لأنّ الفقر، في كثير من الأحيان، هو الذي يهيئ الأرضية لعمل الشيطان، لهذا يقول الإمام عليه السلام: «فإن الفقر منقصة للدين»؛ لأنّ الفقير قد يدفعه فقره للانتقاص من دينه، باللجوء إلى طرق ملتوية، وأساليب غير مناسبة، والتخلي عن واجباته الدينية، علاوة على ما يعتريه من الاضطراب الفكري الذي يُعبّر عنه الإمام عليه السلام بوصف الفقر بأنه «.. مدهشة للعقل»، فلا يكون عندها الفرد فاعلاً ومنتجاً على النحو المطلوب.

(١) الطوسي: محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، طبعة ١٩٨٥م، (طهران: دار الكتب الإسلامية)، ج٦، ص٣٢٦.

(٢) الحسيني: يحيى بن حمزة، الديباج الوضيء في الكشف عن أسرار كلام الوصي، ج٦، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، (صنعاء: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية)، ص٢٩٦١.

(٣) الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج١٠، طبعة ١٤١٤هـ، (القاهرة: مكتبة القدسي)، ص١٤٣.





وفوق هذا وذلك كون الفقر «داعية للمقت» وفق توصيف الإمام عليه السلام بالفقير، إذا كان الفقر من اختياره، فهو ممقوت عند مجتمعه وممقوت عند الله، بخلاف من كان مجبراً على الفقر لعاهة أو أيّ سبب خارج عن إرادته.

وبمناسبة اليوم العالمي لمكافحة الفقر، ينبغي أن نحث أنفسنا وأبناءنا على العمل أكثر، والاستثمار والتنمية على نحو أكبر، وأن يتعاون الناس فيما بينهم كي يكون المجتمع أكثر ثراءً وإنتاجاً.







## اليوم العالمي للتسامح

### يوم التسامح العالمي.. كيف تستقبله الأمة

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٢٠].

أخذ مفهوم التسامح في العصور الأخيرة أبعادًا واسعة تتجاوز معناه اللغوي المحدود. إذ في حين يذهب المعنى اللغوي للتسامح إلى نواح أخلاقية تنحصر في مفردات التساهل والجود والسخاء والعفو، إضافة إلى تنازل الإنسان عن حقه تجاه الآخرين، فقد أخذ هذا المفهوم في العصر الراهن أبعادًا أوسع وأرحب، خاصة بعدما تبني هذا المفهوم التنويريون الأوروبيون. وقد حدّدت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «يونسكو»، في بيان صادر عنها عام ١٩٩٥ مفهوم التسامح، وعيّنت بمقتضاه يوم ١٦ من نوفمبر من كل عام يومًا للتسامح العالمي الذي اعتمدته الأمم المتحدة، وحددت المنظمة في ذلك البيان معنى التسامح في اللغة الإنسانية المعاصرة.

تناول البيان مفهوم التسامح على نحو أرحب وأكثر تفصيلًا. ومن ذلك، جاء في معنى التسامح أنه الاحترام والقبول للتنوع الثري لثقافات عالمنا، ذلك أن شعوب





العالم تزخر بالتنوع الثقافي فلا بُدَّ وأن يقبل بعضهم بعضًا، وأن يحترم بعضهم بعضًا، وأن لكل جماعة الحق في أن تمارس دينها وتعبر عن ثقافتها وعن ذاتها الحضارية بالطريقة التي تريدها، وعلى الآخرين أن يحترموا هذا الأمر.

حيث جاء في المادة الأولى من البيان الفقرات التالية:

■ إن التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا.

■ التسامح هو اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوق الإنسان وحياته الأساسية المعترف بها عالمياً.

■ ممارسة التسامح تعني أن المرء حرٌّ في التمسك بمعتقداته وأنه يقبل أن يتمسك الآخرون بمعتقداتهم. والتسامح يعني الإقرار بأن البشر المختلفين بطبعهم في مظهرهم وأوضاعهم ولغاتهم وسلوكهم وقيمهم، لهم الحق في العيش بسلام وفي أن يطابق مظهرهم مخبرهم، وهي تعني أيضاً أن آراء الفرد لا ينبغي أن تفرض على الغير.

وبذلك أصبح معنى التسامح في مفهومه الإنساني العالمي؛ هو الإقرار بالتعددية واحترام الناس في تنوعاتهم الدينية والثقافية والحضارية.

### الحروب الدينية في أوروبا

ولقد تبلور مفهوم التسامح في شكله الراهن على خلفية أجواء الاحتراب والصراع الذي عاشته أوروبا في العصور الوسطى. فقد شهدت القارة في تلك الآونة استبداداً دينياً وسياسياً متعاضداً، فهناك جهة السلطة الدينية المتمثلة في الكنيسة، والمتحالفة مع سلطة مقابلة متمثلة في الملك أو الإمبراطور، ومن ثم فقد بات من المحتم على الناس الخضوع على نحو مطلق للكنيسة التي تمثل الدين الرسمي للدولة، ونشأت على خلفية هذه الحالة، المقولة الشهيرة «الناس على دين ملوكهم»، ومضمون ذلك





أنّ من حقّ الحاكم في أيّ بلد أوروبي أن يعين للناس شكل دينهم، تمامًا كما يعين للدولة اتجاهها السياسي والاقتصادي.

وقد كان للكنيسة تصوراتها الخاصة حول الخلق والكون ومجمل نواحي الحياة، حيث لم تقتصر آراء الكنيسة على الأمور الروحية بل كانت لها تفسيراتها لحركة الطبيعة وأنظمة الكون، ولم يكن يحقّ لأحدٍ من الناس تبني أيّ تصور آخر مغاير، ولو كان عالمًا متخصصًا، حتى بات يوصف بالهرطقة كلّ صاحب رأي علمي أو فلسفي مخالف لرؤية الكنيسة، وقد كان مصير كلّ متهم بالهرطقة التعرض لمختلف أنواع العقوبات بما في ذلك الموت حرقًا.

وقد حدث إثر ذلك انشقاقات داخل الكنيسة الكاثوليكية. وتشكّلت عندئذٍ العقيدة البروتستانية في مقابل الكنيسة الكاثوليكية المهيمنة، وقد وقفت الأخيرة موقفًا عنيفًا إزاء هذا الانشقاق، وقاد ذلك إلى الدخول في حروب وصراعات دموية، وحالات اضطهاد مريرة، ضد أتباع العقيدة الجديدة، حتى أحرق أكثر من ثلاثمئة من الأساقفة ورجال الدين البروتستانت. في المقابل، عندما قويت شوكة المذهب البروتستانتية الذي نال حصة الأسد من الاضطهاد فيما سبق، أعاد البروتستانت عندما حكموا بريطانيا الصاع صاعين للكاثوليك. وهكذا عاشت أوروبا حالة استبداد واحتراب عنوانها الدين المسيحي كما تفهمه هذه الكنيسة أو تلك، وحصلت إثر هذا الصراع فظائع في أوروبا راح ضحيتها آلاف العلماء والمفكرين وعامة الناس سجنًا وتعذيبًا وقتلًا وحرقًا وتهجيرًا، حتى ذاع المصطلح الشهير «حرب الثلاثين عامًا» لواحدة من جولات هذا الصراع الذي دراه خلال القرن السادس عشر، والتي شهد ارتكابات وفظائع من كلّ جهة ضد الجهة الأخرى.

### التسامح طريق الخلاص

وإثر هذا الصراع الديني المدمر اتّجه العلماء والمفكرون الواعون إلى تلمّس





سبل الخروج من هذه الدوامة القاتلة. وفي هذا السياق طرح مفهوم التسامح، الذي يعني أن يعيش الناس أحرارًا في أديانهم وعقائدهم، ولهم وحدهم حرية اختيار الدين أو المذهب أو العقيدة التي يتبعون بها خالقهم، وأن السلطة الزمنية السياسية معنية فقط بالشؤون العامة السياسية والاقتصادية، ولا دخل لها من قريب أو بعيد في الشأن الفكري والديني للناس. ومن هنا جاءت الدعوات للفصل بين الشأن السياسي والشأن الديني، وأنه لم يعد يجوز لأحدٍ كائنًا من كان أن يضطهد أحدًا آخر على أساس رأي فكري أو معتقد ديني.

وتبعًا لذلك بدأت تشيع فكرة التسامح. وقد كتب المفكرون التنويريون مقالات ورسائل عديدة حول التسامح، ودفع كثير منهم أثمانًا باهظة لتبنيهم هذه الفكرة، فقد سجن وقتل وأحرق كثيرون منهم، خاصة مع وجود كتاب موالين للكنيسة راحوا يقرنون فكرة التسامح بالفوضى ودمار المجتمعات وتقويض العقيدة المسيحية الصحيحة، وزعموا أن التسامح سيجعل الناس تعيش اللامبالاة، مما يقودهم إلى دخول النار يوم القيامة، حتى إن أحدهم التقط عبارة من الإنجيل مستدلًا على ضرورة إجبار الناس على اعتناق الدين المسيحي قهراً، جاء فيها «أرغمهم على الدخول - في المسيحية -». ورغم الأثمان الباهظة التي دفعها المفكرون التنويريون إلا أن مفهوم التسامح انتصر في نهاية المطاف، حين قامت الدولة الأوربية الحديثة على أساس هذا المفهوم، وإقرار حقوق المواطنة واحترام خيارات الناس، وبذلك تجاوزت القارة حالة الاستبداد السياسي والديني.

### جهود المفكرين الأوروبيين وتضحياتهم

لم يتخلص الأوروبيون من الاستبداد الديني والسياسي بسهولة ويسر، ولم يحتضن الرأي العام في مجتمعاتهم مفهوم التسامح بين عشية وضحاها، بل تطلب ذلك تضحيات كبيرة، واستغرق قروناً من النضال وجهود المفكرين والمصلحين.







ولعلَّ حركة الإصلاح الديني التي قام بها مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦ م) هي المنعطف التي أعطت لدعوة التسامح زخمًا وتأثيرًا بارزًا في تلك المجتمعات، حيث رفع صوته عاليًا ضد القمع وإرهاب الكنيسة، وتحذّرها أن تواجه الفكر بالفكر وليس بالعنف، وقال سنة ١٥٢٠ م: «ينبغي التغلب على الملحدين بواسطة الكتابة لا بواسطة النار». وأكدَّ مارتن لوثر حرية الاعتقاد، والفصل بين الروحي والديني، وطالب بإلغاء محاكم التفتيش، ووقف كلِّ إجراء ضدَّ من تعتبرهم الكنيسة هراطقة وملحدين.

كما تصدَّى المفكر كاستيلو (توفي سنة ١٥٦١ م) للدفاع عن التسامح الديني، وألَّف كتابًا مهمًّا عن التسامح (سنة ١٥٥٤ م) أورد فيه آراء في حرية الاعتقاد لعلماء ومفكرين سابقين، وأكدَّ أنَّ عدم التسامح يتناقض مع المحبة التي دعا إليها المسيح، كما يتناقض مع العقل.

وفي سنة ١٦٨٧ م أصدر المفكر وليم بن كتابًا حول (معقولية التسامح وعدم معقولية قوانين العقوبات والاختبارات) أكدَّ فيه أنه لا يجوز مطلقًا استخدام الإكراه في شؤون الإيمان؛ لأنَّ القوة لا يمكن أن تضع نفسها محلَّ تلك الأمور التي تتصل بعقل الإنسان. مقررًا أنَّ حرية الضمير هي الحقُّ الطبيعي للإنسانية.

وضمن مسيرة هذا النضال ضدَّ الاستبداد الفكري كانت كتابات پير بيل بين سنة ١٦٨١ - ١٦٨٦ م التي فنَّد فيها مبررات القمع الديني، الذي يستند إلى سوء تفسير بعض عبارات الكتاب المقدَّس، كالعبارة الواردة في إنجيل لوقا (إصحاح ١٤ عبارة ٢٣): «أكرهوهم على الدخول» حيث فسروها على أنها دعوة إلى إكراه الناس على اعتناق المسيحية.

مشيرًا إلى أنَّ عبارة يسوع هذه لا يمكن ولا ينبغي أن تفسَّر بمعنى حرفي وإلاَّ فإنَّها غير معقولة، وبرهن بحجج برهانية عديدة أن لا أمر أفضح من إرغام الناس بالقوة على





تغيير دينهم، وقد خصص كتاباً للردّ على مقولة «أكرهوهم على الدخول» المنسوبة ليسوع المسيح.

وكتب في الردّ على المعارضين لمفهوم التسامح بحجة أنه يتيح الفرصة لانتشار الفرق الشاذة وتعدّدها إلى غير نهاية، مجيباً بأن «هذا التعدّد الهائل في الفرق والمذاهب أفضل من المذابح والمشائخ والغارات الهمجية وكلّ الاضطهادات القاسية التي سعت الكنيسة بواسطتها إلى المحافظة على الوحدة دون أن تفلح في ذلك».

ويبرز اسم المفكر جون لوك في طليعة المنظرين لمفهوم التسامح والمؤثرين في تعميقه في أوساط المثقفين والنخب الفاعلة في المجتمعات الأوروبية.

كان جون لوك في بداية مشواره الفكري مخالفاً للتسامح ويراه مجرد اسم آخر للعصيان، والفوضى كما تشير إليه كتاباته سنة ١٦٦١ - ١٦٦٢م، لكن بعد سنوات قليلة بدأ يميل للتسامح وكتب (بحثاً في التسامح) سنة ١٦٦٧م وفي مذكراته التي كتبها سنة ١٦٧٩م سجّل ملاحظات مهمة لتعميق فكرة التسامح، ومواجهة القمع والإكراه الديني والفكري.

وجاء كتابه الشهير (رسالة في التسامح) سنة ١٦٨٩م ليقدم مفهوم التسامح بلغة وبيان أكثر تطوراً ونضجاً، وتلاقفه المفكرون والمثقفون في مختلف أنحاء أوروبا وترجموه من اللاتينية إلى الإنجليزية وسائر اللغات الأوروبية، وكانت بعض طبعات الكتاب تنفذ في شهور قليلة.

ولم يكن الكتاب يحمل اسم مؤلفه في طبعاته الأولى حيث كان لوك يكتفم أنه المؤلف، ولم يعلن ذلك إلا قبل وفاته بشهر واحد في حاشية وصيته، حيث توفي سنة ١٧٠٤م.

وقد ترجم هذه الرسالة إلى اللغة العربية الدكتور عبدالرحمن بدوي وكتب مقدمة





مستفيضة وتعليقات مهمة، ومع اختصار هذه الرسالة إلا أنّها كانت مصدر إلهام لجميع المفكرين في المجتمعات البشرية.

### التسامح واجب سياسي قانوني

إنّ مسألة التسامح لم تعد مسألة أخلاقية وعظية. سيما وقد بتنا نسمع في أوساطنا الكثير من الكلام حول التسامح، ذلك أنّ التسامح يجب أن يصبح قانوناً ونهجاً سياسياً تلتزمه الدول وتوفر له البيئة الحاضنة. ولقد أشار البيان العالمي للتسامح لهذا الأمر بوضوح، حيث شدّد البيان على أن تكون سياسة كلّ دولة وحكومة منسجمة ومنبثقة من مفهوم التسامح، وأن تحترم التنوع الموجود لدى مواطنيها على مستوى العقائد والثقافة والتوجهات، وأنه لا يصحّ أبداً لأيّ سلطة أن تنظر إلى مواطنيها من خلال أفكارهم ومعتقداتهم ومذاهبهم، فالسلطات غير معنية بهذا الأمر مطلقاً، لكونه شأنًا خاصًا بالأفراد أنفسهم. وتبعاً لذلك ينبغي أن يكون مفهوم المواطنة قبل أيّ عنوان وفوق أيّ اعتبار آخر.

### يقول البيان في المادة الثانية:

إنّ التسامح على مستوى الدولة يقتضي ضمان العدل وعدم التحيز في التشريعات وفي إنفاذ القوانين والإجراءات القضائية والإدارية. وهو يقتضي أيضاً إتاحة الفرص الاقتصادية والاجتماعية لكلّ شخص دون أيّ تمييز. فكلّ استبعاد أو تهميش إنّما يؤدي إلى الإحباط والعدوانية والتعصب.

وقد يتجسّد عدم التسامح في تهميش الفئات المستضعفة، واستبعادها من المشاركة الاجتماعية والسياسية، وممارسة العنف والتمييز ضدها.

كما شدّد البيان العالمي للتسامح في شقّ آخر على أهمية التربية والتعليم. أن تكون التربية والتعليم للناشئة في مختلف المجتمعات قائمة على التسامح واحترام الآخرين. وبالفعل فإنّ مناهج التعليم في البلاد المتقدمة تهتم بتنمية المدارك العلمية،





وتربية ذهن الطالب على التفكير، وإعداده مواطنًا صالحًا، بعيدًا عن الخصوصيات الدينية التي قد تختلف فيها انتماءات الطلاب، بل إنَّها تغرس في نفوسهم قيمة الاحترام للآخر وتفهم اختياراته، وفي بعض تلك البلدان كبريطانيا تتاح الفرصة للطلاب عند تنوع توجهاتهم الدينية أن يشرحوادياناتهم وتقاليدهم أمام زملائهم في الفصل ضمن حصص مخصّصة، كما نقل ذلك عدد من المبتعثين.

أمّا في بلاد المسلمين فمنهج التعليم في كثير منها لا تراعي التنوع الديني والمذهبي، بل تفرض منهجًا في التعليم الديني وفق المذهب الرسمي للدولة، وأنه وحده الحقّ دون المذاهب الأخرى، ويتضمّن في بعض الحالات إساءة للمذاهب الأخرى واحتقارًا لأتباعها، وذلك هو ما يصنع أرضية طائفية، ويربّي على التعصّب والتشدّد، وينمّي في نفوس الناشئة كراهة الآخر وممارسة التحريض عليه، مما يهيئ لقبول توجهات العنف والإرهاب.

#### تقول المادة الرابعة من بيان التسامح:

إنّ التعليم هو أنجع الوسائل لمنع اللاتسامح، وأول خطوة في مجال التسامح، هي تعليم الناس الحقوق والحريات التي يتشاركون فيها، وذلك لكي تحترم هذه الحقوق والحريات، فضلًا عن تعزيز عزمهم على حماية حقوق وحريات الآخرين.

وينبغي أن يعتبر التعليم في مجال التسامح ضرورة ملحة، ولذا يلزم التشجيع على اعتماد أساليب منهجية وعقلانية لتعليم التسامح تتناول أسباب اللاتسامح الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية، أي الجذور الرئيسة للعنف والاستبعاد، وينبغي أن تسهم السياسات والبرامج التعليمية في تعزيز التفاهم والتضامن والتسامح بين الأفراد وكذلك بين المجموعات الإثنية والاجتماعية والثقافية والدينية واللغوية وفيما بين الأمم.

إنّ التعليم في مجال التسامح يجب أن يستهدف مقاومة تأثير العوامل المؤدية





إلى الخوف من الآخرين واستبعادهم، ومساعدة النشء على تنمية قدراتهم على استقلال الرأي والتفكير النقدي والتفكير الأخلاقي.

من المؤسف أن المناهج التعليمية في بعض بلاد المسلمين صارت تربي الناشئة على التعصّب الديني، فهي لم تتخلّ عن تربية الناشئة على التسامح وحسب، بل على النقيض من ذلك، ذهبت بعيداً في تربيتهم على التعصّب الديني، واحتقار أتباع الديانات والمذاهب والثقافات الأخرى. والمثير للسخرية أن يأتي بعد ذلك من يستغرب خروج جحافل الإرهابيين من أبناء مجتمعاتنا، أولسنا نحن الذين غرسنا في نفوسهم بذرة الإرهاب، من خلال تربيتهم على التعصّب، والتحريض على الغير، أوليس هذا هو ما يزرع بذور الإرهاب والعنف في نفوسهم!

### المؤسسة الدينية والدعوة للتسامح

لا شك أن كل مؤسسة دينية تقوم على حماية العقيدة التي تبناها، وتؤمن بأحقيتها وصوابيتها، لكن هناك سؤاليين يفرضان نفسيهما على المؤسسة الدينية عبر تاريخها الطويل:

**السؤال الأول:** هل يحقّ لها أن تفرض عقيدتها على الآخرين بالقهر والإجبار؟!  
**والسؤال الثاني:** هل يستلزم الإيمان بأحقية دين أو مذهب الإساءة والظلم والاحتقار لأتباع الأديان والمذاهب الأخرى!؟

يمكن القول إن الإخفاق في الإجابة عن السؤالين بما ينسجم مع القيم الأخلاقية كان حليفاً لمعظم المؤسسات الدينية في تاريخها الطويل، مع أن الأنبياء والرسل الذين جاؤوا بالشرائع الدينية ضربوا المثل الأعلى في التزام قيم الأخلاق ومراعاة العدل والكرامة مع المخالفين لهم والرافضين لدعواتهم.

وللإنصاف، فإن الكنيسة المسيحية بعد أن كسر المجتمع الأوربي هيمنتها، أصبح خطابها ينحو نحو الاعتدال وخاصة في هذا العصر.





ولعلنا نشهد اليوم كيف تحوّل دور الكنيسة كلياً في المجتمعات الغربية، فبعد أن كانت مصدرًا أساسًا من مصادر التعصّب، وتشريع الاضطهاد والقمع، تحول الخطاب الديني فيها - أو معظمها -، حتى صار النهج العام في الكنيسة هو النهج القائم على الدعوة للمحبة، ونحن إنّما نقول ذلك لا للدعاية، وإنّما لعرض جانب من مسارات التوجيه للمجتمع، حيث بات يجري التأكيد من خلال الخطاب الديني في الكنيسة على المحبة والاحترام المتبادل، وإن وجدت توجّهات متعصبة داخل الكنيسة فهي تبقى محدودة ومعزولة، أما النهج العام فيشدد على رفض الاضطهاد الديني والتمييز بين الناس على أساس أديانهم ومذاهبهم.

في المقابل لا يزال الدين يستخدم في مجتمعاتنا الإسلامية لأغراض التبعية والتحريض، حيث يتجه الخطاب الديني في معظمه نحو تعبئة الأتباع ضدّ الأطراف الأخرى، ورغم أنّ مجتمعاتنا تعجّ بالمشاكل الاجتماعية والأزمات الاقتصادية، إلّا أنّ الخطاب الديني فيها لا يجد نفسه معنيًا بكلّ ما يجري، وعوضًا عن ذلك تراه غارقًا في الخلافات العقديّة والمسائل المذهبية، وإثبات الأحقية الدينية لفريقه وبطلان موقف الفرق الأخرى، والولوع بعيدًا في القضايا التاريخية. إنّ هذه التبعية، والفعل وردّ الفعل، هي التي تخلق الأجواء للظواهر العنيفة الإرهابية والتوجّهات التعصّبية.

### عوامل نجاح مفهوم التسامح

لقد ساهمت مجموعة من العوامل على نحوٍ كبير في نجاح مفهوم التسامح في أوروبا، منها:

١. قيام دولة المواطنة، والفصل بين السياسة والكنيسة. فبعد قرون طويلة من تحالف الكنيسة مع السلطة السياسية، ذلك التحالف الذي خوّل القيصر حقّ تولّي الشأن البشري، فيما أتاح للكنيسة الهيمنة على الجانب الروحي، قامت بعدها دولة المواطنة، ومحورها أنّ الحكومة ليست سوى جهاز لتسيير





مصالح المواطنين وحمايتهم، وتوفير الخدمات لهم، ولا شأن للسلطة السياسية بأديان وعقائد وآراء المواطنين، الذين لهم وحدهم حق اختيار عقائدهم وآرائهم. إن قيام دولة المواطنة هو الذي ساهم في تحويل مفهوم التسامح إلى حقيقة واقعة في المجتمعات الغربية.

٢. إقرار مبادئ حقوق الإنسان. تلك المبادئ التي تعني الاعتراف لكل إنسان بحريته في كل ما يتصل باختياراته الفكرية والعقدية والسياسية، وأنه لا يجوز النيل من أي إنسان على خلفية لونه أو دينه أو رأيه. عندما أقرت المجتمعات الغربية مبادئ حقوق الإنسان في أعقاب الثورة الفرنسية، والثورة الأمريكية بعد ذلك، وأقرتها الأمم المتحدة في وقت لاحق، ساهم جميع ذلك في تأكيد مفهوم التسامح.

٣. نشر ثقافة التعددية واحترام الآخر. لقد أخذت ثقافة التعددية طريقها ضمن مناهج التعليم، ووسائل الإعلام، والخطاب العام، وهذا بأجمعه ساهم في تعزيز مبدأ التسامح في الفضاء العام. ولا عبرة لبعض الحالات الشاذة التي قد تخرق القاعدة. ولعل أبرز مثال على ذلك، هو استضافة تلك المجتمعات لملايين من العرب والمسلمين الهاربين، من أجواء البطش والقمع السياسي والحروب الأهلية في بلادهم، ليجدوا هناك متسعاً كبيراً في ممارسة حياتهم السياسية والدينية والاجتماعية، ولعل أكثركم تابع خبر سماح إحدى الكنائس الأمريكية للمسلمين بإقامة صلاة الجمعة تحت قبة الكنيسة نفسها، تعبيراً عن الاحترام للإسلام والمسلمين!

### غياب التسامح في مجتمعاتنا

إن مجتمعاتنا العربية والإسلامية لا تزال تفتقد قيمة التسامح في حياتها. وإذا كان هناك من مفارقة كبيرة، فهي أن منطقتنا العربية طالما وصفت بمهد الديانات، فقد كانت مهبطاً لجميع الديانات السماوية؛ اليهودية والنصرانية والإسلام، لكنها





باتت تفتقر للتسامح الديني بدرجة كبيرة. ولعلّ سبب غياب التسامح في مجتمعاتنا ذات التاريخ الديني الضارب في القدم، لا يخرج عن اثنين؛ الاستبداد السياسي، والاستعمار الأجنبي، اللذين ساهما، على نحوٍ أو آخر، في تحويل الدين أو المذهب إلى جزء من الهوية، فالناس كلّمًا شعروا بأدنى تهديد أو مساس بهويتهم، ازدادوا تشبُّثًا بأهدابها. من هنا تشكّلت في مجتمعاتنا ما يمكن أن نصفها بالعقدة الدينية، التي غالبًا ما يصاحبها التعصّب والتنازع والاحتراب الديني، الذي ربما تتمظهر - في حدّها الأدنى - في الجدل الديني والمذهبي العقيم، الذي لا يكاد يخلو منه منبر أو خطاب ديني، خطاب لا يكاد يغادر الانشغال بجدلية قلنا وقالوا، والاستماتة في إثبات أننا وحدنا أهل الجنة وغيرنا في النار!. فيما قد تصل هذه العقدة الدينية إلى أقصى درجاتها المتمثلة في تصاعد أعمال الإرهاب والنزاعات الدموية الناشئة في كثير من مناطق عالمنا العربي. فمتى تتجاوز مجتمعاتنا الدينية نزعة التعصّب لتعيش حالة التسامح؟.

إنّ سبيل الخروج من حالة التعصّب الديني، وإرساء حالة التسامح في مجتمعاتنا، لا تنفك بأيّ حالٍ عن ضرورة قيام دولة المواطنة، واحترام حقوق الإنسان. ذلك أنه ما لم تقم دولة المواطنة، فسيبقى الباب مشرّعًا أمام التعصّب الديني والمذهبي، وما لم يكن هنالك إقرار لمبادئ حقوق الإنسان، فستستمر حالات انتهاك حقوق الإنسان، من خلال فرض رأي أو مذهب وعقيدة معينة على سائر الناس، والتضييق على أصحاب الأديان والعقائد الأخرى، ومنعهم من إقامة شعائرهم الدينية.

### نزعة التعصّب

وعلى النقيض من حالة التسامح، تسود في مجتمعاتنا نزعة التعصّب الديني. فهناك وسط كلّ جماعة دينية اتجاه نحو زرع الكراهية، وشحن الأتباع بسوداوية تجاه المخالف السيء، المتمسك بالباطل، الذي لا مصير له سوى جهنم!. هذه النزعة تجاه شيطنة الآخرين، هي غالبًا ما تزرع بذور التعصّب والنزاع والاحتراب







الديني بين الناس، سيما إذا عمد المتعصبون إلى الاتكاء على أحداث التاريخ بكامل حمولته السلبية، وتجسير التراث الديني لإسباغ الصبغة الدينية على ثقافة التطرف، كل ذلك في سبيل خدمة وتعزيز النزعة التعصبية.

إن مجتمعاتنا العربية والإسلامية في أمس الحاجة إلى إعادة قراءة تراثها الديني، للخروج من حالة التعصب. ولعل قراءة فاحصة للنصوص الدينية، ربما تفاجئ المتدينين المتعصبين، لما فيها من نهى قاطع عن الانشغال أو التدخل في عقائد الآخرين، وكل ما يطلب من المؤمن فعله، أنه إذا وجد فرصة لدعوة الآخرين للإسلام، فليدعهم شريطة أن يكون ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، لا بالتراشق واستخدام الشتم والسب، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، هذا على مستوى الدعوة. أما على مستوى الدخول في الجدل والنقاشات مع أهل الأديان والمذاهب الأخرى، فذلك أيضاً مشروط بالمجادلة التي هي أحسن، تبعاً لقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، فهذا هو منهج القرآن، وما عدا ذلك لا صلة له بالدين.

لقد نصّب بعض المتدينين المتعصبين أنفسهم شرطة على آراء وتوجهات الناس. وهذا أبعد ما يكون عن الدين، فالدين في حقيقته منزّه عن حالات التعبئة والحض على الكراهية، وإثارة الأحقاد، ضد الآخرين الذين لا يوافقوننا الرأي. وما شأن المتعصبين باعتناق زيد من الناس هذا الدين أو تلك العقيدة؟!، وما الذي يعنيه إن تبنّى عمرو مذهباً أو عقيدة أخرى؟! وما دخلهم في تبنّي فلان هذا الرأي، أو رفض علان لتلك الفكرة؟!، هل هم وكلاء على خلق الله؟! أم أنهم أشدّ حرصاً على الدين من الخالق سبحانه؟!، وقد خاطب نبيه بقوله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ \* وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾!





## لا وصاية لأحد على أفكار الناس

هناك منظومة عمادها العشرات، ولربما المئات، من الآيات التي تصبّ في اتجاه نبذ التعصب الديني. والغريب أنّ المتعصّبين يطوون عنها كشحاً، ويتشبّثون ببضع آيات منتزعة من سياقها. أو لم يقرأ هؤلاء الآية الكريمة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، أوليس مضمون ذلك أن إكراه الناس على الخضوع لرأي ديني معيّن أمر مرفوض جملة وتفصيلاً!، علماً أنّ هذه الآية جزء من آية الكرسي التي يتواتر الاستحباب في قراءتها في العديد من الأوراد، والتي تكمل بقوله تعالى: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾.

وقد جاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾، وتشير الآية إلى الاكتفاء بالتبليغ والنأي تماماً عن نزعة التدخل لإرشاد الناس عنوة. نعم، إذا ما أتاحت الفرصة للدعوة وعرض جوانب الدين على النحو المناسب، وبالتقيد بالضوابط التي حددها الشرع، فللمرء أن يفعل ذلك. وبخلافه تنهى الشريعة نهياً قاطعاً عن منازعة الآخرين، تحت مزاعم الدعوة للدين، وما هي إلا الأنانية التي يسعى من خلالها البعض للتسلط على آراء وأفكار الناس.

حقيقة الأمر، أنه ليس من شأن أحد التدخل في آراء وعقائد الآخرين تحت أيّ ذريعة كانت. تماماً كما أن الإنسان لا دخل له بما يأكل أو يشرب الآخرون، كذلك الأمر فيما يتعلق بالقناعات والعقائد والأفكار، فلا مدخلة لأحد في هذا الشأن من قريب أو بعيد.

إنّ هذا ما توجه إليه الشريعة، وتصرح به الآيات الكريمة، قال تعالى: ﴿فَاتَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾. وفي ذات السياق، وردت روايات كثيرة، منها ما رواه أبو بصير قال: «قلت لأبي جعفر الإمام محمد الباقر أدعو الناس إلى ما في يدي؟، قال لا، قلت إن استرشدني أحد أرشده، قال نعم،





إن استرشدك فأرشدته، فإن استزادك فزده، وإن جاحدك فجاحده»<sup>(١)</sup>، ومضمون ذلك أن المرء ليس مطلوباً منه دعوة الآخرين لاعتناق ما يؤمن به، أما إذا طلب الآخرون منه إرشادهم فإنّ عليه إرشادهم وحسب، فإذا طلبوا زيادة في الإرشاد فله أن يفعل، ولينأى عن ذلك متى ما لمس من الآخرين الجحود.

وعن ثابت بن سعيد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا ثابت، ما لكم وللناس، كُفّوا عن الناس ولا تدعوا أحداً إلى أمركم، فوالله لو أن أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يهدوا عبداً يريد الله ضلّاته ما استطاعوا على أن يهدوه، ولو أن أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يضلوا عبداً يريد الله هدايته ما استطاعوا أن يضلّوه، كُفّوا عن الناس ولا يقول أحد: عمي وأخي وابن عمي وجاري، فإنّ الله إذا أراد بعبد خيراً طيّب روحه، فلا يسمع معروفاً إلا عرفه، ولا منكراً إلا أنكره، ثم يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره»<sup>(٢)</sup>. وبقوله: «ما لكم وللناس، كُفّوا عن الناس» كأنما يستنكر على بعض شيعته التدخّل في عقائد الناس!. هذه الروايات جاءت ضمن سياق اندفاع بعض أصحاب الأئمة تجاه دعوة الناس لمذهب أهل البيت.

إنّ أئمة أهل البيت ليسوا في وارد منع الدعوة إلى الخير، بقدر ما هم أحرص على النأي عن صناعة التوتر والأزمات، وتخريب الوضع الاجتماعي. فالدعوة والتبشير بالآراء والعقائد إذا جاءت ضمن سياقها الطبيعي المناسب فهي أمر مرحّب به، وعلى النقيض من ذلك إذا جاءت ضمن سياق النزاع والاحتراب، فذلك أمر مرفوض جملة وتفصيلاً.

لقد ابتلي الإسلام بثلة من المتعصّبين، الذين يريدون فرض تديّنهم وقناعاتهم على الآخرين طوعاً أو كرهاً. والغريب أنّ هذه الحالة الإكراهية السيئة انسحبت حتى

(١) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ١٩١، حديث ٢١٣١٨.

(٢) الكافي، ج ١، ص ١٦٥.





على الداخل المذهبي نفسه، حتى باتت منابر رئيسة تبدد أوقات الناس في استعراض الجدالات العقيمة التي أكل عليها الدهر وشرب، في انصراف تام عما يهم الناس ويحفظ حياتهم ويصلح معيشتهم.

ونحن نحتفي باليوم العالمي للتسامح ينبغي أن نعود إلى مبادئ ديننا النقية. ولعلّ إطلالة على الآية الكريمة ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، تفيدنا هذه الآية الكريمة أن الله يأمر نبيه أن يبين دعوته للناس من المتممين للديانات الأخرى وهم أهل الكتاب، ومن غيرهم، وأنهم أصحاب القرار والاختيار لأنفسهم، فإن استجابوا لدعوة الرسول ﷺ فقد اهتدوا إلى الحق، وإن لم يستجيبوا فهم أحرار، ومسؤولية الرسول ﷺ تنتهي عند حدود التبليغ، ثم ترك المسألة بين الناس وربهم المطلع على أمورهم.

من هنا، نحن أحوج ما نكون كأفراد ومجتمعات ومؤسّسات إلى تعميق مفهوم التسامح في حياتنا، على المستوى العائلي، وعلى مستوى الخطاب الديني، فالواجب الحرص على أن يكون الخطاب الذي نصغي إليه ملتزمًا بمفهوم التسامح، وإذا ما كنّا نطالب الآخرين بوجوب التزام الخطاب المتسامح معنا، فإن الواجب علينا نحن فعل الشيء نفسه، ولا يليق أبدًا بالإساءة للآخرين تحت مزاعم الحق في التعبير عن الرأي، فالحق في التعبير مكفول للجميع، لكنّ العدوان والإساءة للآخرين والتحريض عليهم أمر مرفوض قطعًا أيًا ما كان مصدره.

آن الآوان أن تفكّر أمّتنا، حكومات وشعوبًا وجماعات ومؤسّسات دينية، في أن تتجاوز هذه الحالة، وأن نعيش في وئام وسلام، وأن نتفرغ جميعًا نحو تنمية أوطاننا ومعالجة مشاكلنا وتحقيق التقدم العلمي والتكنولوجي والاقتصادي فيها، كما تفعل المجتمعات المتحضرة.





## اليوم العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة؟

### كيف نواجه العنف ضد المرأة

أورد ابن عساكر عن عليّ عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم»<sup>(١)</sup>.

شاءت الحكمة الإلهية أن يتصف كلُّ من الرجل والمرأة بصفات متفاوتة، وأن يضطلعاً بأدوار مختلفة في هذه الحياة. ومن ذلك أن تظهر سمات القوة والخشونة في شخصية الرجل، وأن يتجلّى العطف والحنان في شخصية المرأة. لأن طبيعة دور الرجل في الحياة تتطلب جانباً من القوة الجسدية، وطباعاً أقرب إلى الصلابة والخشونة.

أمّا طبيعة الدور الإنساني العظيم الذي تقوم به الأنثى في الحياة، فيقتضى أن تكون شخصيتها ممتلئة بالعطف والحنان والنعومة، وهذا الجانب العاطفي تحديداً هو ما يحتاجه الذكر من شقّه الآخر، أي الأنثى، بدءاً من اللحظة التي يتكون جنيناً في رحمها، لتتحمل عندها آلام الحمل، ثم مخاض الولادة الخطير، ذلك المخاض الذي لو خيرت أيّ امرأة تكابده بين حياتها وحياة مولودها، لآثرت معظم الأمّهات

(١) ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٣، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، (بيروت: دار الفكر)، ص ٣١٣.





حياة وليدها على نفسها.

إنّ الحنان الذي يتغذى منه الإنسان مع حليب أمه، حين تحوطه بأحضانها، وتفديه بنفسها، وتغمره برعايتها، ليلاً ونهاراً، هو ذات الحنان والعطف الذي يحتاجه الرجل من المرأة، حتى يبنيا معاً حياة زوجية سعيدة، حيث تجتذبه بنعومتها وعطفها وحبها، وذلك بأجمعه ما ينبغي أن يكون محلّ تقدير الرجل.

إلا أنه وعلى العكس من ذلك، كانت هذه الرقة والحالة العاطفية عند المرأة في الكثير من الأحيان دافعاً لاستقواء الرجل عليها، ولعلّ ذلك انعكاساً لطبيعة الإنسان عند الشعور بالقوة تجاه من هم أضعف منه، حيث يجد في ذلك إغراءً وتشجيعاً على الاعتداء والتجاوز على حقوق الآخرين، وهذا عين ما نجده من تعسف السلطات بحق الشعوب، وتجبرّ الأغنياء على الفقراء، وتعتت أرباب العمل على العاملين، في مصداق للآية الكريمة: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ \* أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾.

### لا زالت المرأة تعاني العنف

ورغم التقدم الهائل الذي شهدته البشرية، إلا أنّ المرأة لا تزال محلاً للعنف والعدوان الصادر عن الرجل. مع تطور أوضاع المرأة في العصر الراهن، على نحو مغاير لمعظم فترات التاريخ، بحيث لم تعد المرأة اليوم كما كانت بالأمس، سيما وقد امتلكت كثيراً من مقومات القوة التي كان ينفرد بها الرجل، على مرّ العصور، فقد أصبح بيدها المال والعلم والمكانة الاجتماعية والوظيفية، وبالرغم من كلّ ذلك لم تتجاوز المرأة بعد حالة المعاناة من العنف والعدوان الصادر عن الرجل.

ولعلّ أبرز دليل على ذلك هو إعلان منظمة الأمم المتحدة يوم ٢٥ نوفمبر من كل عام، باعتباره يوماً دولياً للقضاء على العنف ضد المرأة، حيث لا تزال المرأة ضحية العنف والعدوان على شخصيتها وحقوقها في معظم دول العالم.

واللافت أنّ الإحصاءات الأمامية، بحسب شعبة السكان في الأمم المتحدة، تشير





إلى أن النساء يمثلن ٧, ٤٩ بالمئة من تعداد السكان العالمي، أي إنهن يمثلن أقل من نصف البشرية بنسبة ضئيلة، لكنهن مع ذلك كنّ ولا زلن يمثلن النسبة العظمى من ضحايا العنف، في الدول النامية والدول المتقدمة على حدّ سواء.

فقد أشارت الإحصاءات الصادرة عن الأمم المتحدة بمناسبة اليوم العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة، إلى أرقام مزعجة، ففي الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، تتعرض امرأة للضرب على يد زوجها أو شريكها كل ١٥ ثانية، وفي روسيا تتعرض ٣٦٠٠ امرأة للضرب يوميًا على أيدي أزواجهنّ.

### لماذا تضطهد المرأة؟

هناك جملة من الأسباب تقف خلف تزايد حالات الاعتداء والعنف ضد المرأة. فبالإضافة إلى تفشي حالة الاستقواء الجسدي على المرأة عند الرجال عامة، هناك أيضًا ثقافة سائغة عند كثير من المجتمعات تبرّر هيمنة الرجل على المرأة، لمجرد كونها امرأة وحسب.

والأنكى من ذلك حين تسبغ الصبغة الدينية لحالة الهيمنة الذكورية على المرأة في المجتمعات المحافظة، مع أن الدين لا يقبل بالظلم على أيّ نحوٍ كان، بل العكس هو الصحيح، فالدين يدعو لتقدير المرأة واحترامها.

فقد أورد ابن عساكر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهنّ إلا لئيم»<sup>(١)</sup>. واللافت أنّ القناعات السائدة وسط النساء أنفسهن قد تشكل عاملاً آخر من عوامل انتشار العنف ضد المرأة، فقد أشارت الإحصاءات إلى أن ٥٠ بالمئة من النساء في العالم يعتقدن أنّ العنف المرتكب ضدهنّ من قبل الرجل هو عنف مبرّر، ما يعني القبول ضمناً بالوقوع ضحية للعنف المرتكب بحقهن، وذلك

(١) تاريخ دمشق، ج ١٣، ص ٣١٣.





بالنظر إلى نمط التربية النفسية والمجتمعية التي درجن عليها.

### لا بُدَّ من تغيير ثقافي

لقد آن الأوان لأن تتغيّر ثقافة القبول بوقوع المرأة ضحية العنف، تحت غطاء أو آخر، في مختلف المجتمعات. ولعلّ من وسائل التغيير على هذا الصعيد، أن يجري تصحيح الثقافة الدينية الشائعة، من خلال إثارة النصوص الدينية الصحيحة التي تحترم كيان المرأة، وتوصي بها خيرًا، وكم في القرآن الكريم وفي السنة الشريفة من النصوص التي تشيد بمكانة المرأة، طفلة وأختًا وزوجة وأمًّا؟ لكنّ النصوص الأكثر انتشارًا هي التي تدعم المزيد من هيمنة الرجل على المرأة، مع ما يصاحب تلك النصوص من ترجمة متعسفة، وعلى النحو الذي يخدم حالة الاستقواء على المرأة، ومن ذلك الآية الكريمة ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾، إلى جانب الأحاديث الواردة في هذا السياق، من قبيل «لو كنت أمر أحدًا بالسجود لأحدٍ، لأمرت المرأة بالسجود لزوجها».

في مقابل ذلك يجري تجاهل كثير من النصوص الأخرى التي تؤكّد مكانة المرأة، ومن ذلك النص الوارد عن النبي ﷺ: «الجنة تحت أقدام الأمّهات»<sup>(١)</sup>، و: «تحت أقدام الأمّهات، روضة من رياض الجنة»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية أخرى: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، مَنْ أَبْر؟ قال: أُمَّكَ، قال: ثم مَنْ؟ قال: أُمَّكَ، قال: ثم مَنْ؟ قال: أُمَّكَ، قال: ثم مَنْ؟ قال: أُمَّكَ، قال: ثم مَنْ؟ قال: أُمَّكَ»<sup>(٣)</sup>، وفي صحيح مسلم: «قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ قَالَ أُمَّكَ ثُمَّ أُمَّكَ ثُمَّ أُمَّكَ»<sup>(٤)</sup> أو ليست هذه الأم هي نفسها المرأة التي يجري تبرير الهيمنة عليها بكلّ السبل.

(١) كنز العمال، ج ١٦، ص ٤٦١، حديث ٤٥٤٣٩.

(٢) مستدرک الوسائل، ج ١٥، ص ١٨١، باب ٧٠، حديث ٤.

(٣) وسائل الشيعة، ج ٢١، ص ٤٩١، حديث ٢٧٦٧٠.

(٤) صحيح مسلم، كتاب البرِّ والصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، ص ١٣٧٩، حديث ٢٥٤٨ / ٢.







وقد ورد في السياق نصوص كثيرة تحض على حسن التعامل مع الزوجة، والنهي عن إيذائها، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا وإن الله عز وجل ورسوله بريئان ممن أضرب امرأة حتى تختلع منه»<sup>(١)</sup>، أي إن الله سبحانه ورسوله بريئان ممن يضرب بامرأته حتى يلجئها إلى طلب الطلاق منه، كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إني لأعجب ممن يضرب امرأته وهو بالضرب أولى منها»<sup>(٢)</sup>، وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إن النساء عند الرجال لا يملكن لأنفسهن خيراً ولا نفعاً، وإنهن أمانة الله عندكم فلا تضاروهن ولا تعضوهن»<sup>(٣)</sup>.

هنا يمكن القول إنه لا عبرة للحالات القليلة الشاذة التي تكون فيها المرأة هي المعتدية على الزوج، فلا يمكن تبرير حالات الاعتداء على المرأة بوجود نسبة من حالات الاعتداء الصادرة عن بعض النساء ضد أزواجهن. إن مجتمعاتنا الإسلامية في أمس الحاجة للثقافة التي تعيد للمرأة كرامتها. سيما وقد أصبحت مظاهر إيذاء المرأة، والعنف الأسري في مجتمعاتنا، تنال من سمعة ديننا الحنيف، وتشوه صورته على مستوى العالم.

### حتى نعرف قدرها

ولغرض إدراك قيمة المرأة واحترام مكانتها، ينبغي فهم أدوارها العظيمة في الحياة. ويذكر في هذا السياق أن مستشفى صينياً عرض القيام بتجربة مصطنعة، على رجال متطوعين، توضح مدى المعاناة والآلام التي تتاب المرأة، أثناء المخاض والولادة، وقد استجاب للتجربة نحو ١٠٠ رجل، وتم وضع أجهزة فوق منطقة البطن عندهم، بحيث تحدث الأجهزة صدمات كهربائية مشابهة لآلام الولادة، لمدة تتراوح بين خمس وعشر دقائق، وكانت تلك كافية للتسبب بأوجاع مبرحة،

(١) ثواب الأعمال، ص ٢٨٧.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٤٩، حديث ٣٧.

(٣) جامع أحاديث الشيعة، ج ٢٠، ص ٣٢٦.





تجعل المتطوع يتلوى ألمًا، حتى إن أحد المتطوعين لم يستطع تحمل الآلام لأكثر من دقيقة إلى دقيقتين فقط، وانسحب من التجربة، ويقول القائمون على التجربة إن أكثر المتطوعين لم يستطيعوا تحمل آلام التجربة المصطنعة، مع أنّها لا يمكن أن تضاهي آلام الولادة الحقيقية<sup>(١)</sup>. ينبغي للرجل أن يدرك حجم الألم الذي تكبّده زوجته لتنجب له أطفالًا، فهي بين الحمل والولادة كانت في حقيقة الأمر بين الحياة والموت، هذا إن لم تكن شارفت على الموت فعلاً، فكيف للرجل أن يكافئها على صنيعها هذا.

إنّ قسوة الأزواج على زوجاتهم تترك أثرها السلبي والدائم في نفوس الأبناء. ويؤكد تقرير علمي نفسي أنّ علاقة الرجل بأبنائه تتأثر إلى حدّ كبير بعلاقته بزوجه أمّ أطفاله، ويعلل التقرير بأن الأولاد الصغار الذين يرون أباهم يسيء معاملتهم بالضرب والاهانة، فإن انعكاس ذلك يكون مدمّرًا على نفسيّتهم ومشاعرهم؛ لكونهم يرون أمّهم التي يعتبرونها ملجأهم الأخير في تلك الحالة المزريّة.

وتشير الإحصاءات إلى أنّ نسبة كبيرة من الأبناء الذين يكرهون آباءهم وقد يُسيئون إليهم، إنما يفعلون ذلك نتيجة لرد فعلهم على ما رأوه من سوء معاملة الآباء لأمهاتهم، ولا تفسير لتصرف الأبناء إلاّ بأنه نوع من الانتقام اللاواعي من تصرف الأب بحقّ أمّهم، ويضيف التقرير أنه بالرغم من اعتقاد بعض الآباء أنّ زوجاتهم هن من يقمن بزرع كراهية الأبناء لهم، إلاّ أنّ ذلك الاعتقاد خاطئ جملة وتفصيلاً، فما يلحظه الأبناء من سوء معاملة الأب لأمّهم هو الذي يزرع شيئاً من الكراهية في نفوسهم تجاه الأب.

ولطالما سمعنا من الأبناء حتى العقلاء والمتديّنين منهم ممن يأتون على سيرة آبائهم الراحلين بالإشادة، إلاّ أنّهم لا يملكون مع ذلك إلاّ التصريح بمرارة عن

(١) صحيفة الرياض، الاثنين ١٧ محرم ١٤٣٦هـ الموافق ١٠ نوفمبر ٢٠١٤م، العدد ١٦٩٤٠.





مأخذهم على قسوة الأب على أمهم، وكأن ذلك الجرح النفسي يأبى أن يندمل في نفوسهم. لذلك ينبغي للأب الذي يحبّ أبناءه ويريد إكرامهم، أن يضع في اعتباره أنّ تعامله مع زوجته (أمهم) له دور كبير في إشعار الأبناء بالكرامة والتقدير.

علينا جميعاً بمناسبة اليوم العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة، أن نستذكر جهود أمهاتنا، وأن نستمطر لهنّ الرحمات. وأن نقابل جهود وأتعب زوجاتنا بالتقدير، وأن نحترم مشاعر بناتنا، كما يعلمنا الدين، وتربينا تعاليم النبي ﷺ الذي كان مضرب المثل في التعامل الحسن مع زوجاته وبناته، ذلك التعامل الذي ينبغي أن نقنّدي به وهو القائل ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي».







## اليوم العالمي للإيدز

### ثلاثون عامًا على اكتشاف مرض الإيدز

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم، الآية: ٤١].

ترتكز الحياة على منظومة من السنن والقوانين، وأي مخالفة من الإنسان لشيء من هذه السنن والقوانين فسوف يواجه ارتداد ذلك عليه. إن ما تحمله الشرائع السماوية من أحكام وضعت لتكون منسجمة مع سنن الحياة وقوانين الكون، لكن الإنسان قد لا يعرف كثيرًا من مضامين هذه السنن والقوانين فيقوم باختراقها، ولربما علم لكنه يتساهل في الالتزام، أو يغفل عن ذلك، فترتد عليه المضاعفات.

لذلك فإن معظم ما يصيب البشر من مفاسد وأضرار هو بسبب مخالفتهم لسنن الحياة، ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «ما من نكبة تصيب العبد إلا بذنب»<sup>(١)</sup>، وفي الآية الكريمة يقول تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ والفساد هو الخلل، وهو مقابل الصلاح، هذا الخلل الذي أصاب مختلف مجالات الحياة، وحسب تعبير الآية: ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾. إنما يحصل: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ لأنهم خالفوا القوانين والسنن الحاكمة على الكون والحياة، جهلاً أو تساهلاً فارتدت عليهم

(١) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٣٠١.





المضاعفات. وورد عن الإمام علي الرضا عليه السلام: «كلّما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون، أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون»<sup>(١)</sup> أي كلما اخترق البشر قوانين وسنناً في هذه الحياة، ظهرت لهم بلائات لم يكونوا يعرفونها، كما نشهد في كل فترة انتشار مرض من الأمراض.

### مرض الإيدز

مرّ على العالم البشري ثلاثون عامًا لظهور مرض الإيدز، حيث تم اكتشافه عام ١٩٨١م في وسط مجموعة من الرجال المثليين في لوس أنجلوس بكاليفورنيا من قبل الطبيب الأمريكي مايكل غوتليب. وبهذه المناسبة عقدت الأمم المتحدة في نيويورك بتاريخ ٨ يونيو ٢٠١١م مؤتمرًا شارك فيه رؤساء ووزراء ومستشارون من ثلاثين دولة، لتقويم ودراسة وضع هذا المرض في العالم. حيث إن انتشاره يهدد المجتمع البشري، فقد نشرت منظمة الأمم المتحدة إن ٣٤ مليون شخص مصابون حاليًا بمرض نقص المناعة المكتسب (إيدز) حتى نهاية العام الماضي، في وقت كشفت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) عن وجود أكثر من ١٦ مليون طفل يتيم بسبب المرض. وجاء في تقرير الأمم المتحدة أن ستين مليونًا أصيبوا بالمرض منذ بداية انتشاره في الثمانينيات وإن ثلاثين مليونًا منهم توفوا.

ويصاب سبعة آلاف شخص في العالم كل يوم بمرض الإيدز منهم ألف طفل يوميًا.

هذا المرض الخطير الذي أقلق العالم ما حقيقته؟ وما هي أسبابه؟

من حكمة الله سبحانه وتعالى أن خلق في جسم الإنسان جهاز مناعة، فقد يواجه جسم الإنسان ميكروبات ودخول أجسام غريبة كالجراثيم، وذلك يسبب له خللاً وأمراضًا، ودور هذا الجهاز الذي يتكون من كريات الدم البيضاء، ضمن مجموعة

(١) الكافي، ج ٢، ص ٢٧٥.





خلايا يطلق عليها الخلايا الليمفاوية، تتصدى لمكافحة ومقاومة هذه الميكروبات والأجسام الغريبة الوافدة إلى الجسم. وقد حير هذا الجهاز المكافح لحماية الإنسان من داخله الأطباء والعلماء، حيث إنهم يرون بأن الجنين حينما يتكون في رحم المرأة، يكون نصفه من الأب فهو جسم غريب، ولكن جهاز المناعة مسالم معه، ولا يقوم بمهاجمته! وحين يقوم الأطباء بزراعة عضو جديد كالكلية أو الكبد في جسم الإنسان، فإنهم يواجهون مشاكل مع جهاز المناعة، فإذا أضعفوا هذا الجهاز تضرر جسم الإنسان، وإذا مكّنه فإنه يرفض الجسم الجديد. وهذا كله يدل على قدرة الله وحكمته البالغة.

لكن هذا الجهاز المقاوم للميكروبات والجراثيم الغريبة قد تدخل عليه (فيروسات) تقوم بمهاجمة كريات الدم البيضاء التي يتشكل منها نظام المناعة، وعندها يبدأ جسم الإنسان بالتضعف، وأي جرثومة تصيبه تفتك به، حتى ينتهي به الأمر غالباً إلى الوفاة.

الإصابة بهذا الفيروس الذي يقضي على جهاز المناعة يسمى مرض الإيدز، ويعرف علمياً بأنه اعتلال خطير ينتج عن عجز مقدرة أجهزة المناعة في الجسم على محاربة الأمراض.

### أسباب انتقال المرض

#### السبب الأول:

عن طريق الاتصال الجنسي، سيما الاتصالات الجنسية غير المشروعة كالعلاقات الشاذة (اللواط) أو ممارسة الجنس مع المومسات.

#### السبب الثاني:

انتقال الدم الملوث إما بداعي العلاج، أو بسبب أمور عادية مثل موسى الحلاقة، وكذلك الحقن التي يستخدمها مدمنو المخدرات، ولذلك يزداد انتشار مرض الإيدز





في أوساط المدمنين.

### السبب الثالث:

نقل الأم المصابة المرض إلى جنينها.

هذا المرض سببه الرئيس الذنوب والمعاصي التي يرتكبها البشر حينما تكون العلاقات الجنسية خارج الإطار المشروع، وحينما لا يكون هناك مراعاة لسائر القوانين والأنظمة الصحية. كانت مجتمعاتنا الإسلامية بعيدة عن هذه المنزقات، لكن بسبب الانفتاح على المجتمعات الأخرى، وحصول الانحرافات الجنسية، أصبحت مجتمعاتنا مهددة بانتشار هذه الأمراض. تقول إحدى المصابات لإحدى الصحف: «أنا ضحية زوجي لا سامحه الله، فقد نقل لي المرض بعد سفره إلى تايلاند، ويبدو أنه التقط المرض من إحدى المومسات ونقله لي، وأنا الآن في انتظار الموت ولا يؤرقني إلا ترك بناتي دون أم بعد أن ضيعنا الأب».

وحسب إحصائيات رسمية، فإنه في المملكة العربية السعودية منذ عام ١٩٨٩ وحتى ٢٠٠٩م رصدت ٢١٣, ١٥ حالة إصابة بالإيدز، وقد مثلت العلاقات الجنسية حوالي ٩٥٪ من طرق العدوى، تليها العدوى من الأم إلى الجنين ٣٪ ثم تعاطي المخدرات بالحقن ٢٪. هذا الرقم هو ما دعا إلى تكوين جمعية تعنى بالوقاية من هذا المرض، والعناية بالمصابين به، فصدر قرار وزير الشؤون الاجتماعية بتاريخ ١٤٢٩/٩/٢٢هـ بتسجيل (الجمعية السعودية الخيرية لمرضى الإيدز) بمحافظته جدة، تكون مهمتها المساعدة في علاج المصابين، والعناية بأوضاعهم الاجتماعية، حيث إن المصاب قد يعاني من تهميش وعزل اجتماعي، في حين أن اكتساب المرض ليس دائماً بسبب الانحراف الجنسي أو الإدمان، فقد يحصل بسبب العدوى، والناس لخوفهم من العدوى فإنهم حذرون جداً في التعامل مع المصابين به.

ويكلف علاج المريض الواحد في السنة ١٢٠ ألف ريال، وسعر أقل عبوة دواء







تصل قيمتها ٥٠٠٠ ريال. ومنذ ثلاث سنوات اعتمد فحص الإيدز ضمن الفحوصات التي تجرى قبل الزواج، وتكلفة فحص الإيدز من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ ريال.

نحن بحاجة إلى التوعية بهذا المرض، وأسباب حصوله، وكيف نتعامل مع المصاب؟ فالمصاب إنسان، وقد تكون إصابته ناتجة عن عدوى وليست عن إجرام، وحتى لو كانت بسبب الانحراف فهي لا تعني أن نتجاوز حقوقه كإنسان، ونتخلى عن العناية به.

تسعى منظمة الأمم المتحدة إلى القضاء على الإيدز بحلول عام ٢٠١٥ وتحقيق ما سمي بالأصفار الثلاثة، وهي: صفر الإصابة بالمرض، وصفر في نسبة الوفيات الناجمة عن المرض، وصفر في ممارسة التمييز ضد مرضى الإيدز.

ويتوجب علينا كمسلمين أن نكون أول من يحارب هذا المرض بعلاج أسبابه، وأهمها التزام قوانين وسنن الحياة التي بينها القرآن الكريم، وأبرزها ديننا القويم. كما أن علينا التفاعل مع التوصيات والبرامج الدولية للتعامل مع هذا الداء على المستوى الرسمي والأهلي.







## اليوم العالمي لذوي الاحتياجات الخاصة

### ذوو الاحتياجات الخاصة.. سؤال الأخلاق والتنمية

عن أبي الدرداء قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ابغوني ضُعفاءكم، فإنما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم»<sup>(١)</sup>.

لا يكاد يخلو مجتمع بشري من فئة ذوي الاحتياجات الخاصة. فهناك شريحة في كل مجتمع، يعاني أفرادها من ضعف، أو فقد لبعض القدرات في قواهم الجسمية، أو ادراكاتهم العقلية، نتيجة الإعاقة الطارئة أو العيوب الخلقية، الأمر الذي يؤدي إلى تعويق حركتهم الطبيعية في الحياة، لذلك يوصف أفراد هذه الفئة بالمعوقين، أو ما بات يطلق عليهم في عصرنا الراهن بذوي الاحتياجات الخاصة.

وإن كان هناك من حكمة في وجود فئة ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع، فإنما لتذكير الأسوياء الذين يمثلون الأغلبية الساحقة، بنعم الله سبحانه التي أسبغها عليهم، فهم يتمتعون باكمال القوى الجسمية والعقلية، فيما يرون بين ظهرانيهم من فقدوا بعض قدراتهم. لذلك ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أنه قال: «من نظر إلى ذي عاهة، أو من قد مثل به، أو صاحب بلاء، فليقل سرًّا في نفسه من غير

(١) سنن الترمذي. ج ٢، ص ٥٦٤، حديث ١٧٠٢.





أن يسمعه: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، ولو شاء لفعل بي ذلك»<sup>(١)</sup>، يردّد ذلك الدعاء سرّاً في نفسه، حتى يتذكر نعمة الله عليه، وكى لا يشعر المعاق بالمهانة.

### التحدّي والامتحان الأخلاقي

إنّ وجود فئة ذوي الاحتياجات الخاصة يمثل تحدّيًا وامتحانًا للمجتمع المحيط بهم. وذلك لجهة الكيفية التي ستتعامل بها الأسرة، كما سائر الناس، مع أفراد هذه الفئة، هل يا ترى يحسنون التصرف معهم؟ وينبغي أن يفكر المجتمع الواعي في اجتياز هذا الامتحان على أحسن وجه.

المعاقون جزء لا يتجزأ من مجتمعنا البشري، وإن ابتلوا بنقص في بعض قدراتهم، فإنّ ذلك لا يخرجهم من كونهم بشرًا كسائر الناس، وهم شركاء مع الأسوياء في حقّ الحياة، والتمتع بخيراتها، فالخيرات التي أوجدها الخالق تعالى، لم يجعلها للأسوياء فقط، وإنما هي لكلّ البشر، قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾، أي إنّ سبحانه خلق الأرض لكافة البشر، فإذا كان الشخص المعوق غير قادر على الوصول إلى حقوقه، نتيجة عجزه الجسدي أو العقلي، فإنّ المجتمع مسؤول عن توفير حقوقه وتلبية احتياجاته. وإذا كان هناك من معيار لتجسيد القيم والأخلاق في المجتمع، فإنه سيكون في شكل التعامل الاجتماعي مع فئة ذوي الاحتياجات الخاصة، فإذا ما أحسن المجتمع التعامل مع هذه الفئة الضعيفة، فإنه سيكون أقرب إلى القيم الإنسانية النبيلة.

لقد أولت الشريعة اهتمامًا كبيرًا بفئة ذوي الاحتياجات الخاصة. وقد وردت في هذا الشأن العديد من النصوص، ومن ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ابغوني ضُعفَاءُكُمْ، فَإِنَّمَا تُرَزَقُونَ وَتُنصَرُونَ بِضُعْفَائِكُمْ»، إذا شاء العباد التقرب من خالقهم عزّ وجلّ، فإن الوسيلة إلى ذلك هي الاهتمام بالضعفاء في قدراتهم، العاجزين عن إدارة

(١) بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢١٧، حديث ٢.





حياتهم، فالمهتمون بالضعفاء، والإعاقة من أجل صور الضعف، هؤلاء يستحقون توفيق الله ونصره لهم، وأن يفيض عليهم الخير والنعم.

### هل يمكن تقليل الإعاقات؟

تشير التقارير الدولية إلى ارتفاع ملحوظ في نسب ذوي الاحتياجات الخاصة، على المستوى العالمي. ومن أسباب ذلك ارتفاع متوسط عمر البشر في العالم، والشيخوخة سبب من أسباب الإعاقة، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾، إلى جانب تصاعد نسب الأمراض المزمنة، وارتفاع أعداد الحوادث المرورية العنيفة، وكذلك جرحى الحروب وأحداث العنف، إلى جانب ضحايا الكوارث الطبيعية، وهذه بأجمعها مسببات رئيسة لتصاعد نسب المعوقين في مختلف المجتمعات البشرية. حتى إن بعض التقارير باتت تشير إلى وجود معاق واحد جسمياً أو عقلياً من بين كل عشرة أشخاص في العالم، بل وتذهب بعض التقارير إلى القول إن هناك نحو مليار إنسان معاق، من أصل سبعة مليارات نسمة، هو تعداد البشرية في عصرنا الراهن.

وحقيقة الأمر أن هناك إمكانية كبيرة لخفض نسب الإعاقة في العالم، فيما لو تضافرت الجهود، ووضعت الخطط. وذلك من خلال معالجة مسببات الإعاقة، ومنها الإصابة بالأمراض الوراثية، التي يمكن الحد منها في حال التزام إجراء الفحوص الطبية الشاملة للمقبلين على الزواج، بغرض الوقوف طبياً على مدى ملاءمة الراغبين في الزواج من بعضهم بعضاً، خاصة مع تقدم علم الجينات والهندسة الوراثية.

كما أن تقديم الرعاية الطبية للنساء الحوامل، وتوفيرها أثناء الولادة، إلى جانب رعاية المواليد في سن مبكرة، كل ذلك يوفر على البشرية الكثير من حالات الإعاقة؛ لأن بعض حالات الإعاقة تنشأ نتيجة قصور الرعاية أثناء الحمل، أو خلال الولادة، أو إهمال رعاية المواليد الجدد. لذلك غالباً ما تقل نسب الإعاقة في الدول المتقدمة





التي تتميز بتقديم الرعاية الطبية الملائمة للنساء الحوامل والأطفال، فيما تتضاعف الإصابة في الدول النامية، التي تحتضن ما يزيد على ٨٠ بالمئة من المعاقين في العالم، البالغ عددهم مليار معاق، فيما لا تتجاوز نسبة المعاقين سقف الـ ٢٠ بالمئة في الدول المتقدمة، والسبب وراء ذلك هو اهتمام الدول المتقدمة بمعالجة أسباب الإعاقة بين سكانها، من خلال الرعاية الطبية الجيدة، وتشديد أنظمة المرور للحدّ من نسب الحوادث المرورية العنيفة، إلى جانب الاستعداد الجيد لمواجهة الكوارث الطبيعية، وجميع هذه العوامل تساهم دون شك في خفض نسب الإعاقة إلى الحدّ الأدنى.

### مسؤولية الأسرة والمجتمع

وبمناسبة اليوم العالمي للمعاقين (الثالث من ديسمبر)، الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٨٢، لا بُدّ من الإشارة إلى مسؤولية الأسرة والمجتمع تجاه شريحة المعوقين. حيث تشير الإحصاءات على المستوى المحلي إلى أرقام مذهلة، حول وجود ما يربو على المليون ونصف المليون معاق في المملكة. وهذا ما يلقي على كاهل الجميع مسؤولية أكبر تجاه الاهتمام بأفراد هذه الفئة، بدءاً من الأسرة التي تحتضن المعاق، والتي عليها تعزيز حالة الرضا بقضاء الله وقدره، والتسليم لأمره سبحانه، إلى جانب اعتبار ذلك امتحاناً لا بُدّ من اجتيازه والنجاح فيه وذلك عبر الأمور التالية:

الأمر الأول: من الخطأ البالغ إصابة الأسرة بحالة من الضجر والتذمّر عند ولادة طفل معاق لها، والحال أن ذلك مورد جليّ من موارد الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره، والذي لا يكتمل إلا من خلال تطبيع العلاقة مع الفرد المعاق في الأسرة.

الأمر الثاني: من الواجب النأي التام عن ممارسة القسوة والتشنج، وإيقاع





العقاب على الشخص المعاق عقلياً أو جسمياً، وإنما المطلوب تقدير الوضع الخاص وغير الطبيعي لأفراد هذه الفئة، لجهة الحالة النفسية، وارتباك المشاعر، والتصرف غير السوي، قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾، والمعاق في حقيقة الأمر هو شخص مريض، وذلك ما يفرض على أفراد الأسرة أن يضاعفوا الاهتمام به، وهو لم يختار الإصابة بالإعاقة من تلقاء نفسه، فلا ينبغي القسوة عليه أو إيذاؤه، فذلك حرام شرعاً، بل هو من أشد الحرام؛ لأنّ ظلم أفراد هذه الفئة مصداق من مصاديق «ظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلاّ الله»<sup>(١)</sup>. «ظَلُمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ» كما ورد في نهج البلاغة<sup>(٢)</sup>.

الأمر الثالث: وهو أمرٌ ينبغي الالتفات إليه داخل الأسرة وخارجها إزاء فئة المعاقين، وهو ضرورة تشجيع الشخص المعاق، ورفع معنوياته، ومنحه الفرصة لتفجير طاقاته. وذلك بخلاف ما كان سائداً في أزمان ماضية، عندما كان يُعاب الشخص المعاق، ويتحول إلى مادة للسخرية، والتعرض للتوبيخ والإهانة.

الأمر الرابع: ضرورة تأهيل المعاقين في المراكز المتخصصة. لكي يتسنى لأفراد هذه الفئة فرصة النمو والتطور، سيّما وأن هناك في وقتنا الراهن برامج لتأهيل المعاقين، وإكسابهم المهارات الحياتية المختلفة، وتحسين قدراتهم، وقد كشفت التجارب عن مدى فاعلية مراكز التأهيل على هذا الصّعيد. من هنا ينبغي للأسر التي تحتضن أشخاصاً من ذوي الاحتياجات الخاصة، أن تلحقهم بهذه المراكز التخصصية، كما ينبغي للجهات الرسمية والمجتمع أن يولوا اهتماماً أكبر لإنشاء

(١) الكافي، ج ٢، ص ٣٣١، حديث ٥.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٣١.





مثل هذه المراكز ودعمها، فهي حاجة ملحة، وضرورة إنسانية.

الأمر الخامس: ضرورة الالتفات إلى أنّ الإعانات المادية المخصصة للمعاقين، هي حقّ لهم وحدهم، ولا ينبغي للأسرة أن تتصرف فيها إلاّ لمصلحة المعاق نفسه. إنّ من الخطأ أن تعتمد بعض الأسر إلى استغلال الإعانة الرسمية المخصصة للفرد المعاق في صرفها على شؤون الأسرة الأخرى، بما في ذلك اعتبارها مصاريف زائدة يمكن استغلالها في السفر للحج أو العمرة، أو ما أشبه ذلك. هذه المبالغ مخصصة للصرف على المعاق حصراً، ولا يجوز شرعاً صرفها إلا في مصلحته فقط، فإذا ما صرفت الأسرة من هذه المعونة على أيّ شأنٍ أسريّ آخر، فإنها تكون ضامنة لهذا المبلغ، كالدين في ذمتهم والمتوجب عليهم أداءه للمعاق.

وأخيراً، ينبغي أن تولي الشركات والمؤسسات الوطنية اهتماماً أكبر لفئة ذوي الاحتياجات الخاصة. وذلك من خلال استقطابهم وتدريبهم وتوظيفهم على الوظائف المناسبة لهم، سيّما وأن كثيراً من المعوقين يستطيعون أداء كثير من الأعمال الإدارية والمكتبية. وتشجيعاً على هذا الأمر حرصت وزارة العمل على اعتبار توظيف الشخص المعاق موازياً لتوظيف أربعة مواطنين، ضمن احتساب نسب السعودة المتوجب تحقيقها وفقاً لقانون العمل. وهذا ما ينبغي أن يدفع المؤسسات الوطنية إلى الاهتمام على نحو أكبر بتوظيف فئة المعوقين، وإتاحة فرص العمل الحقيقية لهم، وليس على سبيل التوظيف الوهمي، كما هو حاصل في بعض المؤسسات للأسف، خاصّة وأن التوجه العالمي يسير باتجاه دمج الأشخاص المعوقين بالمجتمع، على النقيض مما يتوهم البعض من أنّ ابقاء الشخص المعاق في منزله هو أكثر راحة له، وليت هؤلاء يعلمون أنّ الراحة النفسية للمعاق، إنما تكمن في إشعار المجتمع له بأنّ له قيمة، وأنّ له دوراً، يمكن أن يقوم به كسائر الناس.







## رعاية المعاقين وتأهيلهم للاندماج

الرضا بالقضاء والقدرة عقيدة الإنسان المؤمن، الذي يؤمن بأن للكون إلهًا خالقًا حكيمًا، وأن كل ما يجري في الكون من خير الأمور وشرها، هي من تقديره عز وجل، وذلك لحكمة شاءها وقدرها.

انطلاقًا من هذه العقيدة فإن الإنسان يقبل بما يقع عليه من أمور مما لا قدرة له على دفعها، ويتقبلها بطيب نفس. قضية الموت مثلًا أمر بيد الله عز وجل، وليس للإنسان قدرة على دفعه، فإذا وقع الموت على عزيز له، فليس له إلا التسليم لقضاء الله وقدره كما تمليه عليه عقيدته الصحيحة. ومن مظاهر القدر الإلهي هو حصول الإعاقات في هذه الحياة.

## الإعاقة

هذه الإعاقات قد تكون جسمية فيزيائية، كأن يفقد الإنسان عينه، أو سمعه، أو يده. وهناك إعاقات عقلية، كصعوبة الفهم والإدراك. وثالثًا الإعاقات النفسية، كالأضطرابات والوسواس القهري وما شابه. ويطلق على المصابين بأي نوع من أنواع الإعاقات اسم معاقين، أو ذوي الاحتياجات الخاصة.

وتكون هذه الأنواع الثلاثة من الإعاقات - التي يبتلى بها الإنسان - إما وراثية لا دخل للإنسان فيها، وقد تكون بسبب حادث ما. فالحروب مثلًا تخلف عددًا كبيرًا من المعاقين، والكوارث الطبيعية، وحوادث المرور، وحوادث العمل وما شابه، كلها تخلف وراءها إعاقات بشتى أنواعها.

حينما يبتلى الإنسان بإعاقة ما في جسمه أو في عقله أو في نفسه، وراثية كانت أم طبيعية، فماذا يصنع؟

من يبتلى بإعاقة ما، فهو في أحضان قضاء الله وقدره، فعليه أن ينطلق من عقيدته الإيمانية التي تؤكد له أن ما حصل كان بتقدير الله عز وجل، فعند ذلك ليس له إلا





التسليم بقضاء الله وقدره والرضا بهما.

وقد أصبحت الإعاقات على مستوى العالم تُدرس ويعتنى بها، وذلك لوجود عدد كبير من المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة. في العالم العربي وحده هناك عشرون مليون معاق، وهو رقم أقل بكثير مما تعاني منه الصين وحدها الذي يبلغ ثمانين مليون معاق. وفي بلدنا الحبيب يوجد أكثر من سبعمئة وعشرين ألف معاق، والنسبة الكبرى منهم للذكور حيث تصل ٥٥,٨٠٪ في مقابل ٤٤,٢٠٪ للإناث. وأما الإعاقات الوراثية في المملكة فتصل ما بين أربعمئة إلى خمسمئة طفل يولد معاقاً سنوياً حسب بعض التقارير.

### النظرة إلى المعاقين

ما دامت كل المجتمعات يوجد فيها شريحة من المعاقين، فكيف ينبغي أن يتم التعامل معهم وبهم؟

في الماضي كانت بعض المجتمعات تتخلص من المعاق، حيث يعتبرونه عبئاً على المجتمع، ولا فائدة ترجى منه. وفي فترة لاحقة صارت بعض المجتمعات تبقي المعاق، وتعزله عن المجتمع. وفي بعض المجتمعات يتعاملون مع المعاق بازدراء واحتقار، حتى بعض الأسر تخفي معاقها عن الناس، وكأنه عيب ومصدر حرج لهم، وهذا خلاف الرضا بالقضاء والقدر.

الآن ولله الحمد أصبحت لدى كثير من المجتمعات ثقافة جديدة، فهناك اهتمام عالمي بالمعاقين، حتى إنهم استبدلوا بكلمة المعاقين ذوي الاحتياجات الخاصة، حتى لا تؤثر الكلمة في نفوسهم، ويكون لها أثر سلبي عليهم، أما كلمة ذوي الاحتياجات الخاصة، فهي تعني أن هذا الشخص لديه حاجة ناقصة، وهو بحاجة إلى علاجها، أو تجاوزها حتى لا تعيقه عن أداء دوره كبقية الناس.

لقد خطى العالم الإنساني المتقدم خطوات كثيرة إلى الأمام، تجاوزت حالة





الإشفاق بالمعاقين، إلى مستوى أكبر وأهم، فبالإضافة إلى هذه النظرة الحانية، صاروا ينظرون إلى أهمية إدماجهم في المجتمع، والاستفادة من طاقاتهم المتعددة، ومعاملتهم كسائر أفراد المجتمع، بل يضعون لهم قوانين، وأنظمة مناسبة لهم، وامتيازات خاصة كما في الطيران، ومواقف السيارات، وغير ذلك، مما يشجعهم للاندماج في المجتمع وهذه حالة متقدمة. وهناك أكثر من ألف وخمسمئة مدرسة تحت عنوان دمج المعاقين هي مدارس شتاينر، وهي مدارس في جميع أنحاء العالم تتبنى نهجاً تربوياً خاصاً بالمعاقين وضعه الفيلسوف النمساوي رودلف شتاينر. وقد بدأت هذه الخطوة تأخذ مجراها في بلادنا وهذا أمر طيب.

### لماذا الاهتمام بالمعاقين؟

لا شك أن هناك أسباباً تدعونا للاهتمام بهذه الفئة من الناس:

أولاً: لأنهم بشر ولهم كل مقومات الإنسانية، وهم مكرمون كبقية الناس، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾.

ثانياً: الدين يدعونا للاهتمام بهم. في السابق كان الناس يزدرون هذه الفئة بسبب الجهل، أما الآن وبفضل تقدم العلم فقد أصبحوا يهتمون بهم، وتم تجاوز حالة عزلهم، وهذا الأمر يوجهنا له الدين الكريم. ورد عن رسول الله ﷺ قال: «لا تديموا النظر لأهل البلاء والمجذومين؛ لأن ذلك يحزنهم»<sup>(١)</sup>. الرسول ﷺ يهتم بمشاعرهم، ويرفض إدخال الحزن في نفوسهم الذي قد تسببه نظرة غير طبيعية. الإمام الصادق عليه السلام يقول: «من نظر إلى ذي عاهة أو من قد مُثِّلَ به، أو صاحب بلاء، فليقل سرّاً في نفسه من غير أن يسمعه: الحمد لله الذي عافاني»<sup>(٢)</sup>. وعنه عليه السلام: «إسماع الصم من غير تضجر صدقة

(١) بحار الأنوار. ج ٧٢، ص ١٥.

(٢) وسائل الشيعة. ج ١٢، ص ٦٥.





هنيئة»<sup>(١)</sup>. فتواب الاهتمام بهم ثواب عظيم عند الله.

ثالثاً: الشخص المعاق كسائر الناس، ابتلي بعاهة أو مرض ما، وهو ما قد يصيب أي واحد منا - لا سمح الله - لاحقاً، فليس هناك من يضمن سلامة جسمه ونفسه وعقله ما دام حياً، وإذا سلّم الشخص نفسه فقد يبتلى بأحد أفراد أسرته، فلا راد لقضاء الله تعالى. ولا شك أن هذا أمر يدفع إلى حسن التعامل معهم؛ لأنه ابتلاء قد يتعرض له أي أحد.

رابعاً: النقص الذي عند المعاق لا يعني عجزه كلياً. لذا لا بُدّ من مساعدة المعاقين على تفجير طاقاتهم، فكم من مخترع ومكتشف ومفكر كان معاقاً. البريطاني «نيكولاس سوندرسون»، ولد أعمى وتغلب على إعاقته وأصبح عالماً في الرياضيات وأستاذاً في جامعة كامبردج. أبو العلاء المعري، الشاعر الفيلسوف أصيب بالعمى وهو في الثانية من عمره، وما عاقه ذلك. والأديب طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣ م) عميد الأدب العربي أيضاً كان أعمى. الأمريكية هيلين كيلر (١٨٨٠ - ١٩٦٨ م) أعجوبة المعوقين في العصور، لديها ثلاث عاهات: صماء بكماء عمياء، لكنها عن طريق لغة الإشارة، وما تمليه على من حولها من حركات، أصبحت من كبار الشخصيات، وحققت بذلك جوائز عديدة، وقد تبنت الاهتمام بتحسين وضع المكفوفين في الدول النامية، ألقت محاضرات في أكثر من ٢٥ دولة، وهي مؤلفة عالمية ترجمت كتبها لأكثر من ٥٠ لغة ومن كتبها: (يجب أن نؤمن بالله). لها كثير من المقولات منها: «عندما يُغلق باب السعادة، يُفتح آخر، ولكن في كثير من الأحيان ننظر طويلاً إلى الأبواب المغلقة بحيث لا نرى الأبواب التي فتحت لنا»، وأيضاً: «لقد أدركت لماذا حرمني الله من السمع والبصر والنطق فلو أنني كنت كسائر الناس لعشت

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج١٦، ص٤٨٩.





ومت كأية امرأة عادية»<sup>(١)</sup>.

لذلك لا ينبغي أن يُنظر إلى المعاق أنه عبء على المجتمع، وأنه لا نفع يرجى منه. في سفري الأخير إلى أميركا في مايو ٢٠١٠م رأيت بعضاً من أبنائنا المبتعثين من ذوي الاحتياجات الخاصة، وقد كانوا منبهرين من تعامل الأميركيان معهم، وكيف كانوا يبادرون إلى خدمتهم.

الإعاقة ابتلاء من الله عز وجل، إذا وقعت على شخص ما، فعليه التسليم بقضاء الله وقدره. وأن لا ييأس من رحمة الله عز وجل. وعليه أن يفجر طاقته ويستفيد من مواهبه التي أودعها الله فيه. وعلى عائلته أن تهتم به، وعليهم أن يعلموا أن هذا الاهتمام هو من أعمال البر، بل من أفضلها، و(صدقة هنيئة) كما يقول الإمام الصادق عليه السلام.

كما أن هناك مبالغ تصرف للمعاقين من قبل الدولة، لكن البعض يتصرفون في هذه المبالغ خارج مصلحة المعاق، وهذا حرام لا يجوز، وهو أمر غير سوي. وعلى المجتمع أن يعامل المعوقين باحترام، وأن يشيد المؤسسات للرعاية بهم، والاهتمام بصقل مواهبهم. كدور الرعاية النهارية. كما يجب وضع القوانين من قبل الدولة التي تضمن حقوق هؤلاء الناس في الدراسة والعمل وغير ذلك.

(١) جريدة اليوم الصادرة يوم الخميس الموافق ٧ أغسطس ٢٠٠٣م، العدد ١١٠١٠.







## اليوم العالمي للتطوع

### العمل التطوعي: نحو تطوير الوعي والتشريعات

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الخلق عيال الله فأحبّ الخلق إلى الله من نفع عيال الله»<sup>(١)</sup>.

ليس هناك عمل يجعل المرء أقرب من الله، وأكثر محبة عنده، يضاهي خدمة الناس. فأن ينخرط الإنسان في مجال العمل التطوعي لخدمة الآخرين، فذلك وفقاً للنصوص الدينية أفضل عمل يمكن أن يقربه إلى الله ويجعله محبوباً عنده سبحانه وتعالى. فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الخلق عيال الله فأحبّ الخلق إلى الله من نفع عيال الله»، وورد عنه ﷺ أنه قال: «أحبّ عباد الله إلى الله جلّ جلاله أنفعهم لعباده»<sup>(٢)</sup>، وقال رجل لرسول الله ﷺ: أحبّ أن أكون خير الناس، فقال ﷺ: «خير الناس من ينفع الناس فكن نافعاً لهم»<sup>(٣)</sup>، كما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «خير الناس من تحمّل مؤونة الناس»<sup>(٤)</sup>، إنّ جميع النصوص السابقة تؤكّد حقيقة واحدة، وهي أنّ من أفضل الصفات والقربات هي خدمة الناس، والانخراط فيما

(١) الكافي، ج ٢، ص ١٦٤، حديث ٦.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٥٢، حديث ١١٠.

(٣) كنز العمال، ج ١٦، ص ١٢٨، حديث ٤٤١٥٤.

(٤) عيون الحكم والمواعظ، ج ١، ص ٢٣٩.





بات يعرف اليوم بمجال العمل التطوعي.

### كلّ البشر عيال الله

وينطوي التوصيف النبوي للناس بأنهم عيال الله على مضامين عميقة. إنّ الحديث يشير على نحو قاطع بأنّ جميع الخلق هم عيال الله، وكما أنه لا يكاد يوجد باعث وجداني على الفرحة أكثر من أن يجد الإنسان الآخرين يحسنون إلى عائلته والمقربين منه، احتراماً وتقديراً لشخصيته، فكذلك الحال مع الخالق سبحانه وتعالى، فليس أحبّ عنده عزّ وجلّ من أن يرى من يحب ويخدم عباده، الذين هم عياله وفقاً للحديث الشريف.

### تجسيد القيم الفاضلة

وتمثل خدمة الناس تطوعياً تجسيدا للقيم الفاضلة، حيث تتجلى في العمل التطوعي قيم الرحمة والإحسان والإصلاح والعدل. وتحمل خدمة الناس تطوعياً دلالات عميقة على طهارة القلب، وطيب النفس، وتجاوز الإنسان للأناية الضيقة، والشحّ والأضغان والأحقاد، فليس هناك من طريق أوسع لخدمة الناس من تجاوز الشحّ النفسي والأناية، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وإذا كانت غاية المؤمنين المتديّنين نيل رضا الخالق تعالى، فإنّ السبيل إلى ذلك أن يتحول مجتمعهم ساحة للتنافس في العمل التطوعي والخدمة الاجتماعية. بأن ينزل الجميع إلى مضمار المنافسة والتسابق نحو خدمة الناس.

وعلى النقيض من ذلك، إذا ما وجدنا أنّ اللجان الأهلية والجمعيات الخيرية تستجدي أبناء المجتمع للاشتراك في عضويتها، وتتمنى عليهم الترشح للقيام بأعبائها، وترجوهم الحضور والمشاركة في لقاءاتها وجمعيتها العمومية، فلا معنى لذلك سوى أنّ هذا المجتمع يعاني الفقر في ثقافته الدينية والإنسانية على حدّ سواء،







وهي التي يجب أن تحرك سلوكه ومشاعره، هذا هو لبّ المشكلة.

### مجتمعاتنا ومحدودية النشاط التطوعي

ومع كلّ التقدير للأنشطة الاجتماعية القائمة في مجتمعاتنا، إلا أنها تعدّ قليلة قياساً إلى ما ينبغي أن يكون عليه الحال. سيما ونحن نتحدث عن مجتمعات متديّنة، تعجّ نصوصها الدينية بالمضامين التي تعتبر مساعدة الناس من أفضل القربات، مما لا يتناسب بأيّ حال مع ضعف الأنشطة القائمة على الأرض، كما لا يقارن بالإقبال الكبير على الأعمال التطوعية في المجتمعات الأخرى، التي تصنفها أوساطنا بأنها مجتمعات مادية.

ويبدو الإقبال على الأعمال التطوعية شديد الضعف قياساً إلى حجم الحاجات في مجتمعاتنا، التي لا تزال تفتقر إلى البنى المجتمعية، ويلزمها تغطية كثير من الحاجات، وهذا يعني الحاجة ليس إلى المئات بل إلى الآلاف من الجمعيات واللجان والمؤسسات الأهلية التطوعية. وبمناسبة اليوم العالمي للتطوع الذي أقرته الأمم المتحدة في الخامس من ديسمبر من كلّ عام، ندعو أنفسنا ومجتمعاتنا إلى الارتقاء بمستوى العمل التطوعي إلى الأفضل، والإقبال على الأعمال الاجتماعية الخيرية.

### تشريعات مساعدة للعمل الأهلي

لقد تحول العمل التطوعي في عصرنا الراهن إلى عمل مؤسسي وجماعي أكثر من كونه عملاً فردياً. ذلك أن العمل الجماعي أكثر جدوى وتأثيراً، من خلال انضمام الفرد للعمل في جمعية تطوعية، أو القيام بتأسيس جمعية تطوعية للخدمة في أيّ شأنٍ من الشؤون الاجتماعية.

ولا بدّ من الإقرار بأنّ العمل الأهلي التطوعي في مجتمعاتنا لا يزال يخضع لقيود رسمية صارمة. في غياب التشريعات المشجعة على العمل التطوعي، التي تفسح





المجال واسعاً أمام العمل الأهلي، والسماح بإنشاء منظمات المجتمع المدني. فلم يعد مقبولاً تعليق طلبات إنشاء الجمعيات الخيرية في بعض البلديات والقرى لمجرد كونها قرى صغيرة، وما الضير في أن تفتتح الجمعيات في البلديات والقرى الصغيرة، ولماذا تلحق بقرى أخرى، أو ليس وجود جمعية خاصة بكل قرية يمثل فرصة لتفجير طاقات أبناء البلدة ومشاركة كفاءات المنطقة في معالجة أوضاعها؟!.

ينبغي فتح المجال أمام انطلاق منظمات المجتمع المدني على كل الصعد، وفي مختلف المجالات؛ الخيرية والفنون والثقافة والبيئة والمعرفة وغيرها.

إن الجمعيات والمؤسسات الأهلية في المملكة، لا تزال عند حدودها الدنيا، قياساً إلى البلاد الأخرى الأصغر منها مساحة، والأقل سكاناً. فبحسب موقع وزارة الشؤون الاجتماعية على الإنترنت، يوجد في المملكة نحو ٦٥٠ جمعية خيرية، و١٢٠ مؤسسة خيرية، منها ٤٠ جمعية نسائية، ولنا أن نتخيل أن هذه الكيانات التي لا يكاد يصل مجموعها إلى ١٠٠٠ كيان، منوط بها خدمة ٢٩ مليون نسمة هم إجمالي السكان. في حين نجد في العاصمة اللبنانية بيروت وحدها ما يربو على ٨٥٣ جمعية، أي ما يتجاوز عدد الجمعيات العاملة في أراضي المملكة برمتها، مع أن سكان مدينة بيروت لا يكاد يتجاوز ٤٠٠ ألف نسمة، ناهيك عن وجود أكثر من ٢٠٠٠ جمعية هي إجمالي عدد الجمعيات الخيرية العاملة في لبنان. وكذلك الحال في الأردن الذي يتراوح سكانه بين الستة إلى سبعة ملايين نسمة، نجد فيه أكثر من ١٣٣٩ جمعية أهلية عاملة. من هنا تنبع الحاجة إلى تشريعات تتيح مرونة أكبر حيال إنشاء منظمات المجتمع المدني، وإتاحة الفرصة على نحو أوسع لعمل الجمعيات الأهلية في البلاد.

إن قيام منظمات المجتمعات المدني يُعدّ عاملاً حيويًا لأمن واستقرار المجتمع. وذلك بالنظر إلى تلهف الشباب لقيام كيانات يعبرون من خلالها عن أنفسهم، ويفجّرون فيها طاقاتهم، ويصرفون عبرها فائض الوقت والجهد لديهم، ولا شك





بأن قيام مؤسسات المجتمع المدني سيكون أحد أبرز المجالات التي تستوعب كل ذلك، فيتحول الشباب عندها إلى قوى منتجة مفيدة، عوضاً عن أن يكونوا قوة تخريبية لأمن المجتمع. من هنا يكون تسهيل قيام الجمعيات التطوعية في أيّ مجال من المجالات، تحت سقف القانون، عنصراً بالغ الفائدة لأمن واستقرار البلاد.

### ثقافة العمل التطوعي

غير أن مجتمعاتنا لا تزال في حاجة ماسة لثقافة العمل التطوعي. فقياساً إلى الثقافة المحفزة على البرامج العبادية والشعائرية، لا تحظى المجالات الاجتماعية الإنسانية بذات القدر من الاهتمام، والحال أنه ينبغي الموازنة بين الجانبين، وعدم إغفال جانب لصالح آخر.

إذ من غير المفهوم مثلاً أن يتخطى الكثيرون العقبات الرسمية من أجل أداء فريضة الحج المستحبة مراراً وتكراراً، في حين تستجديهم الجمعيات الخيرية من أجل مدّ يد العون، وبالكاد تلقى الاستجابة المتواضعة. فإذا كان أداء الحج المستحب طمعاً في رضا الله، فإنه يتحقق في خدمة الناس، من خلال الجمعية الخيرية، أو النادي الرياضي، أو سائر المؤسسات التطوعية، وما يدريك لعلّ الثواب في العمل الخيري التطوعي يفوق بمراحل ثواب الحج والزيارة، والمجالس الدينية، بل وسائر الأعمال المستحبة.

ولا نقول ذلك من باب التقليل من شأن الأعمال العبادية، فوجود مختلف الأنشطة الدينية أمر مطلوب، لما توفره من الزخم الروحي المعنوي لأبناء المجتمع، لكن ينبغي في الوقت نفسه ألا يجري إغفال الخدمة الاجتماعية.

هناك نصوص دينية كثيرة تذهب إلى ترجيح كفة الأعمال الاجتماعية على حساب الأعمال العبادية. بل ويذهب بعضها إلى حدّ اعتبار إسداء خدمة اجتماعية تسدّ رمق إنسان وتلبّي حاجته لهي أعظم ثواباً من ألف حجة إلى بيت الله الحرام.





وقد روي في هذا الصدد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحبّ الناس إلى الله عزّ وجلّ أنفعهم للناس، وأحبّ الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحبّ إليّ من اعتكاف في هذا المسجد شهراً»<sup>(١)</sup>، وبعملية حسابية بسيطة يشير إلى أنّ السعي في حاجة مؤمن واحد فقط، هي أحبّ وأفضل من الاعتكاف على العبادة في المسجد النبوي نفسه شهراً كاملاً، مع ما في ذلك من عظيم الثواب. نحن في أمس الحاجة إلى ضخ المزيد من الثقافة المحفزة على العمل التطوعي.

### أخلاقيات العمل الجمعي

لأبدّ من الإشارة إلى ملاحظتين مهمتين تتعلّقان بمجال العمل التطوعي:

**الملاحظة الأولى:** على العاملين في هذا المجال التحلّي بروح الانسجام في عملهم، من خلال تجاوز الخلافات والانقسامات، سيما وأن من فوائد العمل التطوعي هو تقوية الروابط، وأن يتعلم الناس كيف يتعاملون مع بعضهم بعضاً. إنّ الخلافات التي قد تنشأ أحياناً بين بعض العاملين في الجمعيات الخيرية، أو الأندية الرياضية، أو اللجان الأهلية، غالباً ما تكشف عن ضعف في أخلاقيات العمل الجمعي. وذلك ما ينبغي أن يتم تجاوزه بأن يجعل الجميع الاختلاف فيما بينهم اختلافًا منضبطاً، فإذا ما أراد أحد أن يستقيل من المؤسسة الأهلية التي يعمل بها مثلاً، فليس هناك من داع لأن يسيء إلى زملائه، ويحول الاستقالة إلى أزمة ومناسبة لتقاذف التهم مع الآخرين، وإنما المطلوب اتباع قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ﴾.

**الملاحظة الثانية:** ضرورة أن يكتسب العاملون في مجال العمل التطوعي المناعة ضدّ تشويه السمعة. إذ من المؤسف أنه مع حاجة مجتمعنا الماسّة لجميع الطاقات

(١) الهيثمي: مجمع الزوائد، ج ٨، ص ١٩١.





العاملة في الشأن العام، إلا أنّ هنالك صنفاً من الناس ممن لا شغل لهم سوى تناول العاملين في الخدمة والشأن العام في أحاديثهم، من خلال النيل من هذا والكتابة ضدّ ذلك، فعوضاً عن المساهمة في العمل، تجدهم يتخصّصون في التجريح في العاملين في الشأن العام، سواء السياسي، أو الاجتماعي، أو الديني والثقافي.

وحتى لا يلتبس الأمر، نحن لا نقصد الوقوف في وجه النّقد البناء الإيجابي الذي ينبغي أن يشقّ طريقه على شتّى الصُّعد، وإنما نحن بإزاء صنف من الأشخاص ينبشون في نيّات الناس فيشككون فيها، فمن السهولة عندهم بمكان رمي شخص عامل بتهمة حبّ البروز على سبيل المثال، وما يدري هؤلاء بما في قلوب الناس، وهذا ما يذكرنا بقول النبي ﷺ: «أَفَلَا شَقَّقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ»<sup>(١)</sup>. وماذا عنك أنت يا صاحب الاتهام، هل تجد نفسك في قمة الإخلاص عندما تنال من الآخرين، وتشوّه سمعتهم، عبر مختلف وسائل التواصل الاجتماعي؟، أم هي النزعة المغالية في الإساءة للناس؟

على العاملين في المجال التطوعي أن يتّسموا بالمناعة تجاه هذه الحالة، وألا يتأثروا ولا ينزعجوا، فمن يريد العمل في الشأن العام فإنّ عليه أن يستعد لدفع هذه الضريبة، فلن يُسكت عنهم أبداً، هناك دائماً المادح والقادح، وهناك المتربصون والحساد وكارهوا النجاح، الذين يغیظهم أن يجدوا الناجحين أمامهم.

ولنتذكر دائماً قول المفكر الأمريكي ألبرت هوبارد: «لكي تتجنب النّقد، لا تعمل شيئاً، ولا تقل شيئاً، ولا تكن شيئاً»، وبمعنى آخر، من لا يريد أن يطاله النقد فليبق شيئاً مريضاً مهملاً بلا أيّ دور، حينها لن يطاله النقد. غير أن الإنسان مطالب أمام خالقه ودينه ووعيه بأن يتحمل المسؤولية تجاه المجتمع.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث ١٥٨.







## اليوم العالمي لحقوق الإنسان

### ثقافة حقوق الإنسان

جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره الله، وظلم لا يتركه، فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وأما الظلم الذي يغفره الله تعالى فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضًا حتى يدين بعضهم من بعض»<sup>(١)</sup>.

وورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كلام يتفق مع مضمون هذا الحديث، فيه تأكيد على أن أي اجترأ أو تعدد من قبل الإنسان على شيء من حقوق أخيه الإنسان هو - عند الله - أعظم جرماً من الاعتداء على شيء من حقوقه سبحانه، يقول عليه السلام: «وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ لَيْسَ هُوَ جَرْحًا بِالْمُدَى وَلَا ضَرْبًا بِالسَّيَاطِ وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذَلِكَ مَعَهُ»<sup>(٢)</sup>.

هذان توجيهان دينيان كريمان يرشدان الإنسان المسلم إلى أهمية الاهتمام بحقوق الناس، بحيث يقدمان ذلك على أداء حقوق الله سبحانه، فحينما يعتدي الإنسان على

(١) كنز العمال. باب الظلم والغضب ص ٤٩٨ ح ٧٥٨٨.

(٢) نهج البلاغة. خطبة ١٧٦، ص ٢٥٥.





شيء من حقوق الله فيقصر في عبادة أو طاعة وإن كان لا ينبغي للإنسان مثل هذا التقصير، فإن هذا التقصير قد يُعفى الإنسان من تبعاته يوم القيامة، وهو ما تؤكد آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن عفو الله ومغفرته يوم القيامة.

وفي المقابل فإن أي اعتداء على حق من حقوق الناس، هو اعتداء غير قابل للعفو من قبله سبحانه، لأنه غير مرتبط بالله، بل بالطرف الآخر من الناس، فهي حقوق شخصية، لا يمكن لله سبحانه أن يتجاوز عنها، وإنما يقتصر لأصحابها.

لذلك كان من المفترض بالمسلمين أن تكون مثل هذه الأحاديث والإرشادات الدينية دافعاً لهم للحرص على تحقيق مظاهر حقوق الإنسان في المجتمعات الإسلامية أكثر من الأمم والشعوب الأخرى.

### القيادات الدينية ورعاية حقوق الآخرين

وقد كان عهد رسول الله ﷺ أنموذجاً راقياً في رعاية حقوق الآخرين، وذلك لما مثله الرسول ﷺ من تحقيق لذلك في تعامله مع أعدائه قبل أصحابه.

حتى إنه ﷺ قبيل وفاته أعلن في خطبة له أمام المسلمين استعدادة لتقبل القصاص منه لأي مظلمة لأحد عليه، كما ورد في بعض روايات السيرة النبوية، أنه ﷺ قال: «إن ربي عز وجل حكم وأقسم أن لا يجوزه ظلم ظالم فناشدتكم بالله أي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة إلا قام فليقتص منه، فالقصاص في دار الدنيا أحب إلي من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء»<sup>(١)</sup>.

ويقسم الإمام علي ﷺ بالله تعالى على أنه يفضل تحمّل أقسى الآلام والمعاناة على التورط في تجاوز أدنى الحقوق لأحد من الناس، يقول ﷺ: «وَاللَّهِ لَأَنْ أُبَيَّتَ عَلَيَّ حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّدًا أَوْ أُجْرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّدًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ

(١) بحار الأنوار. ج ٢٢ ص ٥٠٨ ح ٩.







وَرَسُولُهُ يَوْمَ الْفِيَاةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِبًا لِّشَيْءٍ مِنَ الْخَطَامِ»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا السياق ينقلون عن المرجع الديني السيد حسين البروجردي رحمته الله، الذي كان زعيم الحوزة الدينية في قم المقدسة في أيامه، أنه سئل في أحد بحوثه الخارج من قِبَل أحد الطلبة سؤالاً، وأجابه بما يوضح الفكرة ويرد ما لديه من تساؤل، ومع ذلك لم يقتنع الطالب بالإجابة، فأعاد السؤال مرة أخرى، فأجابه السيد البروجردي منفعلًا، فصدرت منه كلمة نابية تجاه الطالب.

وفي منتصف الليل تفاجأ أحد أعوان السيد في مكتبه بمن يدق بابه، وإذا به السيد البروجردي، الذي كان يذكره بما دار نهارًا حول هذا الموقف، وإن كان يعرف بيت ذلك الطالب وذلك رغبة في الاعتذار منه.

حيث أخبره السيد البروجردي بأنه - بسبب هذا الموقف - لا يستطيع الخلود إلى النوم قبل أن يعتذر لهذا الطالب عما توجه به إليه، رافضًا الانتظار حتى الصباح خوف أن يدركه الأجل وهو محمّل بوزر تلك الكلمة القاسية تجاه تلميذه.

ومما يؤسف له أن تكون المعادلة لدى بعض المتدينين معكوسة، فتراه لا تسمح له نفسه بأن يفوت على نفسه صلاةً، أو أن يترك يومًا من شهر رمضان دون أن يصومه، وفي موسم الحج تراه على درجة كبيرة من الدقة في تطبيق مناسك الحج، لدرجة أن يصل بهم الأمر في موضوع الحرص على أداء العبادة إلى مستوى الهوس والوسواس في تطبيق هذه الأحكام، فنرى البعض يعيد الوضوء مرات، حتى يتيقن من صحة وضوئه.

وهو أمر ناشئ عن الحرص في أداء العبادات وأحكامها، وهو أساس جيد، فلا بُدَّ للإنسان من وازع ذاتي تجاه تطبيق الأحكام، ولكن أن تصل الحالة إلى الهوس، فهي حالة مرضية غير مطلوبة.

(١) نهج البلاغة. من كلام له رحمته الله يتبرأ من الظلم، خطبة رقم ٢١٥.





ونحن نتساءل: لماذا لا يكون هناك حالة من الوسواس والهوس تجاه حقوق الآخرين المادية والمعنوية، ولماذا نرى أوجهًا كثيرة من التقصير في هذا الجانب، لدى شريحة كبيرة من المتدينين؟!

### الاهتمام بثقافة حقوق الإنسان

لعل الدوافع الذاتية والقيمية داخل المجتمعات غير الإسلامية لا تكون بتلك القوة الموجودة في مجتمعاتنا الإسلامية، فهم لا يمتلكون هذا التوجيه الديني والروحي الذي نمتلكه في الإسلام، لكنهم شعروا بأهمية حقوق الإنسان فيما بينهم، وبخاصة في مجال الحريات العامة وتحقيق الكرامة لعموم الإنسان، إذ رأوا ذلك يحقق لهم من المصالح الذاتية والاجتماعية الشيء الكبير، ووضعوا لذلك القوانين والمواثيق التي رعتها كثير من المؤسسات والمنظمات والهيئات الحكومية والمدنية، تحولت مع الزمن إلى مؤسسات دولية ومواثيق عالمية، لعل من أبرزها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨م، ومجلس حقوق الإنسان الذي أقرته الأمم المتحدة سنة ٢٠٠٦م.

وها نحن نستقبل اليوم العالمي لحقوق الإنسان، الذي يصادف العاشر من ديسمبر من كل عام، وهي مناسبة تحتفي بها الشعوب والمؤسسات العالمية.

وربما يكون من الغريب على مجتمعاتنا أن تحتفي بغير تلك الأيام التاريخية التي ترتبط بمناسباتنا الدينية، وهي عادة جيدة وحسنة، ولكن لا يصح أن نغيب عن عصرنا وواقع حياتنا، والاحتفاء بمثل هذه المناسبة العالمية التي لا تختص بشعب دون آخر، أو ديانة دون أخرى في طليعة التأقلم مع الحياة المعاصرة، وبخاصة أن هذا الإعلان ينادي بما نادى به النصوص الإسلامية قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا.

### المنظرة الضيقة

في بعض الأوساط الدينية - عندما يطرح أمامها تبني الاحتفاء بمثل هذه المناسبات





- ترفضها بدعوى أنها منتج غربي، لا يمتُّ للإسلام بصلة، وهي نظرة ضيقة وغير صحيحة، فأول نداء بتكريم الإنسان والدفاع عن حقوقه بشكل شامل وعميق انطلق من رسالة الإسلام، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٧٠].

إن المفاهيم والتشريعات والقوانين الإسلامية كلها تدل دلالة واضحة على اهتمام الدين بحقوق الإنسان أكثر من أي ديانة أخرى، سماوية كانت أو وضعية.

وما حدث هو ابتعاد المسلمين في واقعهم الحياتي عن كثير من هذه المفاهيم والتشريعات، واقتصارهم - في تطبيق الدين - على طقوس وعبادات فردية، على حساب الاهتمام بالجانب التشريعي الجماعي والمؤسسي.

من جهة أخرى، قد تُتهم دعاوى المؤسسات والهيئات الغربية أو العالمية بالازدواجية في المعايير، وبأنها مجرد واجهة إعلامية لما تقوم به حكوماتهم من نهب لثروات وخيرات بقية بلدان العالم، ولا توجد أي مصداقية لمثل هذه المناداة بحقوق الإنسان.

وهو طرح صحيح إلى حد كبير، وبخاصة فيما يخص بعض إدارات الدول المستكبرة، كما هو الحال مع الإدارة الأمريكية الحالية في صورتها البشعة باحتلالها لأفغانستان والعراق، وفي حصارها للشعب الفلسطيني، وتحالفها مع الكيان الصهيوني الغاصب.

لكن المسألة لا ترتبط بالحكومات، بقدر ما هي مناداة لعقول وضمائر الشعوب الحية في جميع مناطق العالم، بشتى انتماءاتهم وأعراقهم ومعتقداتهم، وكذلك المسألة ترتبط بالمؤسسات الدولية التي يجب تفعيلها على هذا الصعيد، وإلا فإن المراقبين في العالم اليوم يرصدون تراجعاً في الالتزام بحقوق الإنسان حتى في داخل الولايات المتحدة الأمريكية.





وقد نشرت صحيفة الحياة يوم الجمعة (٧/١٢/٢٠٠٧م) تقرير وزارة العدل الأمريكية، الذي: (أظهر ارتفاعاً «غير مسبوق» في عدد السجناء الأميركيين، أو الخاضعين لرقابة قضائية، بين العامين ألفين، عندما تولى الرئيس جورج بوش، حتى نهاية العام ٢٠٠٦.

وأفاد مكتب الإحصاء في الوزارة أن ما يصل إلى ٢,٧ مليون رجل وامرأة في الولايات المتحدة يخضعون للإصلاح، بينهم ٢,٢٥ مليون في السجون ونحو خمسة ملايين لرقابة قضائية أو اجتماعية. وهذه النسبة هي الأعلى في العالم، إذ تؤوي السجون الأميركية ٧٥١ شخصاً من أصل كل ١٠٠ ألف نسمة.

ولاحظت منظمة «هيومن رايتس ووتش»، التي تعنى بالدفاع عن حقوق الإنسان، إن الولايات المتحدة لم تشهد يوماً مثل هذه النسبة المرتفعة من السجناء.

ومقارنة مع الولايات المتحدة، لا تزيد نسبة السجناء في بريطانيا (الأعلى أوروبياً) على ١٤٨ سجيناً لكل مئة ألف نسمة وفي كندا ١٠٧ وفرنسا ٨٥. وتزيد النسبة المسجلة في الولايات المتحدة على النسبة في ليبيا (٢١٧ سجيناً لكل مئة ألف نسمة) وإيران (٢١٢) والصين (١١٩).

وارتفع عدد السجناء في الولايات المتحدة بنسبة ٥٠٠ في المئة خلال العقود الثلاثة الأخيرة ويواصل ارتفاعه. كما أن عدد السجينات ازداد بنسبة ملحوظة (٥, ٤ في المئة) في الأعوام الخمسة الأخيرة).

ويضاف إلى هذا كله ما تقوم به الجهات الأمنية الأمريكية من مضايقات وإجراءات تشددية تجاه المواطنين، وأولئك القادمين إلى الولايات المتحدة.

هذا، فضلاً عن معتقل غوانتانامو، الذي يعامل فيه المتهمون دون مراعاة لأدنى حقوق الإنسان. وكذلك ما يحصل في العراق، والفضائح التي ظهرت في سجون أبي غريب، وفي تعامل مرتزقة هذه الإدارة وجنودها مع المواطنين العراقيين.





ولكن هذه الممارسات لا يصح أن تكون ذريعة لأن نهمل أو نتجاهل مسألة حقوق الإنسان، فعلى الشعوب أن تتبنى هذه المسألة، وأن تتفاعل معها.

### دعم مسيرة حقوق الإنسان في المملكة

ونحن هنا نريد أن نقرب الصورة إلى ما يجري في بلادنا، فقد أصبح موضوع حقوق الإنسان مطروحًا ومشروعًا، بعد أن كان في الماضي يعد الحديث عنه ضربًا من المعارضة السياسية.

ولكنه بفعل التطورات الداخلية والدولية التي أوجبت أن يكون موضوع حقوق الإنسان موضوعًا مطروحًا يناقش ويتحدث حوله، تكونت لجان ومؤسسات رسمية تعنى بهذه المسألة، حيث أنشئت الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان، وهيئة حقوق الإنسان، وهذه خطوة متقدمة في بلادنا.

كما أن الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان أصدرت أول تقرير يتحدث عن أوضاع حقوق الإنسان في المملكة، وعن بعض مجالات الانتهاكات، وهي خطوة متقدمة ورائدة.

وهذا لا يعني أننا في وضع مستقر من هذه الناحية، فما زلنا نطمح للمزيد من الخطوات، ولكن هذه الخطوات التي نأمل بتحقيقها لا يمكن أن تتحقق دون تفاعلنا مع مثل هذه المبادرات، وذلك بغية التطوير في مسيرة حقوق الإنسان داخل وطننا.

### زيارة وفد هيئة حقوق الإنسان للمنطقة

وكان قد زار المنطقة قبل أسبوعين وفد من هيئة حقوق الإنسان بالمملكة من أجل البحث في بعض القضايا التي يشكو منها المواطنون في المنطقة، سواء فيما يرتبط بمجال شعائرهم الدينية، أو صلاحيات محكمة الأوقاف والموارث، وقضايا أخرى مختلفة، وقد تواصل هذا الوفد مع بعض فعاليات وأعيان المنطقة.





وهي بادرة نأمل أن يرى الناس نتائجها إن شاء الله، ولا نريد أن نكون مثاليين، فتتوقع أن تعالج جميع القضايا دفعة واحدة، وبالطريقة المثالية التي يفكر بها البعض، لأننا لا ندعي بأن ما يحصل عاجل كل القضايا العالقة، وأن الوضع كما يرام، وهو أمر لا تدعيه الجهات المعنية - كذلك -، ولكننا في الوقت نفسه لا ينبغي أن نتجاهل التطورات الإيجابية، بل علينا أن نتعاون مع هذه الجهات والمؤسسات، فالتواصل معها وإيصال الشكاوى والقضايا هو الذي يدفع بمسيرتها.

### ما ضاع حق خلفه مطالب

وهنا أود الإشارة إلى نقطة مهمّة، وهو ما نتمتع به في هذا العصر من وجود وسائل الاتصال والإعلام المختلفة، فنحن نرى كيف أن قضية شخصية - في حال سلطت عليها الأضواء - تصبح قضية محلية، أو عالمية في بعض الأحيان، تُتخذ بعدها كثير من الاحتياطات، ويعاد النظر بسببها في بعض الأنظمة والقوانين.

وذلك مثل قضية الطفلة (غصون) ذات التسع سنوات التي قضت بسبب التعذيب من قبل والدها وزوجته في مكة المكرمة، والتي تحدث عنها الإعلام، إذ دعت مثل هذه القضية إلى الاهتمام بموضوع العنف الأسري، وكذلك الحريق الذي أصاب مدرسة للبنات في مكة المكرمة، الذي سلط الضوء على بعض أوضاع تعليم البنات، فاتخذت بسببه إجراءات معينة من أجل تحسين الأوضاع فيها.

وهو أمر ينطبق على مجال القضاء في حال حصول أي خطأ أو مخالفة، فإن المطالبة بالحقوق القانونية وتسليط الضوء عليها قد يساعد في حل بعض المشاكل، ويرفع حالات الظلم على المتضررين.

ولابدّ - هنا - من الإشارة إلى أن المطالبة بالحقوق لا نعني به الجهات الرسمية فقط، فهناك ظلم اجتماعي يطال كثيراً من أفراد المجتمع، فما يشير إليه تقرير جمعية حقوق الإنسان هو أن الشكاوى التي وصلت إليها في غالبها من الناس تجاه بعضهم





بعضًا، من الزوجات تجاه أزواجهم، ومن الأبناء تجاه آبائهم، ومن العمال تجاه أرباب أعمالهم، وهكذا.

وتلخيصًا لما مضى أركز على نقاط ثلاث حول موضوع حقوق الإنسان:

أولاً: الاهتمام بثقافة حقوق الإنسان، خاصة ونحن نستقبل ذكرى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، فنقرأ عن هذه الحقوق، ونشارك في حضور الندوات والمحاضرات التي تقام بهذا الخصوص، ونشجع المبادرات الاجتماعية بهذا الاتجاه.

وهنا تقع مسؤولية كبيرة على الخطباء والكتاب، إذ يجب أن يكون لهم دور في تسليط الضوء على هذه المسألة ونشر ثقافة حقوق الإنسان بين المواطنين.

ثانياً: التعاون مع هذه المؤسسات الحقوقية، من خلال العضوية فيها والارتباط بها، وإيصال الشكاوى والآراء والمقترحات إلى فروعها المختلفة في مناطق المملكة.

ثالثاً: على أي إنسان تعرض لظلمة ألا يسكت عن المطالبة بحقه وردّ ظلامته. وذلك وفق الأساليب المشروعة والممكنة، وبخاصة أن وسائل الشكاوى والتظلم اتسعت مع توفر وسائل الإعلام والاتصال المختلفة، بحيث يمكن للإنسان في أي بقعة من العالم أن يوصل صوته لكثير من المؤسسات والهيئات الدولية.







25

ديسمبر



## أعياد ميلاد المسيح (١)

### أعياد الميلاد والمؤثر الديني

درجت شعوب العالم على الاحتفاء مطلع السنة الميلادية الجديدة، بذكرى ميلاد نبيّ الله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. حتى بات ميلاد السيّد المسيح المناسبة التاريخية الأبرز في حياة البشر، وبات التاريخ الميلادي هو التاريخ المعتمد عالمياً. وبصرف النظر عن مدى الدقة في تزامن التاريخ المعتمد مع تاريخ الميلاد الفعلي للسيّد المسيح، ففي ذلك نقاش كما في سائر المناسبات التاريخية الأخرى، بما في ذلك المناسبات الإسلامية.

وقد يكون هناك اختلاف في التفاصيل المتداولة لقصة ميلاد السيّد المسيح، بين الرواية الإسلامية والرواية المسيحية، حيث تناول القرآن بالتفصيل قصة ولادة نبيين فقط دون سائر الأنبياء، هما نبي الله موسى عليه السلام ونبي الله عيسى عليه السلام.

وبعيداً عن تقاليد وأشكال الاحتفاء بأعياد الميلاد، فلكل مجتمع تقاليده وأعرافه الدينية والاجتماعية، نقول بصرف النظر عن جميع ذلك، يمكن النظر للاحتفاء السنوي العالمي بذكرى ميلاد نبيّ من الأنبياء، وهو السيّد المسيح عليه السلام، باعتباره مؤشراً ودليلاً

(١) التاريخ الميلادي نسبة لميلاد نبي الله المسيح عيسى بن مريم حيث يحتفي العالم به في رأس السنة الميلادية، وهو ليس من الأيام المقررة من الأمم المتحدة.





على عمق الميل الديني في نفوس بني البشر، بالرغم من كل مظاهر الحضارة المادية الجارفة، ورغم ما مرّ على البشرية من عظماء آخرين، علماء ومفكرين ومكتشفين!. وهنا نستحضر مقولة أحد المفكرين أنّ «الإنسان كائن ديني»، حيث لا يستغني في كينونته عن الميول والتوجّهات الدينية، فهو أمر متجذّر في حياة البشر.

### لم تكن الثورة على الدين في الغرب

وينبغي النظر إلى الثورة على الكنيسة في الغرب، باعتبارها ثورة على الاستبداد الديني حصراً، لا ثورة على أصل الدين. ذلك أنه ربما شاع تصوّرٌ بعد تلك الثورة العارمة، من أنّ قطيعة ستجري بين تلك الشعوب وبين هويتها الدينية، غير أنّ ما حصل هو العكس من ذلك، فقد ثار الناس على الاستبداد الديني، والقيود الدينية الصارمة، التي وضعها رجال الكنيسة على الناس طويلاً، لكن الناس في مقابل ذلك عادوا لعمقهم الديني المتجذّر في النفوس، فالشعوب التي ثارت على الكنيسة لم تنسلخ من الدين تماماً.

إنّ المجتمعات الغربية في توجّهها العام، لا تزال تنزع نحو الحفاظ على الهوية الدينية العامة، كما في الاحتفاء بأعياد الميلاد. والاعتزاز بالانتساب إلى نبي الله عيسى ﷺ كمسيحيين واعتبار الصليب شعاراً وهويّة لهم، في إشارة إلى ما يعتقدونه من صلب السيّد المسيح. إنّ هذا يدلّ قطعاً على الميل الديني، كما يدلّ على أنّ كلّ الأمواج العاتية المناوئة للدين، لم تفلح في اقتلاع الجذور الدينية في نفوس أبناء تلك الشعوب.

وبالرغم من الحريات المطلقة، وغياب القدسية للأديان، وإخضاع مجمل المنظومة الدينية للمناقشة والبحث، والتشكيك العلمي بها، بما يصل إلى حدّ التشكيك في الإنجيل، وفي أصل وجود السيّد المسيح نفسه، ناهيك عن النقد الشديد للكنيسة، وما يصدر من ممارسات منحرفة لرجال من الكنيسة، أثارت ضجّة





كبيرة في السنوات الأخيرة في أوروبا وأمريكا. غير أن الناس لا يزالون متمسكين بهويّتهم الدينية. وهذا ما يعطينا الثقة والاطمئنان بأن الأديان أقوى وأعمق في نفوس البشر من أن تقتلها أو تهزّها الموجات التشكيكية أو المتمرّدة.

### قداسة المسيح في الإسلام

إن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام شخصية مقدّسة عند المسلمين. بل إن تقديسه واحترامه عليه السلام جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية، وللسيد المسيح وأمه العذراء مريم بنت عمران عليهما السلام قداسة خاصة في القرآن الكريم، حتى إن سورة خاصة سمّيت بسورة مريم، فضلاً عن عشرات الآيات الأخرى التي تناولت طرفاً من سيرتهما ومناقبهما عليهما السلام.

ونحن نؤمن إيماناً مطلقاً بما قرّره القرآن الكريم في تناوله للسيد المسيح، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٧١]، تماماً كما نؤمن ونقدّس سائر الأنبياء والرسل، كما قال تعالى: ﴿أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٥].

وبالتالي، فإن الاحتفال بميلاد نبيّ من الأنبياء العظام، ومن الخمسة أولي العزم، أمر لا يخرج بأيّ حالٍ عن دائرة الدين، وإن باتت المناسبة جزءاً من الهوية الدينية لأمة معينة، فلكلّ أمة هويتها وشعائرها وتقاليدها، وبالرغم من أننا لا ندعو للذوبان في شعائر وتقاليد الأمم الأخرى، إلا أن ديننا الحنيف لا يمنع من التفاعل مع أتباع الديانات الأخرى في مناسباتهم الدينية والاجتماعية، على العكس مما يدعو إليه بعض المسلمين المتزمتين من القطيعة التامة مع أتباع الأديان الأخرى.

هؤلاء المتزمتون يقفون عادة خلف الجدل المتكرر سنوياً حول عدم جواز تهنئة المسيحيين في أعياد الميلاد، وهنا يأتي السؤال عن المانع من ذلك!. حيث لا وجه





شرعياً لمنع تبادل التهنة والتبريكات مع الأصدقاء والزملاء والعمّال المسيحيين، وإدخال السرور على أنفسهم بهذه المناسبة، بل العكس هو الصحيح، فالنصوص الدينية العامة التي تحضّ على القسط والبرّ بأهل الكتاب، تدفع بهذا الاتجاه، كما في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ وَنُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾، وهذا ما يفتي به كبار مراجع الدين، كما ورد في فتوى المرجع الديني السيد علي السيستاني حفظه الله ما نصّه: «يجوز تهنة الكتابيين من يهود ومسيحيين وغيرهم، وكذلك غير الكتابيين من الكفار بالمناسبات التي يحتفلون بها، أمثال: عيد رأس السنة الميلادية، وعيد ميلاد السيّد المسيح ﷺ، وعيد الفصح»<sup>(١)</sup>.

نحن نختلف مع المسيحيين دينياً، لأننا نعتقد بلزوم الإيمان بنبوّة خاتم الأنبياء محمد ﷺ، وأن رسالته هي آخر الرسالات، وأنه جاء مصداقاً للأنبياء والرسل السابقين، ونختلف معهم فيما حصل من تحريفات طالت الكتب المقدسة التي نؤمن بها في الأساس. لكن هذا الاختلاف لا يشرّع لنا أن ننظر إلى احتفائهم بذكرى ولادة السيد المسيح ﷺ نظرة سلبية، بل نرى أنه احتفاء يجب أن يوظّف في قراءة السيرة الصحيحة لنبي الله عيسى ﷺ، وفي الارتباط بالقيم المقدسة التي حملها وحملها جميع الأنبياء.

### التربية على احترام الآخرين

إن ديننا يربينا على احترام الآخرين، فمهما اختلف أتباع الديانات الأخرى معنا في الدين، إلا أن ديننا يأمرنا باحترامهم ما لم يعتدوا علينا، يقول تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَنُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة، الآية: ٨] نختلف معهم ونرى أن ديننا الحق، ولكننا ندعو إلى ديننا بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا نجبر عليه أحداً، لأن الله

(١) كتاب الفقه للمغترين، المرجع الديني السيد السيستاني، ص ٢٢٠، مسألة ٣٠٨.





تعالى يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ هم أحرار ومحاسبون أمام الخالق كما سنحاسب نحن، وفي هذه الحياة يجب أن يكون هناك احترام متبادل، وبحث في المشتركات، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٦٤]، لقد عاش المسيحيون في ظل الحضارة الإسلامية، في حرية ورفاه واحترام في المجمل، رسول الله ﷺ كان يعامل الآخرين بكل احترام، يحترمهم كبشر، يحترم حقوقهم الإنسانية، يدعوهم إلى الدين فإن لم يستجيبوا يتركهم واختيارهم، كما أمره الله تعالى. أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) كذلك في حياته مشاهد ومواقف كثيرة تدل على احترام أتباع الديانات الأخرى، وتبيين حقوقهم الإنسانية المشروعة. الآن في عالمنا الإسلامي يوجد مواطنون من المنتمين للمسيحية في السودان، ومصر، ولبنان، والعراق، وإيران، ودول إسلامية أخرى. هؤلاء المسيحيون يجب أن يتمتعوا بحقوقهم الكاملة، حقوق المواطنة والإنسانية، ولا يجوز الاعتداء عليهم، ولا الإساءة لهم، ما داموا ملتزمين بحقوق الآخرين ولم يعتدوا.

رأينا في الفترة الأخيرة كيف أن مواقف متشددة استهدفت المسيحيين في العراق، وهو أمر مدان ومرفوض، لكن هذه المواقف المتطرفة لم توفر أحدًا بل استهدفت الجميع، واعتدت على الجميع، والمسلمون الواعون يرفضون مثل هذه المواقف، ويرون أن المسيحيين في أي بلد عربي أو إسلامي هم جزء من أوطانهم، لهم ما لبقية المواطنين من الحقوق، وعليهم ما عليهم من الواجبات.

ونحن في المملكة العربية السعودية وإن لم يكن بيننا مواطنون مسيحيون، فهناك وافدون وعمّال موجودون في بلادنا من أتباع الديانات الأخرى، ويجب التعامل معهم باحترام، ولا يصح الإساءة إلى أحد منهم، هؤلاء أمانة عندنا، نحن نقرأ في الفقه الإسلامي مصطلح (أهل الذمة) فهم في ذمتنا، وسوف يحاسبنا الله تعالى على طريقة التعامل معهم، لذلك ينبغي للإنسان أن يؤدي إليهم حقوقهم، وخاصة إذا كانوا في مقام متواضع كالخدم والسائقين، فهؤلاء يكونون تحت سلطة الإنسان





وإدارته، فعلى الإنسان أن يتقي الله في التعامل معهم. إن ما نسمعه ونشره الصحف من إساءات لبعض الخدم من مسلمين وغير مسلمين لهو أمر مشين معيب، لا ينبغي أن يحصل في مجتمع مسلم؛ لأنه يخالف قيم الإسلام، ويخالف الحقوق الإنسانية.

### الانطلاق من المشتركات منهج العقلاء

احتفى القرآن الكريم بميلاد نبي الله عيسى عليه السلام حيث خصّص سورة باسم أمه (سورة مريم) تناول فيها تفاصيل ولادته، وكذلك في سورة (آل عمران)، وتكرر الحديث عن المسيح في أكثر من ٢٥ موقعًا في القرآن الكريم. مما يؤسس لأرضية جيّدة من العلاقة بين المسلمين والمسيحيين.

وذلك ما كان في بداية الإسلام، حيث استقبل النجاشي المسيحي ملك الحبشة المهاجرين من المسلمين الفارين من قمع المشركين في مكة، وآواهم ورفض محاولات قريش لإرجاعهم.

وكان قد هاجر إلى الحبشة من مكة عشرات من المسلمين في السنة الخامسة من البعثة بتشجيع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنّ بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه».

فغضبت قريش حين علمت عن استقبال النجاشي للمهاجرين، وبعثت (عمرو بن العاص) و(عبدالله بن أبي ربيعة) لإقناع النجاشي بطرد المهاجرين المسلمين وإرجاعهم إلى مكة. وقالوا للنجاشي: (أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين جديد لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم، لتردهم إليهم، فهم أبصر بهم، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه).

فاستدعى النجاشي مجموعة من المهاجرين يتقدمهم جعفر بن أبي طالب





وسأله: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحدٍ من هذه الملل؟ وبعد أن شرح جعفر للنجاشي طبيعة الرسالة الإسلامية، والقيم التي تحملها، قال النجاشي لجعفر: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقرأ عليه آيات من مطلع سورة مريم، التي تحدّثت عن مكانة مريم عند الله، وكيف حملت بعيسى وقصة ولادته، وعظمة شأنه، فتفاعل النجاشي مع ما سمع، وتأثر كثيراً، حتى بكى وأخضلت لحيته بالدموع، وبكى الأساقفة الحاضرون.

وبعد صمتٍ قصير ساد المجلس قال النجاشي: «إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة»<sup>(١)</sup>.

وقد أشاد القرآن الكريم بهذا الموقف الإيجابي للمسيحيين تجاه المسلمين والدعوة الإسلامية يقول تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ \* وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴿سورة المائدة، الآيتان: ٨٢-٨٣﴾.

### تأثير الحروب المتبادلة

لكن المعارك التي حصلت بعد ذلك فيما عرف بالفتوحات الإسلامية، وزحف الجيوش العربية على أوروبا، ثم ما حصل في عهد الاستعمار من زحف الأوربيين على البلاد العربية والإسلامية، وقيام الحروب الصليبية والتبشير المسيحي، كلّ ذلك أوجد شروخاً واسعة بين المسيحيين والمسلمين، وخلق أجواءً من العداء المتبادل.

وفي هذا العصر بالذات أصبحت الظروف أكثر ملاءمة لتطوير العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، حيث يفترض أنّ الطرفين قد تجاوزا تأثيرات الحروب والمعارك التاريخية الماضية، وأصبحت هناك مؤسسات دولية ومواثيق تنظم العلاقة

(١) الشيخ جعفر السبحاني، سيرة سيد المرسلين، ج ١، ص ٤٥٥-٤٥٧.





بين الدول والمجتمعات على أسس إنسانية حقوقية، وعلى معايير سياسية، تختلف عما كان سائدًا في عصر الدول الدينية، كما تداخلت المصالح بين الأمم والدول والمجتمعات، إذ تحوّل العالم إلى قرية واحدة، لا يستغني فيه طرف عن آخر.

واحتضنت المجتمعات المسيحية جاليات إسلامية كبيرة هاجرت من أوطانها إلى الغرب بحثًا عن فرص أفضل للحياة الكريمة، وأصبحت تتمتع بحريتها الدينية والسياسية، وتمارس دورها في الحياة العامة كجزء من تلك الدول والمجتمعات، وتبوأ بعض أبنائها الكفوئين مواقع قيادية متقدمة في السلطة السياسية والقضائية، وفي ميادين العلم والاقتصاد.

### تحريض الصهاينة

والعامل الوحيد الذي يعكّر صفو العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في هذا العصر، هو انحياز معظم الدول الغربية إلى إسرائيل، ودعمها لأنظمة الاستبداد في العالم الإسلامي، لكن الفرصة متاحة للشعوب الإسلامية أن تؤثر في أجواء السياسة الغربية، وأن تضغط على مواقف السياسيين فيها، لتواجه نفوذ اللوبي الصهيوني المتغلغل في تلك الدول، بسبب فاعليته على الصُّعد المختلفة، لكن الأمة لم ترتق إلى مستوى التحدي، ولم تحسن استثمار قدراتها وطاقاتها لخدمة قضاياها العادلة.

خاصة وأن اللوبي الصهيوني كان يقظًا وحذرًا من حصول أيّ تطور إيجابي في العلاقة بين المسيحيين والمسلمين، يمكن أن يوظّف في خدمة القضية الفلسطينية، وأن يؤثر على الدعم الغربي لإسرائيل.

لذلك فإنّ من الطبيعي أن يسعى هذا اللوبي الصهيوني إلى إثارة وتشجيع كلّ ما من شأنه تعقيد وتشويه العلاقة بين المسلمين والمجتمعات المسيحية، ويدخل ضمن نطاق هذا السعي تحريض المسلمين وتعبئتهم ضدّ المسيحيين، وتحريض المسيحيين وتعبئتهم ضدّ المسلمين.







هذا التحريض والتعبئة وقد تصدر أحياناً من منطلق الغيرة على الدين، ومن أناسٍ صادقين في انتمائهم للإسلام أو المسيحية، لكي الصهاينة يستفيدون منها ويوجهونها لخدمة أهدافهم، ونقصد هنا التحريض والتعبئة الدينية التي تستفز الجمهور عند الجهتين، كالدعاء على النصارى بالهلاك، وأن يرمل الله نسايتهم، وييتم أبناءهم، ويجفف الدماء في عروقهم، إلى آخر ما يُدعى به في بعض المساجد والمنابر الإسلامية، وما يقابله من سخرية بنبي الإسلام، وبالقرآن الكريم من قبل بعض الجهات الغربية.

### الإرهاب وتخريب العلاقات

وتأتي ممارسات الحركات الإرهابية المنتسبة للإسلام كعاملٍ أخطر وأسوأ في تعقيد العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في هذا العصر.

حيث تستهدف الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال، في الأسواق والمطارات ومحطات القطار، كما تستهدف التجمعات الدينية المسيحية، مثل الهجوم المريع الذي استهدف حشدًا لمحتفلين باليوم الوطني في مدينة نيس في فرنسا، وذبح القس الطاعن في السنّ (جاك هامل) البالغ من العمر ستة وثمانين عامًا بتاريخ ٢٦/٧/٢٠١٦م.

والتفجير الذي وقع داخل الكاتدرائية المرقسية بالعباسية وسط القاهرة، أثناء قدّاس يوم الأحد ١١/١٢/٢٠١٦م، وعملية الدهس لمتسوقي أعياد الميلاد في العاصمة الألمانية برلين يوم الاثنين ١٩/١٢/٢٠١٦م الذي أسفر عن مقتل ١٢ شخصاً، وجرح ٤٨ آخرين.

وما حدث للمسيحيين في العراق وسوريا وأماكن أخرى استهدفها الإرهابيون هذه الأحداث تخلق الآن أجواءً غير إيجابية تجاه المسلمين في العالم، فقد ازدادت شعبية الأحزاب اليمينية المناوئة للوجود الإسلامي في الغرب، وحصلت اعتداءات





كثيرة على مساجد ومراكز إسلامية، وتعرض كثير من المسلمين لمضايقات وإساءات في أمريكا وأوروبا، وأصبح أيّ مظهر إسلامي قد يثير قلقاً واستغراباً، ومن أواخر الأخبار على هذا الصعيد إنزال مواطن عربي من الطائرة التابعة لخطوط دلتا إيرلاينز المتوجهة من لندن إلى نيويورك الأربعاء ٢١/١٢/٢٠١٦م؛ لأنه تكلم مع أمّه باللغة العربية.

### إرساء علاقات سلام واحترام

إنّ من مصلحة الإسلام والأمة إرساء علاقات سلام واحترام مع الأديان والأمم الأخرى، فذلك ينسجم مع مبادئه الإنسانية العادلة، ويتيح المجال لتعرف الآخرين على حقيقته وتعاليمه الجاذبة، ويصنع للأمة مكانة لائقة بين الأمم تحفظ مصالحها. والاختلاف الديني والعقدي مع الأمم الأخرى لا يعني القطيعة والعداء معها، بل ينبغي الاتجاه للتعارف والحوار لاستكشاف مواقع الالتقاء، ومعالجة قضايا الاختلاف.

وهذا ما يدعو إليه القرآن الكريم، حيث أمر الله نبيه محمّداً بأن يدعو أتباع الديانات السابقة أهل الكتاب إلى الانطلاق من المشتركات بين الأديان الإلهية السماوية، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٦٤].

هذه الدعوة العقلانية البناءة يجب تفعيلها في هذا العصر، وخاصة بين المسلمين والمسيحيين، وهما أكبر كتلتين دينيتين على وجه الكرة الأرضية، وانسجام العلاقة بينهما يخدم استقرار الأمن والسلام العالمي، ويصبّ في مصلحة البشرية جمعاء.

### مساحات التلاقي والاشتراك

ومع الاختلاف الواضح بين المعتقد الإسلامي والمسيحي، لكن هناك مساحة





كبيرة من التلاقي والاشترك يمكن الانطلاق منها، واستثمارها في صنع أفضل العلاقات الإيجابية بين الطرفين.

ومن المساحات المشتركة بين الديانتين على الصّعيد العقدي:

- الإيمان بالله الخالق لكل شيء.
  - الإيمان باليوم الآخر.
  - الإيمان بالوحي وأنّ الله قد بعث أنبياء ورسلاً وأنزل إليهم كتباً وشرائع.
  - الاهتمام بالبعد الروحي والبرامج العبادية.
- وفي تفاصيل هذه المعتقدات هناك خلافات كثيرة، لكنها يجب ألا تغطّي على الاشتراك في أصولها، وهذا ما يطلق عليه القرآن الكريم ﴿كَلِمَةً سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾. وهناك المشترك الكبير في المجال القيمي الأخلاقي حيث تؤمن الأديان بالأخلاق الإنسانية الفطرية كالصدق، والعدل، والإحسان، والأمانة، ورفض الظلم والعدوان، وانتهاك كرامة الإنسان.

وتؤكد الأديان على العفة الجنسية، وحماية كيان الأسرة، كشرط ضروري لبناء مجتمع سليم.

وقد تجلّى - بالفعل - الإيمان بهذا المشترك العقدي والأخلاقي بين المسيحية والإسلام، في الموقف من التوجهات الإلحادية المنكرة للأديان ولوجود الله تعالى، وفي الموقف من النزعة المادية الطاغية التي تتجاهل البعد الروحي في حياة الإنسان، كما تجسّد هذا التلاقي والتقارب بين القيادات الإسلامية والمسيحية في التصديّ لمحاولات تشريع وتطبيع الابتذال الجنسي، والعلاقات المثلية، وتخريب كيان الأسرة، في كثير من المؤتمرات العالمية الدولية وذلك ما حصل في مؤتمر السكان الذي انعقد في بكين عام ١٩٩٥ م مثلاً.





## منهج العقلاء

إنّ البحث عن المشتركات والانطلاق منها هو منهج العقلاء في التعامل مع كلّ دوائر الاختلاف والتنوع الديني والفكري والسياسي، بينما يركز الجهال والحمقى على نقاط الافتراق والاختلاف، وإن كانت قليلة ضئيلة في علاقتهم بالآخرين.

ونجد النموذج البارز لذلك الجهل والحماسة في الصراعات المذهبية الملتهبة داخل الأمة، مع أنّ مساحة التلاقي والاشتراك بين المذاهب الإسلامية هي المساحة الأوسع في العقيدة والفقهاء والتاريخ والمصلحة والتحديات، بينما تنحصر الخلافات في مساحة محدودة من التفاصيل.





## أبرز مناسبات الأيام العالمية التي أقرتها الأمم المتحدة

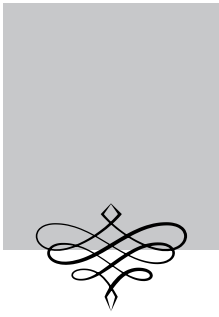
التاريخ	المناسبة
<b>فبراير</b>	
٤ فبراير	اليوم العالمي لمكافحة السرطان
١١ فبراير	اليوم العالمي للمرأة في مجال العلوم
٢٠ فبراير	اليوم العالمي للعدالة الاجتماعية
٢١ فبراير	اليوم العالمي للغة الأم
<b>مارس</b>	
١ مارس	اليوم العالمي للاندغام التام للتمييز
٣ مارس	اليوم العالمي للأحياء البرية
٨ مارس	اليوم العالمي للمرأة
١٥ مارس	اليوم العالمي لمناهضة تعسفات الشرطة
٢٠ مارس	اليوم العالمي للسعادة
٢١ مارس	اليوم العالمي للقضاء على التمييز العنصري اليوم العالمي للشعر اليوم العالمي لمتلازمة داون
٢٢ مارس	اليوم العالمي للمياه
٢٤ مارس	اليوم العالمي للسسل
<b>أبريل</b>	
٢ أبريل	اليوم العالمي للتوعية بمرض التوحد
٦ أبريل	اليوم العالمي للرياضة من أجل التنمية والسلام
٧ أبريل	اليوم العالمي للصحة
٢١ أبريل	اليوم العالمي للإبداع والابتكار
٢٢ أبريل	اليوم العالمي للأرض
٢٣ أبريل	اليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف
٢٦ أبريل	اليوم العالمي للملكية الفكرية
<b>مايو</b>	
١ مايو	اليوم العالمي للعمال
٣ مايو	اليوم العالمي لحرية الصحافة
١٥ مايو	اليوم العالمي للأسر
١٧ مايو	اليوم العالمي للاتصالات ومجتمع المعلومات
٣١ مايو	اليوم العالمي للامتناع عن التدخين
<b>يونيه</b>	
١ يونيه	اليوم العالمي للوالدين
٤ يونيه	اليوم العالمي لضحايا العدوان من الأطفال الأبرياء
٥ يونيه	اليوم العالمي للبيئة
١٢ يونيه	اليوم العالمي لمكافحة عمل الأطفال





التاريخ	المناسبة
١٤ يونيو	اليوم العالمي للمبتدئين بالدم
١٥ يونيو	اليوم العالمي للتوعية بشأن إساءة معاملة المسنين
٢٠ يونيو	اليوم العالمي للاجئين
٢٣ يونيو	اليوم العالمي للأرامل
٢٦ يونيو	اليوم العالمي لمكافحة التعاطي والمتاجرة بالمخدرات
<b>يوليه</b>	
١١ يوليه	اليوم العالمي للسكان
١٥ يوليه	اليوم العالمي لمهارات الشباب
٢٩ يوليه	اليوم العالمي للتنوع الثقافي ومكافحة التمييز العنصري
٣٠ يوليه	اليوم العالمي للصدقة
<b>أغسطس</b>	
١٢ أغسطس	اليوم العالمي للشباب
١٩ أغسطس	اليوم العالمي للعمل الإنساني
<b>سبتمبر</b>	
٥ سبتمبر	اليوم العالمي للعمل الخيري
٨ سبتمبر	اليوم العالمي لمحو الأمية
١٣ سبتمبر	اليوم العالمي للقانون
١٥ سبتمبر	اليوم العالمي للديمقراطية
٢١ سبتمبر	اليوم العالمي للسلام
٢٧ سبتمبر	اليوم العالمي للسياسة
<b>أكتوبر</b>	
١ أكتوبر	اليوم العالمي للمسنين
٢ أكتوبر	اليوم العالمي للاعنف
٥ أكتوبر	اليوم العالمي للمعلمين
١٠ أكتوبر	اليوم العالمي للصحة النفسية
١٣ أكتوبر	اليوم العالمي للحد من الكوارث
١٦ أكتوبر	اليوم العالمي للغذاء
١٧ أكتوبر	اليوم العالمي لمكافحة الفقر
٣١ أكتوبر	اليوم العالمي للمدن
<b>نوفمبر</b>	
٩ نوفمبر	اليوم العالمي للحرية
١٠ نوفمبر	اليوم العالمي للعلم لصالح السلام والتنمية
١٤ نوفمبر	اليوم العالمي لمرض السكري
١٦ نوفمبر	اليوم العالمي للتسامح
٢٠ نوفمبر	اليوم العالمي للطفل
٢٥ نوفمبر	اليوم العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة
<b>ديسمبر</b>	
١ ديسمبر	اليوم العالمي للإيدز
٣ ديسمبر	اليوم العالمي للأشخاص ذوي الإعاقة
٥ ديسمبر	اليوم العالمي للتطوع
٩ ديسمبر	اليوم العالمي لمكافحة الفساد
١٠ ديسمبر	اليوم العالمي لحقوق الإنسان
١٨ ديسمبر	اليوم العالمي للغة العربية





## المحتويات

٥	مقدمة.....
٩	إمكانية الانتصار على السرطان .....
٢١	العدل غرض الرسائل ووظيفة الدولة .....
٢٩	تكافؤ الفرص بين المرأة والرجل .....
٣٩	إسعاد الناس سعادة للذات .....
٤٩	المجتمع وتقدير الأمومة .....
٦١	نعمة الماء وضرورة الترشيد.....
٦٧	مرض التوحد وإنسانية المجتمع.....
٨١	الوضع الصحي ومواجهة أمراض العصر .....
٨٩	حركة الكتاب مؤشر المعرفة والتقدم .....
٩٥	العمالة المنزلية.. إنسانية مهدورة.....
١٠٥	حماية البيئة البحرية مسؤولية الجميع .....
١١١	وباء المخدرات الوقاية والعلاج.....
١٢١	ثقافة الصداقة والإخاء.....
١٣٣	الشباب مرحلة العطاء الاجتماعي .....





- ١٣٩ ..... شهيد العمل الإنساني
- ١٤٧ ..... في معنى حب الأوطان
- ١٥٥ ..... احترام كبار السن
- ١٧١ ..... حرمة الأديان وحرمة الإنسان
- ١٧٧ ..... الصحة النفسية مسؤولية الدولة والمجتمع
- ١٨٣ ..... النظافة أصالة وحضارة
- ١٨٩ ..... الفقر ليس قدرًا
- ١٩٧ ..... يوم التسامح العالمي .. كيف تستقبله الأمة
- ٢١٣ ..... كيف نواجه العنف ضد المرأة
- ٢٢١ ..... ثلاثون عامًا على اكتشاف مرض الإيدز
- ٢٢٧ ..... ذوو الاحتياجات الخاصة.. سؤال الأخلاق والتنمية
- ٢٣٩ ..... العمل التطوعي: نحو تطوير الوعي والتشريعات
- ٢٤٧ ..... ثقافة حقوق الإنسان
- ٢٥٧ ..... أعياد الميلاد والمؤشر الديني
- ٢٦٩ ..... أبرز مناسبات الأيام العالمية التي أقرتها الأمم المتحدة
- ٢٧١ ..... المحتويات

